صورة المرأة في الموروث الشعبي
بين واقعية ألف ليلة وليلة
ورومانسية السير الشعبية
(سيرة الملك سيف بن ذي يزن إنموذجا)

إعداد
فاطمة صلاح الأعجم





صورة المرأة في الموروث الشعبي
بين واقعية ألف ليلة وليلة
ورومانسية السير الشعبية

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية (2009/2/686)

338.9

الأعجم، فاطمة صلاح

صورة المرأة في الموروث الشعبي بين واقعية ألف ليلة وليلة ورومانسية السير الشعبية/ عمان: دار غيداء، ٢٠٠٩.

( ) ص

ر.أ: (2009/2/686).

الواصفات:/ النقد الأدبي // الأدب الشعبي /

❖ تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

ISBN 978-9957-480-31-8



دار غيداء للنشر والتوزيع

تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله - مجمع العساف التجاري - الطابق الأول

تلفاكس: 5353402 6 962+ - خلوي: 95667143 7 962+

ص.ب: 520946 عمان 11152 الأردن

E-mail: darghidaa@gmail.com

صورة المرأة في الموروث الشعبي

بين واقعية ألف ليلة وليلة ورومانسية السير الشعبية

"سيرة الملك سيف بن ذي يزن إنموذجاً"

إعداد

فاطمة صلاح الأعجم

الطبعة الأولى

2010م – 1431هـ

إهداء

إلى نبراس الخير والعطاء

من تعلمت منه حب العلم والجد والمثابرة والدي الحنون

إلى

ينبوع الحب والحنان والعطف والدتي الغالية

إلى

من ساندني وكان عونا لي زوجي الحبيب

إلى

الأمل الجميل الذي لأجله أعيش

أبنائي هيا وهديل وسام

إليهم وإلى أفراد أسرتي أهدى هذا الجهد المتواضع.

فاطمة الأعجم

شكر وتقدير

لا يسعني وقد أشرفت على الانتهاء من هذا الجهد المتواضع إلا أن أتقدم باسمي آيات الشكر والعرفان لمنهل العلم والخلق والأدب أستاذتي الفاضلة الأستاذة الدكتورة/ نبيلة إبراهيم لما غمرتني به من فيض رعايتها الكريمة وتوجيهاتها السديدة طوال فترة العمل.

فقد كان لملاحظاتها القيمة الفضل الأكبر في الأخذ بيدي وإرشادي إلى الطريق العلمي الصحيح.

كما لا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير للأستاذ الدكتور عبد العزيز المقالح مدير مركز الدراسات والبحوث بصنعاء على رعايته الكريمة وإسداء النصح لي.

والشكر موصول لكل من قدم لي معروفا أو أسدى لي خدمة وأخص بالذكر العاملين في مكتبة الفنون ومكتبة الآداب بجامعة القاهرة ومركز الدراسات والبحوث بصنعاء، لكل هؤلاء أقدم جزيل شكري وعظيم امتناني سائلة الله عز وجل أن يجزيهم عني خير الجزاء إنه نعم المولى ونعم الحبيب.

فاطمة الأعجم

الفهرس

المقدمة

حظيت المرأة وما زالت تحظي بمكانة في الثقافة العربية، ورغم الاهتمام الكبير الذي حظيت به عبر العصور المختلفة، إلا أنها ستظل حقلا مفتوحاً للكتابة والإبداع، وميداناً رحباً لممارسة الأعراف والتقاليد والشرائع، فالسير الشعبية العربية والتي ظلت مهمشة ومغيبة عن دائرة الاهتمام تحتوي على إنتاج ثقافي واسع، يفتح أمامنا المجال لاستجلاء صورة المرأة في هذا الأدب، وللمرأة حضورها اللافت في هذه السير الشعبية العربية.

فهناك سيرة تحمل أسم امرأة هي سيرة الأميرة ذات المهمة التي تعد أضخم السير الشعبية جميعاً على الإطلاق. وهناك ألف ليلة وليلة التي ارتكزت أغلب حكاياتها إن لم نقل الكل على المرأة من الحكي والقص.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة من كونها:

1. تخصصت في إبراز دور المرأة في الحكايات والسير الشعبية خصوصا من الناحية الواقعية والرومانسية.
2. تعتبر هذه الدراسة من الدراسات القليلة التي تتبعت دور المرأة في كل من حكايات ألف ليلة وليلة والسيرة الشعبية، حيث أن الدراسات السابقة كانت تركز على أحدهما.
3. أن البحث في هذا الموضوع يفتح أمانا آفاقا جديدة لاستجلاء صورة المرأة في هذا الأدب المهمش.

الدراسات السابقة:

هناك العديد من الدراسات التي تناولت دور وصور المرأة في الحكايات والسيرة الشعبية وسنورد بعضاً من هذه الدراسات التي عنيت بهذا الموضوع:

1. (المرأة في الملاحم الشعبية العربية) قام بها محمد رجب النجار لدراسة الدلالات البطولية النسوية والنماذج المتعددة للمرأة في هذه الملاحم وأبعادها.
2. (ألف ليلة وليلة) قامت بها سهير القلماوي، حيث خصصت فصلاً ذكرت في نماذج متعددة للمرأة في الليالي.
3. (صورة المرأة في السرد العربي القديم) دراسة قامت بها ضياء عبد الله خميس، والاجتماعية عند كل من الجاحظ والأغاني والسيرة الشعبية العربية.
4. (الأسرة والمرأة في المجتمع الفلسطيني من خلال الحكاية الشعبية) دراسة قام بها عمر عبد الرحمن الساريسي، وقد تناولت الكشف عن دور المرأة في الأسرة والمجتمع من خلال الحكاية الشعبية.
5. (صورة المرأة في الأدب الشعبي الأردني والفلسطيني، لأمل سالم ومحمد عبد الكريم، وقد عنيت هذه الدراسة بتتبع دور المرأة في كل من المثل والحكاية والأغاني.
6. (قصصنا الشعبي من الرومانسية الى الواقعية) دراسة قامت بها نبيلة إبراهيم، وقد تناولت هذه الدراسة بعض الحكايات الشعبية والخرافية بالدراسة والتحليل لتوضح أن الحكايات الخرافية تعبير عن آمال الشعب الذي كان يرتاح إلى هذا التعبير، لأنه يصور له العالم الجميل الذي يصبو إليه، فلما بدأ الشعب يعيش واقع الحياة نتيجة تغير

المفهومات الأيديولوجية، جعله يدخل مرحلة صراعه مع واقع الحياة من ناحية، ومع سائر الطوائف الاجتماعية من ناحية أخرى، مما جعل أشكال تعبيره تتغير كما تغيرت وظيفتها، وبذلك أصبحت الحكايات الشعبية تعبر عن الجانب الواقعي أكثر من الجانب الرومانسي.

7. (البطولات العربية والذاكرة التاريخية) دراسة قامت بها نبيلة إبراهيم. تناولت في الفصل الرابع، بطولة الملك سيف بن ذي يزن، معتبرة أن بطولة هذا الملك تكمن في حمل رسالة تاريخية خاصة تختلف عن سائر الرسالات التي حملها الأبطال الآخرون، مثل عنترة والظاهر بيبرس والأميرة ذات الهمة. وذلك أن هذه الرسالة تعتبر صدى لأحداث تاريخية حدثت بالفعل في القرن الرابع عشر الميلادي، وتتمثل في سعي سيف بن ذي يزن بالتصدي لأي محاولات من شأنها الإضرار بنهر النيل من خلال استخدام القوة السحرية التي كانت سائدة آنذاك، وهو بهذا العمل يحقق شرط حبيبته، مما يدل على أن للمرأة دور وراء سعي الملك سيف في المحافظة على نهر النيل.

وبعد أن استعرضنا عدد من الدراسات السابقة لاحظنا أنه لا تكاد تخلو حكاية أو سيرة شعبية إلا وكان للمرأة حضوراً في أحداثها، وهذا الدور للمرأة هو من الأهمية بحيث يستحق أفراد دراسة متخصصة تتناول الأدوار المختلفة، ولأن الدراسات السابقة كانت تتناول هذا الدور بشكل جزئي، فإن الباحثة في دراستها هذه خصصتها لدراسة دور المرأة في الموروث الشعبي بين واقعية ألف ليلة وليلة ورومانسية السير الشعبية.

تساؤلات الدراسة:

- ماهي الأدوار التي قامت بها المرأة في ألف ليلة وليلة؟
- ما مدى واقعية أدوار المرأة في الليالي؟
- لماذا كان دور المرأة في السير الشعبية رومانسيا؟
- ما هي الأبعاد وراء جعل (قمرية) والدة الملك سيف الشخص المناوي للملك سيف في السيرة؟
- لماذا حفلت سيرة سيف بن يزن بكم كبير من السحر والخرافة وعلوم الأقلام دوناً عن السير الشعبية الأخرى؟

منهجية الدراسة:

استوجبت طبيعة الموضوع أن تقسم الدراسة إلى تمهيد، ومدخل، وأربعة فصول.

التمهيد:

يلقي الضوء على بعض نماذج المرأة في القص الشعبي حتى تستطيع من خلالها تصنيف نماذج المرأة في الحكايات والسير الشعبية وفقاً للبعدين الرومانسي والواقعي.

مدخل:

ويتم فيه تقديم تعريف لكل من الرومانسية والواقعية، حتى يتسنى لنا دراسة المرأة وفقاً لذلك.

النماذج:

الفصل الأول: التصور الواقعي للمرأة في ألف ليلة وليلة:

ويشمل هذا الفصل مبحثين:

- **المبحث الأول: يتم فيه عرض لأدوار التي قامت بها المرأة في ألف ليلة وليلة.**

  وأهمها: دور العاشقة، والكائدة، والمحاربة، والعالمة، والساحرة.

- **المبحث الثاني: وفيه ندرس الصورة الواقعية للمرأة من زاويتين:**

  الأولى: المرأة في التاريخ العربي.

  الثاني: المرأة في الحياة الاجتماعية.

الفصل الثاني: نماذج المرأة في السير الشعبية:

ويشمل هذا الفصل مبحثين:

- **المبحث الأول:** وفيه يدرس نماذج المرأة في سيرة الأميرة ذات الهمة.
- **المبحث الثاني:** وفيه يدرس نموذج المرأة في سيرة عنترة بن شداد، ودورها في حياة البطل.

الفصل الثالث: صورة المرأة في سيرة سيف ذي يزين

ويشمل مبحثين:

- **المبحث الأول: دراسة الشخصيات التي نسجت منها السيرة أحداثها:**

  وتقسم إلى قسمين

  أ. ملخص السيرة.

  ب. الشخصيات ذات الجذور التاريخية.

  ج. الشخصيات المتخيلة.

- **المبحث الثاني: نماذج المرأة في السيرة:**

  أ. المرأة المناوئة.

ب. المرأة المساعدة.

ج. المرأة الهامشية.

الفصل الرابع: الأبعاد الفنية للقص حول المرأة في سيرة سيف:

وينقسم إلى تمهيد ومبحث:

التمهيد: وفيه نستعرض:

اختلاف سيرة الملك سيف عن السير الشعبية الأخرى، متخذين من سيرة الأميرة ذات الهمة وسيرة عنترة نموذجا.

- **المبحث الأول:** العناصر المميزة للسير من خلال الآتي:
  1. الحبكة ودور المرأة فيها.
  2. الدور الفني لخلق كتاب النيل.
  3. مدى قوة الترابط بين أوصال السيرة من خلال ابتداع القاصي لأسطورة كتاب النيل.

وفي ختام هذه المقدمة، لا يسعني عرفانا بالفضل إلا أن أتقدم بفائق الشكر، وعظيم التقدير إلى أستاذتي الجليلة الباحثة، الناقدة، الأديبة الأستاذة الدكتورة/ نبيلة إبراهيم، التي تبنت هذا البحث، فاستفدت من خبرتها، وكانت عونا لي حتى خرج هذا البحث لحيز الوجود.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أورد مقوله العماد الأصفهاني "أني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، وبو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جمله البشر".

التمهيد

المرأة في القص الشعبي

التمهيد

المرأة في القص الشعبي

أختلف النقاد ودارسو الأدب حول إيجاد تعريف محدد لأدب الشعبي، ذلك أن كل فريق يعرفه وفق مفهوم معين، ومن التعرفات التي تناولت الأدب الشعبي، تعريف نبيلة إبراهيم التي ترى أن تعريف الأدب الشعبي يأتي من شعبيته، ومعنى شعبيته " أنه ينتمي إلى الشعب وحده بماله من تراث وتقاليد وعادات"[1].

كما عرفه أحمد رشدي بأنه " ذلك الأدب المعبر عن ذاتية الشعب المستهدف تقدمه الحضاري، الراسم لمصالحه يستوي في أدب الفصحي، وأدب العامية، وأدب (الرؤية الشفاهيه، وأدب المطبعة، والأثر المجهول المؤلف، والأثر المعروف المؤلف"[2].

أما محمد المرزوقي فإنه يري أن " أحسن تعريف للأدب الشعبي ما ضبطه حسين نصار في رسالته الشعر الشعبي، حيث يقول بأن الأدب الشعبي هو ذلك (الأدب المجهول المؤلف، العامي اللغة، والمتوارث جيلا بعد جيل بالرواية الشفويه"[3].

ويرى شكر الصالحي أن الأدب الشعبي " يمثل المراحل التاريخية الأولي لحضارة الأمم، وعلى ضوءه يتحدد ما لهذه الأمة من عادات وتقاليد وأمجاد"[4].

---

(1) نبيلة إبراهيم، سيرة الأميرة ذات الهمة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1970، ص14.

(2) أحمد رشدي صالح، الأدب الشعبي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 2002، ص 20.

(3) محمد المرزوقي، الأدب الشعبي في تونس، الدار التونسية للنشر، تونس، 1967، ص49.

(4) شكر الصالحي، الأمثال الشعبية المقارنه في مصر والعراق، التراث الشعبي، مركز الفلكلور، بغداد، العدد 3،2، 1974، ص43.

ويدخل ضمن الأدب الشعبي العديد من أشكال التعبير منها السير الشعبيه، والأغاني، والحكايات، الألغاز وغيرها.

ويعد الأدب الشعبي ابن البيئة التي ينشأ فيها، لأنه يعتبر حصيلة وتراكم مجموع ما يكتسبه الأفراد في تلك البيئة المحيطة بهم، والتي يعيشون عليها، ومن الجماعات التي تعيش معهم على تلك الأرض، فالاحتكاك والتفاعل بين تلك الجماعات في النهاية لا بد وأن يفرز أدبا خاصا متميزا[1].

كما يمثل عاملا مهما من عوامل التكوين الثقافي العام للدولة، إلى جانب أنه يشكل لبنه أساسية من لبنات الثقافة العربية التي ساهمت مساهمة فعالة وكبيرة في المنجزات المهمة الرئيسية للحضارة الإنسانية[2].

وبذلك يمكن القول أن الأدب الشعبي هو السجل الحافل بمخزون واقع كل شعب، كما أنه سجلاً للقيم الاجتماعية التي تحكم أواصر الصلة بين أفراد المجتمعات.

وتعد نظرة المجتمع للمرأة من أهم القيم الاجتماعية التي حفل بها القص الشعبي بصفة خاصة وسائر أشكال للتعبير الشعبي بصفة عامة سواء كانت المرأة أما أم زوجة أم كانت فاعلة في المجتمع بأي شكل من الأشكال.

وسنتناول فيما يلي بعض هذه القيم الخاصة بالمرأة كما تناولها القص الشعبي.

1. المرأة الأم:

اتخذت الأم في الحكاية الشعبية صوراً وأشكالاً متعددة، فمنها ما يمثل النمط الأصلي للأم، كالأم المربية والحنونة والمضحية وغير ذلك من الصور التقليدية التي

(1) أمل سالم، محمد عبد الكريم، صورة المرأة في الأدب الشعبي الأردني والفلسطيني، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر، الأردن، ط1، 2000 ، ص7.

(2) هاني العمد، الأدب الشعبي في الأردن، مؤسسة آل البيت، عمان 1996، ص15.

تظهر حنان الأم وعطفها على أولادها ورعايتها لهم، وحرصها على حفظ حقوقهم واستردادها ممن اغتصبها، كما في حكاية (طايع أمه) ترسل الأم ولدها إلى أعمامه بعد موسم الحصاد ليأخذ نصيب ابيه المتوفى من الغلال، فلا يعطونه، فيمر وهو عائد بيت نمل عليه كومة من القمح، فيحملها إلى أمه، ولكنها تقول له "يابني رزق النمل للنمل، اعد إلى مكانه، ومرة أخرى يحضر بيضا من عش عصافير فتعيده إليه قائلة: رزق الطيور للطيور"[1].

وتستمر الأم في دفع ابنها لأخذ حقه من الغلال التي جمعها أعمامه، والأم بهذا السلوك مع ولدها نمت لديه الإصرار على أخذ حقه وإن كان ذلك صعبا، وترك مال الغير وأن كان الحصول عليه سهلا، وبالفعل تمكن من أخذ حقه كاملا من أعمامه.

ومن الصور الأخرى للأم، الأم البطلة التي ظهرت بشكل واسع في السير الشعبية، كما في سيرة الأميرة ذات الهمة التي خاضت معارك عنيفة مع ابن عمها من أجل حقها في إثبات صحة نسب ولدها منه، ولما احتكمت إلى الكاهن الأكبر وبرأها مما أشاعه عنها ابن عمها، طلبت الانفصال عن زوجها، ثم عكفت على تربية ولدها على الفروسية والشجاعة حتى أصبح قائدا لجيش المسلمين وأصبح شريكها في البطولة في المعارك التي خاصتها فيما بعد.

كما أن من صور الأم الأخرى، الأم الخانعة الضعيفة والمغلوبة على أمرها "(كزبيبه) أم عنترة التي لم تستطع الفكاك من نظام قبلي ظالم يفرض على أبناء الإماء أن يكونوا في مؤخرة الركب، فهي رغم حبها لأبنها ومتابعتها بطولاته الفذة نجدها تخفي أفعاله البطولية عن والده- شداد – مخافة أن يضربه.

---

(1) عمر عبد الرحمن الساريسي، الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني، رسالة ما جستير، الجزء الثاني، جامعة القاهرة، 1972، ص273.

وعندما يبلّغ أحد العبيد شدادا ما يفعله بالخيول فإن شدادت يضرب عنترة ضربا مبرحا بالسوط حتى يخرق جلده، وزبيبه ما تجسر على منع مولاها من هذا.

كما أن خوفها وإشفاقها عليه يدعوها أن تنصحه بأن يكتم حبه لابنة عمه عبلة قائلة له: "الزم معها سنة العبيد، ولا يقيت تمد علينك إلى مولاتك عبلة فيكون هلاكك بالجملة"[1].

أما الأم الثائرة التي تسعى لأخذ الثأر لولدها فتصوره (أم ناقد الجلاح) الذي قتل عنترة ولدها، فعندما رأت أم ناقد عنترة، ثارت وصرخت في قومها قائلة: "ما فيكم فارس يأخذ بالثأر من هذا العبد فيطعمني قطعة من لحمه، ويسقيني جرعة من دمه"[2].

على أنه إذا كان القصص الشعبي يعبر عن نماذج لأم المثالية، وأوضح نموذج لهذا النوع والدة الملك سيف بن ذي يزن (قمرية) التي حاولت مرارا وتكرارا الفتك بولدها والتخلص منه تستأثر لنفسها بالملك ولا يقتصر القصص الشعبي على تلك النماذج الواقعية للمرأة وإن بدت في بعضه شرسة وعنيفة ومتجاوزة لحدود الحنان الذي أشتهرت به، بل أن القصص الشعبي عرف بميله إلى الخيال الجامح الذي يمده بصور وخيالات للمرأة، فهي قد تتجسد في أشكال غير إنسانية مثل البقرة أو الشجرة او الغولة.

2. المرأة الزوجة والحبيبة:

أظهرت الحكاية صورا متعددة للزوجة، فهناك الزوجة الوفية التي تقف إلى جانب زوجها، وتشد من أزره في أوقات الشدة عندما يتعرض لمحنة، كما في حكاية

(1) سيرة عنترة، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني – القاهرة– بدون تاريخ.

(2) المرجع السابق، ص 214.

التاجر (علي المصري) الذي كان غنيا ثم دارت بـه الأيـام وأصـبح فقـيرا معـدما، فكانت زوجته خير معين له حيث آزرته وحثته على العمل والمثابرة وظلت كـذلك حتى أصبح وزيرا في بغداد[1].

وهناك الزوجة المساندة كمـا في حكايـة (الله يـرزقهم) الـتي تـروي أن أحـد الملوك قرر تزويج ابنته من أي شحاذ يطرق بابه عقابا لهـا كونهـا تكـره الـشحاذين وتحتقرهم، وأمام إصرار والدها وافقت الأميرة وتزوجت من شحاذ يدعـه خليـل، وقررت مساندته والوقوف إلى جانبه لتحقيق النجاح والعيش سويا بالاعتماد علـى جهدهما، ومن أجل ذلك أعطت زوجهـا مبلغـا مـن المـال وشـجعته علـى الـسفر للتجارة.

فاشتغل بالتجارة وربح منها الكثير، مما مكنه مـن بنـاء قـصر لزوجتـه جـوار قصر والدها، وكل هذا بفضل زوجته التي ضـربت أروع الأمثلـة للمـرأة المـضحية التي تساند زوجها في الوصول إلى ما يريد[2].

أما حكاية (امرأة الخطاب) فتظهر الزوجة الطيعة لزوجها لدرجـة العبوديـة، والتي تدخل الجنة قبل (فاطمة الزهراء) أبنة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، لأنها تستقبل زوجها بإبريق الماء الساخن عند عودته ليغسل به يديه ورجليـه، وتهنـئ لـه الطعام ولا تمد يدها إليه قبل وصـوله. كمـا أنهـا أحيانـا تعطيـه العـصا إذا أراد أن يضربها[3].

(1) أنظر مأمون غريب، أجمل قصص الف ليلة وليلة، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، 2000، ص197.

(2) نبيلة إبراهيم، حكايات شعبية عربية، التراث الشعبي، مركز الفلكلور، بغداد، العدد2، 1971، ص146،147.

(3) عمر عبد الرحمن السارسي، الأسرة والمرأة في المجتمع الفلسطيني من خلال الحكاية الشعبية، التراث الشعبي، مركز الفلكلور، بغداد، العدد 11، 1975.

أما صورة الزوجة الحبيبة التي يسعى البطل للوصول إليها مهما تحمل من الصعاب في سبيل الظفر بها، فتظهر في ألف ليلة وليلة التي جسدت المرأة فيها دور العاشقة، وسنتناول هذا الجزء بشكل مفصل في الفصل الأول من هذه الدراسة.

كما تتمثل في سيرة عنترة التي ضربت مثلاً للحب العذري حب عنترة لعبلة أبنة عمه، وكان زواج عنترة منها مشروطا بتحرير نفسه من قيود التقاليد القبلية البالية، وبهذا أصبحت شريكته في الكفاح في تحرير المجتمع والأفراد من التقاليد البالية.

وهناك غيرها من صور المرأة الحبيبة كشامة بنت الملك أفراح التي أحبت الملك سيف وأحبها وتحمل من أجلها الكثير من المتاعب لكي يفي بشروط مهرها.

3. المرأة الفارسة:

شاركت المرأة الرجل في أدوار الفروسية التي حرص القص الشعبي على تقديمها، بل إن المرأة قد تصل في هذا القص إلى أن تتفوق على الرجل في هذا المجال. وبهذا يفسح الأدب الشعبي المجال للمرأة لأن تفعل ما هو قاصر على الرجال في واقع الحياة. ففي حياة (عدلة) تظهر فروسية وشجاعة الفارسة عدله في إصرارها على تخليص زميلاتها من قبضة الغولة، فذهبت لمواجهة الغولة رغم معرفتها بصعوبة تلك المواجهة، وأخذت تداعبها وتلاطفها بالكلام الحلو حتى نامت مما مكنها من الهرب هي وزميلاتها، باستثناء واحدة منهن لم تستجب لتحذير عدله من عدم تناول الطعام الذي قدمته لهن الغولة، وهذا يؤكد مدى ما تتمتع به المرأة من

ذكاء في التعامل مع الآخر وإن كان من النوع الشرس إلى جانب أنه يوكد شجاعتها وفروسيتها[1].

ويظهر الدور المثالي للمرأة في سيرة الأميرة ذات الهمة وهي فاطمة بنت مظلوم العامرية التي قادت جيش المسلمين لمحاربة الروم، وتمكنت من صدهم عن منطقة الثغور، وجعلت من ملطية مركزا لحملاتها ضد الروم، ووطنا تستقر فيها قائلة، "يا بني عمي ما في الأمر إلا أننا نحصن هذه المدينة التي ملكنها، ولانرجع نمكن فيها أحد من الكفار بعدما أخذناها، ونخلي فيها من يحرسها من الفرسان، ونعود إلى نصرة الإسلام، وقتل الكفرة اللئام فإذا قهرناهم رجعنا إلى البلد ثم نجعلها لنا وطنا"[2].

واستمرت في محارتهم حتى توفيت، ولم تنشغل بما ينشغل به معظم النساء من العشق والغرام والرغبة في الزواج.

وهناك العديد من النساء الفارسات تحدثت عنهن السير الشعبية، وأظهرت مدي بسالتهن في مواجهة العدو كالفارسة ميرونة التي تمكن من أسر الأمير عبد الوهاب وولده والتغلب عليهم والفارسة شامة بنت الملك أفراح التي ساعدت الملك سيف حتى تغلب على سعدون الزنجي وغيرهن كثير.

ويرتبط بالفروسية قدرة المرأة على ممارسة دور الرجال في الأعمال التي كانت قصرا عليهم مثل التجارة، ويتضح ذلك من حكاية الأخوين اللذان رزق أحدهما

(1) عمر عبد الرحمن الساريس، الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني، مرجع سابق، ص 168 وما بعدها.

(2) سيرة الأميرة ذات الهمة، المكتبة الشعبية-بيروت -1980م.

بسبعة أولاد ورزق الآخر بسبع بنات، وهذا الأخير كاد يفقد تجارته لولا قيام أبنته بالتنكر في زي رجل، وخرجت لتدير تجارة والدها، وأنقذته من الإفلاس[1].

4. المرأة الماكرة:

ينسب المكر والدهاء دائما إلى النساء، وبذلك يقترن الكيد بالمرأة واشتهرت بذلك عبارة كيد النساء يغلب كيد الرجال، وفيها يقر الرجال في النهاية ببراعة النساء في الحيلة والمكر، وقد أصبح هذا الموضوع محببا في القص الشعبي إلى درجة أن أفردت له حكايات بكاملها. ومثال ذلك حكاية (كيد النساء يغلب كيد الرجال)، وفيها استطاعت الفتاة بالحيلة والمكر من إرغام رجل كتب على باب دكانه (كيد الرجال يغلب كيد النساء). أن يكتب (كيد النساء يغلب كيد الرجال)، وذلك مقابل إنقاذه من ورطة أو قعتها فيها[2].

كما أن ألف ليلة وليلة قد حفلت بالكثير من الأدوار الهامة التي استخدمت فيها المرأة المكر مثل قصة هند بنت النعمان التي استخدمت مكرها للانتقام من الحجاج بن يوسف الثقفي عندما اشترطت لزواجها من الخليفة عبد الملك بن مروان أن يقود هودج زفافها إليه الحجاج بن يوسف وإمعانا في اهانة الحجاج فقد رمت دينارا من هودجها ثم طلبت من الحجاج، أن يناولها الدرهم الذي سقط منها، فلما وجده الحجاج وجاء ليناوله لها قال: " أنه دينار يا سيدتي، فأجابته بكلمتها المشهورة: الحمد لله الذي أبدلني بالدرهم دينار"[3].

(1) انظرا: نبيلة إبراهيم، حكايات شعبية عربية، مرجع سابق، ص 148.

(2) انظر: عمر عبد الرحمن الساريسي، الأسرة والمرأة في المجتمع الفلسطيني من خلال الحكاية الشعبية، مرجع سابق، ص 23.

(3) الف ليلة وليلة، م3،ص252.

وقد يقترن الكيد بالشر، ويتضح ذلك من حيلة قمرية والدة الملك سيف التي احتالت على الملك ذي يزن ورغّبته في الزواج منها، وكانت تضمر قتله، وكذلك فعلت مع ولدها عندما دبرت له الحيلة تلو الأخرى، وكانت تنوي التخلص منه حتى لا ينازعها في الملك.

ومن صور الكيد المقترن بالشر ما قامت به سعاد أخت التبع حسان التي استخدمت كل قدراتها في الدهاء والمكر لتوغر صدر جساس وتحرضه على قتل كليب الذي كان مختلفا معه، وكانت تسعى للتخلص من كليب انتقاما لمقتل أخيها، فقدت تعتمد إرسال ناقلتها لترعى في بساتين كليب الذي حذر المساس ببساتينه ةتةعد كل من يدخلها بقتل ناقته.

ثم أدخلت ناقتها عمداً لترعى في بساتين كليب بقصد إشعال الفتنة، وذهبت إلى جساس تبكي وتنوح وتذكره بحمايته لها، فثار جساس لذلك وقتل كليب زوج أخته لقتله ناقة سعاد[1].

وتعد دليلة بنت شهروان نموذجا كاملا للمرأة المحتالة، حيث استخدمت نماذج متعددة من الحيل والدهاء للوصول إلى مقدمية درك بغداد وتمكنت من تحقيق ذلك، وكادت على (على الزيبق) بحيلتها لولا تصدى أمه فاطمة لمكايدها من أجل أنقاذ أبنها[2].

وهناك العديد من الصور التي توضح كيد المرأة ودهائها وقدرتها على تحقيق ما تريد عن طريق الدهاء والمكر.

(1) ضياء عبد الله خميس، صورة المرأة في السرد العربي القديم، رسالة ما جستير، الجامعة الأردنية، عمان، 1999، ص64، 65.

(2) المرجع السابق، ص66.

5. المرأة الغيور:

وتقترن الغيرة بالمرأة كما يقترن بها الكيد، وقد تكون الغيرة هي الدافع وراء استخدام المكر والدهاء من أجل الوصول إلى حبيب أو المحافظة عليه قبل أن تظفر به امرأة أخرى، وقصص ألف ليلة وليلة مليئة بالموقف التي تسعى فيها المرأة للحفاظ على حبيبها، فالسيدة زبيدة من قصة (التاجر وأبنه غانم) تستعين بعجوز لقتل الجارية قوت القلوب لتبعدها عن زوجها هارون الرشيد الذي أحبها حبا شديدا، فعدمت العجوز إلي حيلة أدعت بها أن قوت القلوب ماتت، ودفنت عروسا خشبية لتوهم الرشيد بموتها، ولبست السيدة زبيدة ثوب الحداد لتؤكد موت الجارية عند زوجها الرشيد[1].

كما أن طامة سرقت القلنسوة السحرية الخاصة بالملك سيف والتي تساعده على الإختفاء انتقاما منه لرفضه الزواج منها قبل شاملة، كما قامت الجيزة أبنة الحكيم (اخميم الطالب) بسرقة اللوح المطلسم الخاص بالملك سيف، لأنه رفض الزواج منها، وطلبت من عيروض خادم اللوح قتل الملك سيف.

6. المرأة الساحرة:

إن من تمتلك القدرة على ممارسة السحر من النساء توصف بقدرتها الخارقة وإمكاناتها هذه في مساعدة الآخرين أو الوصول إلى ما تريد وقد استخدمت الحكيمة عاقلة في سيرة الملك سيف السحر في مساعدة الملك سيف للوصول إلى كتاب النيل الذي طلب منه أن يحضره ويقدمه مهرا لشامه، كما استطاعت مواجهة السحرة والتغلب عليهم، وقد استطاعت بهذه القدرة الخارقة ان تحمي الملك سيف من المكايد المتتابعة التي دبرتها له أمه، إلا أن امتلاك المرأة القدرة السحرية قد يكون

(1) سهير القلماوي، ألف ليلة وليلة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1997، ص 309.

وسيلة لإيذاء الأخرين كما فعلت الكاهنة (كيهونة) التي استخدمت السحر في تحويل الملك سيف إلى غراب أسود، لأنه رفض الزواج من سيدتها الثريا الزرقاء.

كما سخرت البلقاء بنت الزرقاء قدرتها السحرية للقضاء على عنترة، واخذت حبيبته عبلة إلى الملك مسعود بن حصاد.

أما شمقردين الساحرة التي وردت في سيرة الظاهر بيبرس فقد استخدمت قوتها السحرية في لبقضاء على جيوش المسلمين.

وبهذا نرى إلى أي حد حفلت الحكايات الشعبية والسير بنماذج المرأة الشريرة والخير معا، وهي نماذج متنوعة وطريفة، كما أنها تعطي البطولة الكاملة للمرأة فيها، ونود الآن لكي تكتمل صورة المرأة في الأدب الشعبية، أن نصنف النماذج التي صاغتها الحايات الشعبية والسير الشعبية وفقا للماجالا التي انطلقنا منها، ونعني بذلك مجال الواقع ومجال الخيال لنرى إلى أي حد يلتقي المجالان معا وإلى أي حد يفترقان.

مدخل
"الرومانسية والواقعية"

أولا: الرومانسية:

كان الأتجاه الرومانسي أسبق في الثورة على قيود الكلاسيكية (التقليدية) التي سادت أوربا خلال قرن من الزمان، والتي كانت تأخذ بسلطان العقل. كما أن هذا الاتجاه من أبرز الاتجاهات وأكثرها خصوصية وتأثيرا في حركة الأدب، حيث فتح أبواب التجدد والتطور للاتجاهات التي تلته او واكبته مثل الواقعية والرمزية.

والكلمات "الرومانسية" أو " رومانتيكية" أو رومانتية "أو" رومانطقية " مسميات متشابهة الصيغة تدل على مسمي واحد، وأمام تعدد صيغ هذا المصطلح تعددت التعارف تبعا لتعدد تلك المفاهيم.

فالناقد الفرنسي بول فانتيغم يقول: " إن هذه الحركة شديدة التعقيد والتنافر والتناقض، حتى أنها تتعدى في نظر الكثيرين أي تعريف أو بالأحرى أي وصف أو أية خلاصة تصاغ في كلمات، وأورد في هذا أقوال لنقاد عدة منهم: رأي سيباستان ميرسييه "أننا نحس الرومانسية ولا نستطيع تعريفها.

ورأي "جيوبرني" أن الرومانسية تتخذ أشكالا عدة بقدر ما فيها من مؤلفين وأنها تفلت من أي تعريف واضح محدد ودقيق.

ورأي "دابو" أنها كلمة يقولها الناس جمعيا ولعنا لا نجد اثنين يقصدان بها الفكرة نفسها بالضبط.

وأخيرا يقول فانتيغم " ما أكثر الذين كدسوا محاولات التعريف منذ بداية الحركة، ففي نهاية القرن الثامن عشر كتب شليغل إلى أخيه أنه ملأ مائة سنة 1824

إن نؤلف مجلدا من التعريفات التي حاول الرومانسيون أنفسهم أن يعرفوا الرومانسية بها[1].

ويرى "فريتشايلد" أنه لن يستطاع أبدا تعريف الرومانتيكية بطريقة ترضي الجميع[2].

أما الناقد "رينيه ويلك" فإنه أفرد جزءاً كبيرا من كتابه "مفاهيم نقدية" للبحث عن مفهوم محدد لمصطلح الرومانسية، وقد بدأ دراسته لهذا المصطلح بقول (ارثر لفحوي) كلمة رومانسي تعنى أشياء بلغ في كثرتها أنها فقدت معناها[3].

أما يانكو لافرين فيقول "يعرفون الحركة الرومانتيكية بأنها تمرد ضد العادات البالية في الأدب والحياة، وأنها انتصار الخيال والعاطفة الفردية أو حتى النزوة الفردية على النظام الذهني الجاف، وأنها كراهية الحياة الواقعية التي تريد الإنسان أن يهرب منها وأنها ضمان إلى الجميل والبعيد واللامحدود. ولكنها في نفس الوقت أكثر تعقيدا وعمقا من أي تعريف من تعاريفها"[4].

ويري "هوليان" أنه لا يمكن صياغة تعريف واحد بسيط للرومانسية يفي بشموله جميع الكتاب المرتبطين بها[5].

(1) بول فانتيغم، الرومانسية في الأدب الأوروبي، ترجمة صباح الجهيم، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1981، ج1، ص 5،15.

(2) عبد الرحمن العمراني، السمات الفنية للقصيدة الرومانسية في اليمن، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، 1991، ص7.

(3) رينيه ويلك، مفاهيم نقدية، ترجمة محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 110، 1987، ص181،68.

(4) يانكولافرين، الرومانيكية والواقعية، ترجمة حلمي راغب حنا، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1995 ص 18.

(5) عبد الرحمن العمراني، مرجع سابق.

والدارسون العرب كان لهم أيضا إسهام في محاولة تحديد مفهوم الرومانسية منهم.

محمد غنيمي هلال الذي يري أن "الرومانتيكية مذهب أدبي من أخطر ما عرفت الحياة الأدبية العالمية، سواء في فلسفته العاطفية ومبادئه الإنسانية، أم في آثاره الأدبية والاجتماعية ومن العسير أن نعطي تعريفا قصيرا لهذا المذهب الأدبي المعقد الجوانب"[1].

ويقول أيضاً "من العبث حقا محاولة فهم الرومانتيكية بحصرها في تعريف خاص، لأن معرفتها تحتاج إلى الألمام باتجاهاتها، وربط هذه الاتجاهات بالحقائق التاريخية والأجتماعية، ليمكن فهم الروح الرومانتيكية في خصائصها واستجابات للحاجات الفنية في المجتمع"[2].

كما يصف الرومانتيكية قائلاً: "للرومانتيكية روحا عامة تسيطر على مشاعر الرومانيتكي وآرائه، وهي مرتبطة أشد الارتباط بالتاريخ وبالحياة الأجتماعية وبالتأمل في ميراث الأدب الرومانتيكي تظهر خصائصه واضحة جلية تميز كل التميز عن الأدب الكلاسيكي من قبل وعن الأدب الواقعي من بعد"[3].

ويتحدث عن رغبة الرومانتيكيين في التعبير الأدبي قائلاً: "الرومانتيكيون في أدبهم لا ينشدون الحقيقة التي تواضع عليها الناس وأقرها المنطق السائد، ومهما تكن من صلة بين أدبهم والحياة الواقعية فهي صلة الحالم المتحرر من حقائق المجتمع،

(1) محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية، نهضة مصر، القاهرة، بدون تاريخ، ص 3.

(2) المرجع السابق.

(3) المرجع السابق.

ومما يقدسه ذلك المجتمع من تقاليد لأنه يعيش في عالم لا هادي سوى القلب والعاطفة"[1].

أما محمد مندور فيرى أن "مدلول لفظة رومانسية ذاتها مشتقة من كلمة رومانيوس Romanus التي أطلقت على اللغات والآدب التي تفرعت عن اللغة اللاتينية القديمة، وقد قصد الرومانسيون باختيارهم هذا اللفظ عنوانا لمذهبهم إلى المعارضة بين تاريخهم وأدبهم وثقافتهم القومية أي بين الرومانسية، وبين التاريخ والأدب والثقافة الأغريقية واللاتينية القديمة، التي سيطرت على الكلاسيكية وقيدت أدبها بما استنبط منها من أصول وقواعد"[2].

ويرى أيضا "أن الرومانسية لم تكن ثورة على مصادر الاستحياء والمحكاه الكلاسيكية، وعلى أصول تلك الكلاسيكية فحسب، بل كانت ثورة على كافة القيود الفنية، وأصول الصنعة الدبية، حتى ليمكن القول بأن الرومانسية قد كانت حالة نفسية وتعبيرا عن تلك الحالة أكثر من كونها مذهبا أدبيا أصولا فنية محل أصول أخرى"[3].

ويضيف قائلا :"الرومانسية لا تريد أن تتحدث عن الإنسان في ذاته، ولا عن مشاعر الإنسان في ذاتها، بل عن أفراد البشرية وأفراد العواطف والأحاسيس، وذلك تريد أن تضفي على كل إنسان لونه المحلي"[4].

(1) المرجع السابق.

(2) محمد مندور، الأدب ومذاهبة، نهضة مصر، القاهرة، 2004، ص59،60.

(3) المرجع السابق.

(4) المرجع السابق.

ويصف الرومانسيين فيقول "لا يرون الأدب والفن محاكاة للطبيعة والحياة، بل خلق وأبداع ووسيلتهما ليست الملاحظة والتأمل، بل الألهام المبدع والخيال الخلاق"[1].

وينتقد محمد مندور الرومانسية قائلا: "فزعمها أن الأدب وحي وإلهام وخلق، لا صناعة ومحاطاة ونظام، قد انتهي بها عند المقلدين وضعاف الملكات إلى إهمال الصياغة اللغوية وجامليات ومتانتها، كما أدي بها احيانا إلى ما يشبه هذيان الحس واضطراب العاطفة والتحرر من كل نظام إلى الفوضى القبيحه. كما أدى بها إلى استخدام الأدب والشعر في التعبير عن الذات او الأنا الضيقة المحدوده، وإلى إنزالها الأدب والشعر إلى مستوى الوسيلة الرخيصة بدلا من أن يظل الأدب والشعر شيئا مقدسا، مكتفيا بذاته كغاية سامية عي خلق الجمال ونحته من اللغة"[2].

ويرى إمام عبد الفتاح إمام أن الرومانسية "ببساطه طريقه في التفكير تبرز أهمية المشاعر والانفعالات أو القلب في الحياة البشرية، وتقلل من أهمية دور العقل والرأس، ويمكن اتخاذ عبارة بسكال الشهير " للقلب مبرراته التي لا يعلم عنها العقل شيئا "شعارا للرومانسية، ومع ذلك فهذه النظرة ليست خاطئة، وإنما هي تلفت النظر بقوة إلى جوانب حقيقية في الرومانسية"[3].

ويرى ياسين الأيوبي في كتابه مذاهب الأدب أن " الاهتداء إلى تعريف الرومانسية خارج عن إطارها أمر صعب، لأن جوهرها يرفض القيود والحدود"[4].

---

(1) محمد مندور، النقد والنقاد المعاصرون، نهضة مصر، القاهرة، 1997، ص184.

(2) محمد مندور، الأدب ومذاهبه، مرجع السابق.

(3) عفاف عبد المعطي، واقعية القاع في الرواية المصرية الأمريكية، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، 2004.

(4) عبد الرحمن العمراني، مرجع سابق.

وترى نبيلة إبراهيم أن الرومانسية "تخلق للإنسان عالما سخريا جميلا بعيدا كل البعد عن عالمنا الواقعي، استطاع فيه أن يلغي كل ما يحس به في عالمنا في قيود زمانية ومكانية، وكل ما يشعر به من من ظلم ونقص في حياته"[1].

أما محمد حسن عبد الله فيقول عن الرومانسية "أنها شاملة زلزلت كل ما استقر في المجتمع من عقائد وأفكار لا مبرر لها، وأخضعت كل شيء للتساؤل، وبذلك ساعدت في نشر العدل الاجتماعي وهدم الطبقات الطفيلية، ويسرت طريق الطبقة الوسطى لتملك مقاليدها، فكانت ذات طابع إنساني وشعبي معا"[2].

ويري صلاح فضل أن الرومانيكية "لم تكن سوى تعبير حاد عن تأزم المشكلة الفردية في ظل الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية لأوربا الغربية في القرن الماضي، والرغبة في التحرر من القيود الكلاسيكية التي كانت قد أرهقت روح الإبداع الفني بشروطها المتعسفة"[3].

ثانيا: الواقعية:

أ. نشأة الواقعية الغربية وتطورها:

نشأت الواقعية حينما بدأ الوعي العام يتفاعل مع الواقع، وأصبح لا زماً على المبدع أن ينظر برؤية حقيقية إلى ما حوله وعلى ذلك ظهرت الواقعية، ولم يتحدد مدلولها بدقة إلا عندما نشر الكاتب الفرنسي، "شامفلوري" مجموعة من المقالات في مجلد أطلق عليه اسم "الواقعية" في 1857، كما أصدر مع أحد أصدقائه

(1) نبيلة إبراهيم، قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، دار الفكر العربي، القاهرة 1973، ص49.

(2) محمد حسن عبد الله، الواقعية في الرواية العربية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1991، ص 30،31.

(3) صلاح فضل، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، القاهرة، 1980، ص 5،6.

مجله قصيرة العمر تحمل نفس التسمية الواقعية، وقد تبلورت هذه الكتابات النقدية المبادئ الأولى للواقعية، أهمها أن الفن ينبغي أن يقدم تمثيلاً دقيقاً للعالم الواقعي، ولهذا يجب أن يدرس الحياة والعادات من خلال الملاحظة الدقيقة والتحليل المرهف.. ويجب أن يؤدي هذه الوظيفة بطريقة موضوعية خالية من العواطف والنزعات الشخصية[1].

وكان "بلزاك" أول الكتاب الذين جعلوا الواقعية مصطلحاً وشعاراً لكتاباته فكان "أول الذين تذوقوا رغبات معاصريهم وفهموا، ووزنوا إدراكاتهم بميزان دقيق، وكان أول من أعلن أن فكرة اقتصار الروايات على درس الأحداث الغرامية وتحليل رغبات القلوب والنفوس فكرة اقتصار الروايات على درس الأحداث الغرامية وتحليل رغبات القلوب والنفوس فكرة خاطئة من أساسها، وصرح بأن حول الإنسان أجواءً أخرى غير جو الحب يستطيع أن ينشر فيه اجنحته، وبأن الكتب التي تقتصر على العناية بناحية الحب دون غيرها من نواحي الحياة تكون محصورة في إطار ضيق مع اتساع إطارات الحياة وانفساح ارجائها، لأن السماء أرفع من أن تكون مهمتها أن تبدع الناس ليعشوا، وإنما هي ابتدعن الإنسان ليكون قادراً على الاستيلاء الكامل على أزمة الطبيعية، وهي لذلك خلفته على الأرض مزوداً بمواهب: العقل والتفكير والقوة والإرادة وأباحت له كثيراً من وسائل هذا الاستيلاء، فقصر مهمته في الأرض على العشق إذن شهادة منه بضآله رسالته وهبوط قيمته وصغر الحكمة الإلهية: والكاتب الذي يحترم نفسه ويحترم نوعه الإنساني هو الذي يرسم في مؤلفاته أهواء الحياة ومناحي قوتها وضعفها[2].

---

(1) صلاح فضل، مرجع سابق.

(2) محمد غلاب، الروايات الواقعية في القرن التاسع عشر، الدار القومية، القاهرة 1960، ص 37،38.

لذلك فإن " مقدمته التي كتبها عام 1842 لمجموعته القصصية الكبري : الكوميديا البشرية" والتي أذاع فيها هذا المصطلح لأول مرة بمثابة الإعلان عن المذهب الواقعي، كما كانت مقدمة "كرومويل" لفيكتور هوجو "هي إعلان الرومانتيكية"[1].

ثم جاء (فلوبير) الذي كان يرى أن " الأدب المحترم هو الذي يشبه المرآة الصافية التي تنعكس عليها صورة الحقيقة في غير تعصب ولا أكتراث، وأن تصوير الحقائق يجب أن يسبق برؤيتها عن قرب، وإلا كان مفقود القيمة"[2].

ويرى أيضاً أن على "كاتب أن يجعل الحقيقة الواقعية سوراً متيناً يحيط بمؤلفاته مع جميع جوانبها إحاطة تامة وأن لا يسمح لاضاليل الخيال أن تتسرب إليها وألا يقبل من ذلك الخيال ألا ما لايتعادى مع الواقع"[3].

ولذلك فإنه قد تم محاكمته على قصته "مدام بوفاري عام 1857 هذه المحاكمة التي جعلت من الواقعية قضية العصر في القرن التاسع عشر"[4].

وبدأ صدى الواقعية الفرنسية يتردد خارج فرنسا، ففي الولايات المتحدة الأمريكية " تحمس لها بعض النقاد الذين تزعمهم "هنري جيمس" 1864 الذي نصح بدراسة النظام الواقعي الشهير، موجهاً حديثة إلى أحد القصاصين الشبان والذين لم يرهفوا حواسهم بالقدر الكافي لتلقي الواقع، ومن هنا اعتبر هذا الكاتب بعد ذلك حامل لواء المدرسة الواقعية الأمريكية"[5].

---

(1) صلاح فضل، مرجع السابق.

(2) محمد غلاب، مرجع سابق.

(3) المرجع السابق.

(4) صلاح فضل، مرجع سابق.

(5) المرجع السابق.

وفي ألمانيا نجد الكاتب انجلر عام 1888 يعلق على أحد القصص إذ يقول:" أنها ليست واقعية بالقدر الكافي، لأن الواقعية في رأي تقتضي بالإضافة إلى التفاصيل الجزئية تصوراً حقيقياً للملابسات والظروف النموذجية"[1].

وفي روسيا برز "ديستويفكي" عام 1863 الذي رفض الطبيعة الفوتوغرافية، ودافع عن اهتمامه الحي بالعناصر الخيالية الفريدة، ويقول" إن تصوري عن الواقع والواقعية يختلف إلى مدى بعيد عن تصورات نقادنا وكتابنا الواقعيين، فمثاليتي أكثر واقعية من واقيتهم" ثم يشير إلى عمق تناوله للقضايا إذا قورن بسطحية تصويرهم للحياة ويضيف قائلاً:" يطلقون على خطأ الكاتب السيكولوجي، بينما أنا في حقيقة الأمر واقعي باسمى ما تعنيه الكلمة، إذا أنني أصور أغوار النفس البشرية العميقة:"[2].

ثم واصل التيار الواقعي تطوره عند الغربيين حتى انتهى عند أميل زولاً في النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى مذهب الطبيعية، الذي كان يرى أن كلمة الواقعية:" لا تتحقق لدى أي مؤلف إلا إذا رجع كل صور كان يرى أن كلمة الواقعية "لا تتحقق لدى أي مؤلف إلا إذا رجع كل صور عقليات أبطاله وتصرفاتهم وأخلاقهم وأحكامهم على الأشياء إلى أساس واحد هو القانون الطبيعي الذي لا يعرف المتخلف، ولا الإستثناء، والذي يهزأ بكب النظريات الخالية المجردة"[3]. ولكن هذا المنهج للواقعية "أدى إلى نتيجة قاسية متمثلة في جو التشاؤم الذي غلب على نتاج أدبائها"[4]. لذلك ظهرت الواقعية الإشتراكية وكان

---

(1) المرجع السابق.

(2) المرجع السابق.

(3) محمد غلاب، مرجع سابق.

(4) محمد حسن عبد الله، مرجع سابق.

من المنادين بها" سيمونوف" الذي يرى أن الواقعية" وإن كانت تتخذ مضمونها من حياة عامة الشعب ومشاكله، إلا أن روحها روح متفائلة تؤمن بإيجابية الإنسان وقدرته على أن يأتي بالخير، وأن يضحي في سبيلة بكب شيء من غير يأس ولا تشاؤم ولا مرارة مسرفة"[1].

وهكذا أصبحت الواقعية تعني مفاهيم متعددة حتى صار من الصعب الحصر والتعريف، لذلك فلا عجب أن النقاد قد أشتقوا مصطلحات مرتبطة بالواقعية كي يوضحوا ما يقصدون. من هذه المصطلحات: [2].

1. **مصطلح الواقعية الجديد:** الذي صاغه الناقد الإيطالي (أرنالدو بوسيلي) ويتمثل في الوصف الصادق الحقيقي للظرف الإنساني والبيئة الاجتماعية والسياسية ودور المثقف داخلها بما يتمخض عن ذلك من أدراك تراجيدي للوجود الإنساني الذي تحده العزلة وغيبه التواصل. والعزله هنا- لا تعني بمعناها الرثائي/ الحزين وإنما بمعناها التاريخي مع ظهور الحرب باعتبارها تشويهاً أو رؤية (درامية) لما يفعله الإنسان بالإنسان.
2. **الواقعية السحرية:** أنتشر هذا المصطلح في العالم الثالث بشكل خاص ويعني نوعاً من القص يضم أحداثاً غرائبية فانتازية في سرد يحتفظ بالنغمة الموثوق بها لسرد واقعي موضوعي.
3. **الواقعية الحسية:** وتعرفها فريال جبوري غزول- انطلاقاً من قراءتها لأعمال أدوار الخراط بأنها لا تقدم الواقع الخام، بل تقدم

(1) محمد مندور، الأدب ومذاهبة، مرجع سابق.

(2) عفاف عبد المعطي، مرجع سابق.

لنا صورة من هذا الواقع تجعلنا نشعر أننا نعيشه، فهي تقدم لنا هموم الإنسان وطموحه وحبوطه وإنجازه وعجزه.

4. **واقعية القاع**: وتعني الواقعية القذرة، وقد وضح "بيل فورد" أن هذا النوع من الواقعية تحكي عن الجانب الباطني من الحياة المعاصرة، وأنها واقعية مؤسلبة وخصوصية إلى حد بعيد، مما يجعل الروايات الواقعية التقليدية تبدو بالمقارنة معها روايات باروكية مزخرفة، فكثير من كتاب هذه الواقعية القدرة يكتبون بلغة مسطحة لا إدهاش فيها، وبأساليب مفرطة بساطتها، فالجمل خالية من أي تزيين، وهي تمارس نوعاً من السيطرة المتواصلة على الموضوعات البسيطة التي تطلب منا أن تشهدها.

ب. نشأة الواقعية العربية وتطورها:

لم يستطع الأدب العربي أن يبقى طويلاً غارقاً في رومانسيته وأحلامه وهروبه، فالثقافات اتسعت والحضارة الغربية أثرت كل التأثير في عقول الناس، وقامت ثورات تحريرية كثيرة أدت إلى انكماش الإستعمار. كما أن الحرب العالمية الثانية وما نتج عنها من نشر للخراب والدمار، ونكبة فلسطين 1948 التي كانت من أكبر المؤثرات في الوجدان العربي كله، أدى ذلك كله "أن الشعب العربي بدأ يحس أن هذه الرومانسية متهربة من مواجهة الواقع، وأنها سلبية منفصلة تماماً عن واقع حياته، وأنها لم تعد الوسيلة الكافية للتعبير عن نفوسهم وآمالهم"[1]. فكان على الأدب" أن يغير دماءه وأن يتخذ وسائل للتعبير أكثر إيجابية، وأن يتحدث

(1) رشيدة مهران، الواقعية واتجاهاتها في الشعر العربي المعاصر، الهيئة العامة للكتاب، الإسكندرية، 1979.

بلسان أكثر قدرة على التعبير للصالح العام، وأكثر قدرة على خلق الوعي بالمجابهة والإندماج في الأحداث والتغيير"[1].

ويعتبر محمد لطفي جمعية في مقدمة روايته" في وادي الهموم "التي صدرت 1905 أول من دعا إلى الواقعية وفيها يقرر "أن فن الروايات منقسم إلى قسمين:

القسم الأول: يسمونه "رومانتيك:

" أي روايات خيالية والقسم الثاني يسمونه "ريالستيك" أي روايات حقيقة، فالأولى هي التي تصور البشر كما يجب أن يكونوا، لاكماهم في الحقيقة، والثانية تمثل البشر كما هم بنقائصهم ومعايبهم ومخازينهم"[2].

ثم يقول:" أنهلا يكتب عن قصة غرام طاهر وحب نقي وقلوب طيبة فهذه الأشياء ليست موجودة إلا في خيال المؤلفين، فالناس تختلط لديهم الصفات الخيرة والشريرة وقد آن الآوان ألان نترك الخيال جانباً ونكتب قصصاً عن الناس الذين حولنا ونعيش بينهم ويعيشون بيننا"[3].

وبدأ ظهور مصطلح الواقعية في النقد العربي عندما " أصدر عبد العظيم أنيس ومحمود أمين العالم كتاب في الثقافة المصرية عام 1955، وأفرد أنيس مقالين مهمين أوضح فيها صورة الواقعية في الأدب العربي فقرر أن الأدب نتاج اجتماعي، فالأديب وليد البيئة التي نشأ فيها وترعرع في احضانها، ومن المسلم به اليوم أن صور الأديب وخياله ومشاعره مستمدة من واقع المجتمع الذي نشأ فيه. والواقعية

(1) المرجع السابق.

(2) محمد حسن عبد الله، المرجع سابق.

(3) المرجع السابق.

لا تتمثل في اختيار الموضـوع، وإنما في الـشكل الـذي يـصب فيـه هـذا الموضـوع. والأسلوب الذي يعبر به الكاتب عن هذا الموضوع"[1].

وهكذا اتجه الفكر العربي نحو الواقعية، وفرضت هذه الواقعيـة علـى الأدب أن يكون ذا دور فعـال في المجتمـع، وأن علـى الأدب أن يحـس الواقـع بأحاسيسه ويعمقها ويؤصل تجربته البشرية حتى يكون فاهماً بوعي لهذا الاتجاه. وقد اختلفـت آراء النقاد والدراسين للواقعية:

فيرى غنيمي هلال أن "الواقعيـة ليـست في نقـل الواقـع بـل في الإيمـان بـأن الوقائع العادية- وخاصة في القطاعات الدنيا من المجتمع- تمثل أعمق حقائق الحياة. وبعض هذه الوقائع، بل بتصوير الشخصيات وأدراكها لموقفها، وكـل عمـل أدبـي يعد صحيحاً مشروعاً إذا صور جانباً واقعياً من الفـترة التاريخيـة الـتي عـاش فيهـا الكاتب"[2].

ويرى عبد القادر القط " أن الواقعية لا تتمثـل في اختيـار الموضـوع بقـدر مـا تتمثل في طريقة معالجته"[3].

وينظر شكري عياد " إلى السمات الأساسية للكتابة الواقعية على أنها تسجيل الظواهر الاجتماعية من عادات وأخلاق، فتعني بالبشر العاديين سواء كـانوا اخيـار أم أشرار – وهم غالباً مزيج من الخير والشر- وبالحوادث التي تقع مـن أمثـالهم أو تقع لهم سواء كانت سارة أو مؤلمة"[4].

(1) عفاف عبد المعطي، مرجع سابق.

(2) المرجع السابق.

(3) رشيدة مهران، مرجع سابق.

(4) عفاف عبد المعطي، المرجع السابق.

ويرى محمد منذور أن " الأدب الواقعي يفهم منه أحياناً أنه الأدب الذي يقوم على ملاحظة الواقع وتسجيله، لا على صور الخيال وتهاويله وأحياناً نفهم منه أنه الأدب الذي يستقي مادته وموضوعاته من حياة عامة الشعب ومشاكله حتى ليعارضوا بينه وبين أدب الأبراج العاجية أي أدب استقراطية الفكر والخيال، حيث تناقش معضلات ميتافيزيقية، او تعرض أحداثاً وبطولات تاريخية، تستقيها من بطون الكتب، بدلاً من أن تحاول قراءة كتاب الواقع المنشور أمامنا وحل طلاسمه"[1].

ويرى حسين مروة أن الواقعية "لا تؤدي مهمتها ولا تحقق مفهومها ما لم يكن هناك تلاحم بين الموقف الإنساني للكاتب وبين الموضوع الواقعي، وما لم يكن هذا التلاحم نابعاً من وجدان الكاتب وانفعاله الذاتي الذي هو مصدر الإبداع والخلق، وهذا كله يقتضي من الكاتب أن يستخدم طاقة الخيال عنده وقدرة التنظيم والتنسيق بين الجزاء التي يختارها من جوانب الموضوع لعمله الفني"[2].

ويقدم السعيد الورقي تعريفا للواقعية فيقول" أنها منهج في الإبداع الأدبي اتخذ من الواقع مسرحاً لأحداثه من خلال علاقة تفاعل بين الشخصية والحدث والواقع"[3].

ويرى أن هناك مجموعة من المفاهيم الخاصة للواقعية هي:

1. **الواقعية التسجيلية**: وهي صيغة من صيغ الواقعية التي حاولت أن تقدم تمثيلاً موضوعياً للواقع الإجتماعي، وذلك بالنفاذ المباشر في

(1) محمد مندور، الدب ومذاهبه، مرجع سابق.

(2) عفاف عبد المعطي، المرجع السابق.

(3) السعيد الورقي، اتجاهات الرواية العربية المعاصرة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1982.

الحياة والواقع ذلك النفاذ الذي يتقبل الأشياء كما تبدو لنا في الظاهرة[1].

2. **الواقعية التحليلية:** وهي تلك التي تسعى إلى إيجاد نموذج فني يعني بالتأثير المتبادلة بين حركة الفرد وحركة الواقع، وذلك بخلق العلاقات المتبادلة بين الواقع والشخصية الواقع والشخصية بإعتبار الفرد انعكاساً للواقع الإجتماعي [2].

أما شفيع السيد فإنه يطلق على الواقعية في الرواية مقولة (الواقعية الوجدانية التحليلية) ويعرفها بأنها "نوع من الواقعية يشتد فيها تركيز الكاتب على النفس البشرية، بما تحمل من نوازع وعواطف، فيعتمد إلى تتبعها والكشف عنها في مواقف الصراع المختلفة، والذات البشرية هنا بين يدي الكاتب اشبه بالجسم بين يدي الطبيب، وهم الروائي في هذا اللون من الروايات منصرف إلى تحليل عواطف النفس الإنسانية وتصوير إحساسيها المختلفة إزاء الأزمة التي تحيط بها"[3].

ويقدم إبراهيم فتحي نوعاً أخر مغايراً من الواقعية هي" الواقعية الساذجة "التي تدعو في الكتابة إلى تصوير الجوانب العادية المألوفة في الحياة بطريقة واقعية علمية مباشرة نهدف إلى أن تعكس سطح الحياة كما هو[4].

ويرى صلاح فضل أن الواقعية "بالاعتماد على مبدئها الأساسي في الإنعكاس الموضوعي وتمثل الأدب للواقع- أيا كان موقعة وزمانه – فإنها تتجاوز

(1) المرجع السابق.

(2) المرجع السابق.

(3) عفاف عبد المعطي، المرجع السابق.

(4) المرجع السابق.

جميع الحدود الإقليمية والتاريخية، ويصبح في مقدور أي مجتمع اختمرت فيه مبادئه الجمالية أن يرى نفسه في مرآتها بطريقة صافية ومركزة[1].

ويذكر أن الواقعية تتميز بخصائص هي:[2]

1. أنها من أشد المذاهب الأدبية حيوية وأطولها عمراً، فقد عاصرت الرومانتيكية ورثتها، وشهدت الطبيعة ورثتها، وتأملت مولد غيرها من المذاهب الموقوتة التي لم تعمر، دون أن تفقد قدرتها على التجديد والإبتعاث وامتصاص ما في التجارب الأخرى من عناصر صائبة وتجديدات سديدة، من هنا تعددت وجوه الواقعية وتنوعت أصولها، واتسمت في تطورها بالخصوبة، ولم تقتصر على دورها في الماضي، وإنما امتدت لتحتضن إنتاج الغد بما احتوته من نزعة مستقبلية أصلية.

2. أن الواقعية إذا كانت تدين في نشأتها لظروف تاريخية موضوعية مربها المجتمع الأوروبي في القرن التاسع عشر، فإنها بما تمخضت عنه من مبادئ جمالية أساسية قد أصبحت ذات صبغة عالمية شاملة وتتفق معه نبيلة إبراهيم فتقول أنه ربما كان أهم ما يميز هذا المنهج قدرته على الصمود والبقاء في وجه التيارات النقدية الأخرى التي تظهر وتختفي في حين يزداد المنهج الواقعي رسوخاً، كما أكدت الحقبة الطويلة التي تثبتت فيها دعائم هذا المنهج مرونته وقدرته

(1) صلاح فضل، مرجع السابق.

(2) المرجع السابق.

على استيعاب التطور الذي اعترى النمط القصصي خلال حقبة طويلة من الزمن"[1].

(1) نقلا عن عفاف عبد المعطي – رؤية الواقع في الرواية المصرية الجديد (1970–1995) أطروحة الدكتورة غير منشورة– جامعة المنصورة– كلية الآداب–2002 المقدمة.

الفصل الأول

التصوير الواقعي للمرآة في ألف ليلة وليلة

الفصل الأول

التصوير الواقعي للمرآة في ألف ليلة وليلة

حفل الأدب الشعبي بدراسة نماذج المرأة بجانبيها الخيالي وهو ما حكته العديد من القصص منها ألف ليلة وليلة بالإضافة إلى الجانب الواقعي الذي يصور واقع المرأة الفعلي، وهو ما سنتحدث عنه تفصيلا في هذا الفصل.

المبحث الأول
المرأة في ألف ليلة وليله

تعد ألف ليلة وليلة من أعظم ما خلفه لنا التراث العربي، فهي فضلا عن أنها تعد سجلا حافلا بالحياة العربية في أزهي عصورها وأغناها فنا وثقافة، فهي تعد فخرا حافلا بمتعة القص وشاهداً على غني الخيال العربي وخصبة وبعد إدراكه في قيمة توصيل الفن للمتلقي، فلم تترك ألف ليلة وليلة مكانا على أرض الواقع بدءا بقصور الخلفاء والامراء ونزولا إلى الأسواق والمقاهي وبيوت العامة والخاصة، إلا وجمعت بينها في حكايات يتولد بعضها من بعض وكأنها متولده من حركة الزمن التي لا تنتهي. ولم تكن تلك العمارات الفاخرة والبيوتات الفنية النادرة والمقاهي والأسواق مقصودة في حد ذاتها، بل إنها صورت بوصفها الأمكنه التي تجمع بين الناس في وحدة واحدة تسمي البشر ومن خلال هذا الخليط ومن بين تلك العلاقات تتجلي المتناقضات والفوارق والاختلافات البشرية.

ولم تكن المرأة بمنأى عن هذه الحياة بل أنها تقع في لبها إلى درجة أنه يمكننا أن نرى من ألف ليلة وليلة كتاب المرأة الأول. ذلك لأنها عبرت عن " واقع المرأة المقهورة من قبل مجتمع وضع أمامها الكثير من الروادع الدينية والأخلاقية والإجتماعية بدءا لحكاية الإطار، وانتهت بألف ليلة وليلة من الحكي أو القص"[1]. ومع ذلك فقد فتح القص المجال للمرأة لأن تتحرر من خلال اللغة والفعل القصصي.

---

(1) محمد رجب النجار، قصص الحب في الليالي، مجلة النقد الأدبي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، العدد1، 1994.

فالحكاية الإطار (شهريار وشهرزاد) تنطلق من رؤية تشكك في طبيعة المرأة إذا تصفها بالخائنة وترى أن الخيانة طبيعة مركبة فيها، ويبدو أن القاص قد تأثر "بالحكايات والثقافات السابقة التي حفلت بالعديد من قصص الخيانة الزوجية"[1].

وتستند الحكاية الإطار في ذلك على ثلاث حكايات هي حكاية شهريار مع زوجته عندما رآها وهي تخونه مع عبد أسود، وحكاية زوجة أخيه شاه زمان عندما رآها شهريار أيضا وهي تخونه أخاه. وحين قرر الملكان أن يهجرا مملكتيهما بحثا عن التأسي، ولكنها صادفا مأساه ثالثة تؤكد ظنونهما في المرأة أنها خائنة كما تجلي لهما أن الرجل وإن يكن ماردا أو ملكان فهو عاجز أمام كيد المرأة، فعلي الرغم من المارد وضع عروسه التي اختطفها في صندوق عليه سبعة أقفال، ورمى الصندوق في أعماق البحر، فإن كل هذا القيد المكاني لم يمنع المرأة من أن تخون العفريت زوجها، بل وتفتخر أنها فعلت فعل الخيانة قبل لقائها بالملكين مائة مرة، فيعود شهريار بهدف الانتقام فيقتل زوجته.

وبعدها يقرر أن يتزوج كل ليلة بفتاة عذراء يقضي معها ليلته ثم يسلمها لوزيرة في الصباح ليقتلها. يستمر الحال على هذاف النحو ثلاث سنوات حتى أتي الدور على أبنة الوزير (شهر زاد) التي أصرت على الزواج من هذا الملك الظالم المتغطرس فأما أن تنقذ بنات جنسها، أو تكون ضحية مثلهن، وتزوجت شهرزاد بالملك شهريار، لكنها لم تكن مثل غيرها من النساء فقد كانت خبرة بوضعة النفسي، فاعتمدت على فطنتها ومعرفتها وقراءتها الواسعة.

ثم أتتها فكرة شيطانية تبعد بها عن شبح الموت، لقد قررت أن تبدأ في تسلية الملك بقص الحكايات وأن توصل الليلة بالأخرى من خلال الامتداد بالقص

(1) جمال الدين بن الشيخ، ألف ليلة وليلة، ترجمة محمد برادة وآخرون، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، 1998.

تعمدت أن لا تخلو قصصا أخرى عن وفاء النساء وذكائهن، وقد كانت هذه القصص مشوقة له لدرجة أنها أثارت عنده ولعا بهذا الفن لمدة ألف ليلة وليلة"[1].

ونلاحظ من خلال هذه القصص أن المرأة قامت بعدة أدوارٍ في الليالي اعتمد القاص فيها على أساسين:

الأساس الأول: أن تكون نماذجها نابعة من كل المستويات الشعبية، فضلا عن تغذيتها بنماذج من وحي حياتها.

الأساس الثاني: أن تكون هذه النماذج جميعها، خيالية كانت أم واقعية ممثلة لوعى المرأة الشديد بأنها مشاركة للرجل في كل مظهر لها.

وقد تتفق الأدوار في كثير من النماذج ولكن المقدرة الفنية في القص تجعلها تختلف لاختلاف السياق والعلاقات، فشواهي في قصة عمر بن النعمان هي عجوز الحجاج في نعم ونعمة، وكذلك تودد العالمة هي نزهة الزمان وهي احدي جواري النعمان، وهذا يعنى أن الليالي صورت نماذج من المرأة لكنها لم تصور نساء بأعينهن بل في صورة الجارية والعالمة والعجوز الماكرة وغيرها.

ويمكننا أن نقسم الأدوار التي قامت بها المرأة في ألف ليلة وليلة إلى أدوار رئيسية وأخرى فرعية على النحو التالي:

أولا: الأدوار الرئيسية للمرأة في الليالي:

وتنقسم إلى دورين هما:

1. العاشقة (الحبيبة):

ربما كان أكبر دور قامت به المرأة في الليالي هو دور العاشقة، وعلى الرغم من أن الصورة العامة للمرأة في هذا الدور نمذجة؛ فهي تقع في الحب هي وحبيبها لأول وهلة، ثم يلي ذلك فراق تعدد أسبابه وأشكاله، وقد يتعدد افتعالا لمجرد

(1) محسن جاسم الموسوي، الوقوع في دائرة السحر، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1987.

الإطالة، ثم تنتهي مشاهد عذاب الحب آخر الأمر بلقاء لا يفرق بينهما فيه إلا هادم اللذات ومفرق الجماعات (الموت).

وعلى الرغم من نمذجة هذا الدور وفقا للخطوات التي ذكرناها فإن تجربة العشق تتوزع في الحكايات بين:

أ. الحب الجسدي:

الحب الجسدي أو الشهواني في الليالي هو" الذي يتوقف الحب في محطة واحدة لا تتجاوزها، هي محطة الاشباع الجنسي المجرد نظير ثمن معلوم مادي أو معنوي"[1]. وهذا النوع من القصص تدينه الليالي ولا تعترف به، ولا تبرئ المرأة منه بقدر ما تدين الرجل، ومن هذه النماذج:

1. حكاية الصعلوك الثاني منة قصة الحمال والبنات الثلاث: حيث اختطف العفريت فتاة من بين أهلها وحبسها في كهف مظلم تحت الأرض، لا يزورها إلا كل عشرة أيام لمدة خمسة وعشرين عاما، فما عثرت على رجل بادرت بالهرب معه من ذلك السجن، لأنها محرومة من الدفء العاطفي مدة خمس وعشرين سنة، وعندما اكتشفهما المارد ضحت بحياتها من أجل ذلك الرجل الذي انقذها.
2. حكاية زوجة الوزير في قصة الحشاش مع حريم بعض الأكابر، عندما خانها زوجها مع بعض خادمات المطبخ، فلما شاهدته أحست أنه طعنها في كرامتها، وأهدر كبرياءها فما كان منها إلا أن أقسمت أن تخونه في فراش الزوجية مع أقذر الرجال.

(1) محمد رجب النجار، قصص الحب في الليالي، مرجع سابق.

ونستخلص من هذه الحكايات أن " المرأة ليست خائنة بطبيعتها، بل قد تلجأ للخيانة بدافع الانتقام لآدميتها المهدرة التي لا يريد المجتمع أن يعترف بها"[1].

وهناك أنواع أخرى من النساء تكلمت عنها الليالي، هذا النوع تنفر منه بل أنها تعاقبه بالقتل، كما في حكاية " وردان الجزار" الذي دفعه فضوله لمعرفة حكاية المرأة التي كانت تأتي إليه كل يوم، وتأخذ منه بدينار خروف، فاكتشف أنها تعاشر دبا جنسيا، ولما فشل في محاولة اقناعها بالتوبة والزواج به قتلها، وقد كوفئ على عمله هذا عندما ورث ثروة كبيرة استطاع أن يشتري بها سوقا باسمه (سوق وردان).

ب. الحب العذري:

الحب العذري هو نقيض الحب الجسدي وهو " حب يعلو فوق متطلبات الغريزة الجنسية إذا ما فشل العاشقان في التحقيق والتوحيد بالإرتباط والإندماج والاقتران بالزواج، نتيجة ظروف اجتماعية أو سلطوية قاهرة، خارجة عن إرادة العاشقين"[2].

ففي حكاية علي بن بكار وشمس النهار، تنشأ علاقة حب بين علي وشمس، وهذه العلاقة حكم عليها بالفشل، لأن شمس من محظيات أمير المؤمنين هارون الرشيد، الأمر الذي الهب نيران العشق والهيام بين العاشقين، ورغم لقائهما السري مرات عديدة، المراسلات الطويلة بينهما، والمبيت احيانا في بيت خاص، إلا أن هذه العلاقة ظلت طاهرة وعفيفة، مما أدى إلى معاناة العاشقين، وزاد من

(1) المرجع السابق.

(2) المرجع السابق.

معاناتهما عندما قرر الخليفة أخذ شمس لديه في دار الخلافة، حينها هرب على خارج المدينة، ومن شدة ألم الفراق مات الأثنان في يوم واحد.

وتتعاطف الليالي مع هذا النوع من الحب، لكن رغم شعبية هذا النوع- لما فيه من تمجيد للعفة والطهارة – إلا أن مثل هذا القصص لم يرد في الليالي إلا مرتين فقط والسبب يرجع إلى الآتي[1]:

1. واقعية الليالي في عرضها لقصص العلاقة بين الجنسين.
2. أن هذا الحب مثالي غير واقعي، فهو ليس سوى ظاهرة أخلاقية لا تتحقق في الواقع العملي إلا نادرا، خاصة في مجتمع تجاري كمجتمع الليالي.

حقا إن هذا الحب له بصماته في الشعر العربي الأموي والعباسي ومن ثم كان له صداه في حكايات الف ليلة وليلة، ولكن ما حكي عن هذا الحب شعرا ونثرا كان يمثل جانب العاطفة المثالية النادرة وسط بحر متلاطم من العواطف الحسية الصاخبة.

جـ. الحب العاطفي:

هذا النوع من الحب هو الأكثر ذيوعا في الليالي، باعتباره يحكي عن الحب الطبيعي والواقعي، لكن ذلك الحب يقف أمامه الكثير من القيود الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية، وكل هذه القيود تحد من تحقيق الرغبات وإشباع الحاجات خاصة في العصور الوسطى الإسلامية[2].

---

(1) المرجع السابق.

(2) المرجع السابق.

وعليه فإن على العاشقين التصدي لهذه القيود ومحاولة التخلص منها حتى يستطيعوا الوصول بحبهم إلى بر الأمان، وهذا النوع من القصص ينتهي دائما بنهاية طبيعية وهو الزواج، ويتميز بأن أحداثه تدور في عالم طبيعي واقعي، وقصص هذا النوع كثيرة في الليالي، منها حكاية (على نور الدين ومريم الزنارية).

وتحكي الحكاية أن مريم الزنارية أبنة ملك الافرنج، أسلمت وهربت مع أحد التجار إلى بلاد المسلمين، وطلبت منه ألاّ يبيعها إلاّ إلى رجل تريده.

ثم عرضت في سوق الإسكندرية، فكان كلما تقدم تاجر لشرائهارفضته حتى وقع بصرها على شاب مليح حسن الصورة أسمه (على نور الدين)، هذا الشاب كان هاربا هو الآخر من والدة لأنه كان يشرب الخمر فهدده أبوه بالقتل فتقدمت مريم إلى على وطلبت منه أن يشتريها، أجابها بأنه لا يملك شيئا من المال ليشتريها، فأعته مالا فاشتراها.

كما أعطته مالا ليشتري ببعضه حريرا وبالباقي طعاما وشرابا، وعندما وصولهما البيت أكلا وشربا، ثم صنعت مريم من الحرير زناراً جميلاً.

وفي اليوم التالي أعطته لعلي لبيعه، وحذرته من بيعه لرجل غريب مهما أعطاه من ثمن.

ذهب علي إلى السوق وباع الزنار، وفي يوم رآه رجل عجوز مجوسي وهو يبيع الزنار فعرفه، فأخذ يزيد في ثمنه حتى سلم علي بالثمن وباعه للرجل، ولهذا وقع في المحذور الذي حذرته منه مريم، فقد حدث أن الرجل تبع علياً بعد ذلك حتى عرف مسكنه، ثم أتى المنزل فيما بعد وعلي غير موجود به، وأخذ مريم وهرب، حزن علي على فراق مريم وقرر اللحاق بها، وعند وصوله إلى بلاد الأفرنج هربت مريم معه إلى بلاده، بل إنها حاربت والدها وأخوتها حتى لا تتركه.

ثم عاشت مع زوجها في هناء وسرور حتى فرق بينهم هادم اللذات ومفرق الجماعات.

د. الحب الخرافي:

الحب الخرافي لا يختلف عن الحب العاطفي "إلا في وجود العنصر الخارق إذ يحل محل القضاء والقدر في كونه موجهاً للحكاية، ويزيد عنه في كونه عنصراً مشاركاً في صياغة الأحداث والشخوص، وفي كون البطلة أو المعشوقة من عالم الجن أميرة أو ملكة؛ ومن ثم تقع معظم أحداثها ومغامراتها في مماليك الجن العجيبة من ساعات اللقاء الأولى حتى النهاية السعيدة"[1].

كما في حكاية (سيف الملوك وبديعة الجمال):

وسيف الملوك أبن ملك رزق به والده بعد طول انتظار. وعندما أصبح شاباً يافعاً سلمه والده مملكته بوصفه خليفة له. وذات مرة رأى سيف الملوك في خزانة والده صورة لفتاة كانت قد أهديت لوالده، وسرعان ما عشق تلك الصورة وصاحبتها وأخبر والده بذلك. تعجب الأب، لأن صاحبة الصورة كانت من الجن ولا يمكن الزواج بها، لكن سيف الملوك صمم على الذهاب للبحث عنها والزواج بها حتى وإن كانت من الجن. وإزاء هذا الإصرار لم يملك والده إلا الموافقة، وخرج سيف الملوك للبحث عن بديعة الجمال- صاحبة الصورة – فذهب إلى بلاد الصين وبلاد الهند، وواجه مصاعب كثيرة، وفي طريقة رأي قصراً فدخله، ووجد فيه فتاة جميلة وحزينة، لأن مارداً اختطفها من أهلها وحبسها في ذلك القصر، فأشفق عليها سيف الملوك وانقذها من ذلك المارد، وعندما سألت الفتاة واسمها دولة خاتون عن سبب مجيئه إلى تلك البلاد البعيدة، أخبرها بقصته فبشرته دولة خاتون بأنه وصل إلى

(1) المرجع السابق.

مطلبه، حيث أن بديعة الجمال أختها من الرضاعة، ووعدته بأن تساعده في الإجتماع بها. فرح سيف الملوك وأوصل دولة خاتون إلى بلادها، وهناك زارتها أختها، فجمعتها بسيف الملوك، وأحبت بديعة الجمال سيف الملوك، بل أنها ساعدته في إقناع والدها وجدتها بالزواج منه. وتم لسيف الملوك ما أراد وتزوج بديعة الجمال.

وهذا النوع من الحكايات هو من قبيل القصص الخرافي الذي يعد نمطاً من أنماط القص الشعبي وهو كما يدل عليه اسمه يتألف من أحداث لا تقع إلا في عالم الوهم والخيال. ومن ثم فإن القاص كانت له مطلق الحرية في أن يصور فيه العوالم القريبة والحوادث الغربية التي لا علاقة لها بعالم الواقع قط.

هـ. الحب أو العشق المحرم:

وهو علاقة حب وعشق حقيقية بين الجنسين، لكنها تواجه عوائق اجتماعية ودينية، وذلك عندما تكون المرأة زوجة لرجل آخر. فالعلاقة هنا غير مشروعة، لذلك فإن المرأة العاشقة تظل تحتال بكل الطرق في هذا القص حتى تجتمع بحبيبها، وعليه يمكن القول أن هذا النوع من القصص لا يظهر الحب بقدر ما يظهر كيد النساء، حتى أن الشيطان ليعجز عن مجاراتها في هذا الأمر، فالمرأة تكيد لزوجها حتى يفقد كل أمواله أو تصل به للجنون.

ونلاحظ أن المرأة في هذا القص تمثل الشخصية الفاعلة بينما يمثل الرجل الشخصية الضعيفة المغلوبة على أمرها، كما في حكاية (قمر الزمان مع معشوقته).

وتحكي الحكاية أن قمر الزمان سمع درويشا يتحدث عن حبه لصبيه رآها في البصرة، وعن جمالها وحسنها، وسرعان ما تعلق قلبه بها فور سماعه لوصفها وعزم على أن يتزوجها.

أخذ قمر الزمان معه الكثير من المال، وخرج إلى البصرة وهناك أخذ يتحرى عن أخبار تلك الصبية، فدلته زوجة حلاق وقالت له أنها زوجة لرجل صايغ يدعى الجوهري.

فذهب إليه قمر الزمان وطلب منه أن يصيغ خاتما بفص ثمين وأجزل له في الأجرة، أحب الجوهري قمر الزمان لكرمه وحسنة وجالة، واسكنه في مسكن قريب منه، وكان يسهر معه كل ليلة ولكثرة تردد قمر الزمان على الجوهري، أحبته زوجته "حليمة" وتعلقت به، خاصة عندما عرفت أنه لم يأت للبصرة إلا من أجلها. ولما كان زوجها هو العائق بينهما، لجأت إلى الحيلة حتى تتخلص منه، فأعطت قمر الزمان سكين زوجها ليريها له ويقول له أنه اشتراها من جارية.

ثم يسلمها السكين بحيث يراها الزوج عند عودته إلى البيت، وتكرر الفعل مع ساعة قمر الزمان، وكاد الزوج يصاب بالجنون من هذه الأعمال.

وفي يوم من الأيام عاد بيته ووجده خالياً من كل شيء حتى من زوجته. قرر الانتقام منها، وأخذ يذرع الدنيا بحثا عنها حتى وجدها في بيت قمر الزمان، فاستل سيفه وقطعها نصفين لخيانتها. ثم تزوج من كوكب الزمان أخت قمر الزمان.

أما حب الحر لحر، فهذا النوع من القصص لم يذكر في الليالي إلا في قصتين تقريبا، هما قصة حب عزيزة لأبن عمها عزيز وقصة حب كان ما كان مع ابنة عمه في حكاية عمر بن النعمان، وربما يرجع السبب في ذلك "أن هذا النوع من الحب لم يكن مثار انفعال شديد، ولم ينتج عنه آثار مشوقة إلا فيما يقع بين الحبيبين من فراق، ومع ذلك لم يفتن هذا النوع قصاص ألف ليلة وليلة"[1].

(1) سهير القلماوي، ألف ليلة وليلة، مرجع السابق.

ويمكننا القول أن كثرة قصص الحب في الليالي لا بد أن يكون صدى لما كان يحدث في الحياة، إذ كانت الحياة منفتحة وعلاقات الناس بعضهم ببعض حية ومتواصلة، هذا فضلا عن أنها كانت وسيلة تسلية في حياة اجتماعية حرصت على الفصل بين الجنسين.

2. الكيد:

ذكرنا سابقا أن المرأة عُرفت بالكيد، واشتهرت بتفوقها على الرجل في ذلك. هذه الصفة لم تغفلها الليالي، فكان الدور الثاني الذي أتقنته المرأة بعد دور ممارسة العشق، ويرجع السبب في هذا إلى أن المرأة كانت تستنفذ كل امكانياتها الفكرية والنفسية في الإنتقام من الرجل بصفة خاصة والمجتمع الذي ظلمها حقوقها وحريتها بصفة عامة.

وأكثر القصص التي جمعت بين فنون الكيد والعشق عند المرأة قصة الوزراء السبعة، وكأنه قد تجمعت لدى القاص قصص كثيرة من هذا النوع فأفرد لها إطار وصبها كلها داخل هذا الإطار بعد أن أحكم صنع الإطار الذي يضمها.

أما الحكاية فتحكي أن جارية الملك اشتكت إلى سيدها أن ابنه روادها عن نفسها، وفي الوقت الذي يلوذ فيه ابن الملك بالصمت امتثالا لنصيحة أحد الحكماء، يقوم الوزراء السبعة بالدفاع عنه، فيقص كل واحد منهم قصة عن كيد النساء.

وعلى الرغم من أن الجارية كانت تدافع عن نفسها فتقص قصصا عن كيد الرجال، إلا أن قوله تعالى: (إن كيدهن عظيم)، كانت الحكم الفصل في أن كيد النساء أشد من كيد الرجال.

وسنعرض فيما يلي قصص الوزراء عن كيد النساء، أي قصص الجانب الذي يمثل الموقف الضد:

أ. قصة الوزير الأول:

يحكي أن ملكا كان يشتهي النساء، وذات مرة لمح في قصر وزيره جارية فأعجبته، فما سأل عنها عرف أنها زوجة وزيره فأراد أن يراودها عن نفسها في أثناء غيبة زوجها، فقرر أن يرسل الزوج الوزير في مهمة بعيدة.

وبعد سفره دخل الملك على زوجة الوزير، فرحبت به وقبلت الأرض بين يديه، ولما عرفت ما ينوى فعله، طلبت منه-على سبيل تدبير دسيسه للتخلص منه-أن يقيم عندها ذلك اليوم، ثم اعطته كتابا ليقرأه حتى تصنع له شيئا يأكله.

وكان في الكتاب من المواعظ والحكم ما يحرك ضميره ويرده عن فعله الآثم، فضلا عن خيانته لزوجها وهو وزيره، ثم قدمت له الطعام وكان يحتوى على تسعين نوعا من الأطعمة المصنوعة من مادة واحد.

تعجب الملك من ذلك وقال (أيتها الجارية أري هذه الأنواع كثيرة وطعمها واحد). فأجابته "إن في قصرك تسعين جارية مختلفات الألوان والغاية واحدة"[1].

عندها خجل الملك منها ومن نفسه ومن شدة خجلة نسى خاتمه الذي كان قد وضعه تحت الفرش واكتشفه الزوج عندما عاد إلى بيته فعرف لتوه السر في إبعاد الملك له في سفر بعيد، فعزف عن زوجته وهجرها.

وحزنت الزوجة ورفعت أمرها إلى أبيها الذي كان على صلة وثيقة بالملك، وانتهز الأب فرصة اجتماع الملك مع وزيره وذهب إليه رافعا إليه شكواه من الوزير وقال للملك: "أنه كان لي روضة حسنة غرستها بيدي وأنفقت عليها حتى أثمرت

(1) الف ليلة وليلة،م3.

وطاب جناها، فأهديتها لوزيرك، فأكل منها وطاب، ثم رفضها فيبست وذهب رونقها وتغيرت حالتها، عندئذ رد الزوج عليه قائلا وموجها كلامه إلى الملك وقاله له:

صدق في مقالته وإني كنت احفظها فذهبت يوما فرأيت أثر أسد هناك فخفت على نفسي منه فعزلت نفسي عنها فأجابه الملك: ارجع وأنت آمن فإن الأسد لم يقربها ولم يتعرض لها بسوء[1].

ففهم الوزير أن الملك لم يتعرض لزوجته بسوء وأنها حفظت عهده في أثناء غيابه فأنصرف عنها الملك خائبا دون أن ينال غرضه منها.

لقد أدي فن القص دوره نحو الهدف الذي يرمي إليه: فنحن إزاء نمطين من الحكايات القصيرة الشعبية التي تؤدي كل منها هدفه على حدة ثم يتلاحم النمطان ليصل بنا إلى المغزي الكلي من الموقف الذي انبثقت عنه الحكايتان.

أما الحكاية الأولى فهي تحكى على سبيل المثال الواقع الذي حدث لتقدم لنا صورة الحياة الاجتماعية المعنية بعلاقة الرجل بالمرأة وعلاقة الرجل بالرجل، فالملك لم يكن ليردعه قانون ديني أو حتى أخلاقي عن ارتكاب فعلته المشينه ولهذا دبر للزوج والزوجة تلك المؤامرة الرخيصة، فما كان من الزوجة إلا أن قابلته بمؤامرة أخرى تدل على كياسة النساء واتقانهن للسبل التي تمكنهن من التغلب على حيل الرجال.

وإلى هنا كان يمكن أن تنتهي الحكاية وتكون قد أدت دورها من القص وهو الكشف عن حقيقة العلاقة بين الرجل والمرأة في مجتمع كان ينظر إلى المرأة بوصفها جارية حتى وإن كانت زوجة وزير.

---

(1) المرجع السابق، نفس الصفحة.

ولكن الحكاية امتدت من خلال أمثولة (allegory) طريفة تعيد الأمـور إلى نصابها وتعيد العلاقات بين الأطراف الأربعة، والملك والوزير والأب والأبنه إلى ما ينبغي أن تكون عليه وذلك من خلال أمثولة تمثل حقا قمة بلاغة التمثيل من أجـل الاعتذار.

ب. قصة الوزير الثاني:

يحكي أن تاجراً كان يمشي في أسواق أحد المدن، فرأي عجوزا معها رغيفـان، فأشترى منها رغيفيها وأكلهما، وفي اليوم التـالي رأي تلـك العجـوز ومعهـا أيـضا الرغيفان، فأشتراهما، واستمر ذلك مدة عشرين يوما.

ثم غابت العجوز فسأل عنها التاجر فلم يجدلها خبرا، وفي يوم من الأيام رآها فسألها عن غيابها والأمر الذي حرمه من أكل رغيفيها، فأخبرته أن رجـلا كـان بـه جرح في جسمه وكان طبيبه يأخذ دقيقا ويعجنة بسمن ثم يضعه على ذلـك الجـرح حتى الصباح، فتأخذ العجين وتصنع منه رغـيفين وتبيعهـا فمـات الرجـل وانقطـع الرغيفان، فما سمح التاجر كلامها أخذ يتقيأ حتى مرض.

نستشف من هذه الحكاية نمطين:

النمط الأول: الجانب الواقعي الذي يتمثل في العجوز التي تبحث عن مصدر للمال بأي وسيلة فهي تأخذ الدقيق وتصنع منه أرغفة وتـذهب إلى الـسوق لبيعها لتحصل مقابلها على الثمن، فكل هذه صور لحياة واقعية عادة ما تكون موجودة.

أما النمط الثاني: الغير واقعي بل والخيالي أن يقوم شخص بأكتـساب رزقـه بهـذه الطريقة والأغـراب أن يفـصح عـن فعلتـه، فـالعجوز قـد افـصحت للتاجر بسر ما كانت تفعله وهي تعلم أن ما كانت تقوم به شيء غـير

محبذ وغير مستحسن والهدف من ذلك اثبات أن المرأة إذا ما أرادت أن تعمل شيئاً فإنها قادرة على فعلة ولن يثنبها سلطة الرجل وقوته.

ج. قصة الوزير الثالث:

يحكي أن تاجرا كان يحب زوجته حباً كبيرا، ومن شدة محبته لها كان يغار عليها كثيرا، لذلك اشترى درة على شكل طائرة تخبره بكل ما تفعله زوجته في أثناء غيابه، وذات مرة ادخلت زوجة التاجر غلاما إلى بيتها، فعندما عاد التاجر أخبرته الدرة بما رأت، فأراد أن يقتل زوجته لكنها دافعت عن نفسها وأقنعته أن من غير المعقول أن يصدق طائرا لا عقل له ولا فهم ويكذبها، وطلبت منه أن ينظر إلى اليوم التالي لتؤكد له صحة كلامها، فوافق التاجر.

وفي اليوم التالي تحدث التاجر مع الدرة الطائر فأخبرته أنها سمعت رعدا وبرقا ومطراً ولكنها لم تر أحد. ذلك أن الزوجة عندما زارها الغلام احتاطت لنفسها ووضعت غطاء على رأس الدرة توهمها بوجود مطر وبرق ورعد.

فقتل التاجر ذلك الطائر، لكن التاجر في أحد الأيام وهو عائد إلى بيته، رأي ذلك الغلام يخرج من بيته، فعرف أن زوجته خدعته بمكرها وحيلتها فندم على فعلته.

يمثل الجانب الواقعي في هذه القصة ما هو شائع في الحياة الاجتماعية من تشخيص للعلاقة بين الجنسين سواء الرجل مع زوجته والحب لها والغيرة عليها أو وجود حالات الغدر والخيانة تكون بطلتها المرأة.

اما الجانب الآخر من القصة، فيصور لنا مدى قدرة المرأة على اختلاف الأعذار وتبرير المواقف. والذي دفعها للقيام بهذا العمل الانتقام من الرجل الذي فرض عليها قيودا أصبحت مألوفة في المجتمع الذكوري تجاه المرأة.

د. قصة الوزير الرابع:

ويحكي أن حارسا من حراس الملك، كان يرسل غلامه برسائل إلى جارية يحبها، فوقعت في حب الغلام، وذات يوم ذهب الحارس بنفسه لأداء مهمته، وفوجئ بأن الغلام عندها.

فلما أحست أنه لمح الغلام أسرعت وخبأت الغلام، وأدخلت الحارس وفي تلك اللحظة دخل زوجها، فاحتارت كيف تبرر وجود الحارس عندها، واهتدت إلى فكرة تدل على ذكائها وقدرتها على الكيد، فطلبت من الحارس أن يشهر سيفه مهددا إياها بالقتل.

ففعل الحارس ما طلبت منه، ثم أسرعت إلى الباب فوجدت زوجها. وتظاهرت بفرحتها بعودته في هذه اللحظة، وأشارت للحارس بالهروب، ثم فسرت لزوجها سبب وجود الحارس مخبرة إياه أنه كان يطارد غلاما يريد قتله، ولما رأت هذا المنظر أشفقت على الغلام وخبأته عندها، وسرعان ما دلف الحارس في أثر الغلام وهو مصر على قتله في مخبأه، فدارت بينها وبين الحارس معركة كادت تفضي إلى قتلها، وها هي ذي تحمد الله أنه – أي زوجها – عاد إليها في اللحظة التي كادت تقتل فيها، وصدق الزوج هذه الأكذوبة وانطلت عليه تلك المؤامرة واسرع وأخرج الغلام من مخبأة، أما الحارس فوجد الفرصة سانحة للهروب واختفي.

توضح هذه الحكاية جانبين، يبين الجانب الأول:

صورة ما كان سائدا في المجتمع من حالات الخيانة المتكررة، وذلك بسبب كثرة الجواري في قصور الخلفاء والأمراء.

أما الجانب الاخر: يبين لنا مدى قدرة المرأة في التخلص من أي مشكلة تواجهها. فعلى الرغم من مشاهدة الزوج للحارس والغلام في بيته، إلا أن تفكيرها هداها وبسرعة إلى نسخ قصة مترابطة الأحداث استطاعت من خلالها أن تكون

صاحبة فضل وإحسان، وما أن سمع الزوج القصة حتى اقتنع بل وشكرها على صنيعها.

هـ. قصة الوزير الخامس:

يحكي أن امرأة كانت تحب غلاما محبة عظيمة، وذات يوم أختصم الغلام مع الرجل، فأخذه الناس إلى الوالي فحبسه في السجن، فلما علمت المرأة بذلك، لبست أفخر ما لديها من الثياب، وتطيبت وذهبت إلى الوالي تطلب منه أن يطلق سراح الغلام، فهي وحيدة وليس معها أحد يعولها.

وافق الوالي على أن يطلق سراح الغلام بشرط أن تلبي مطلبه تلك الليلة، ثم طلب منها أن تدخل مكانا خاليا وتنتظره، فتظاهرت المرأة بالموافقة، ولكنها اقنعته بأن تستضيفه في بيتها وحددت معه الميعاد وتركته بعد أن تسلمت منه ورقة بإمضائه بإطلاق سراح الغلام.

وذهبت على فور إلى القاضي وحدث معه مثلما حدث مع الوالي. ومن الوالي ذهبت إلى الوزير وهي تأخذ وعدا من كل منهم بإطلاق سراح الغلام. ثم إلى الملك، وبذلك أوعدت الجميع أن يأتوها في نفس اليوم وفي نفس الساعة، واستكمالا لخطة مكيدتها، وذهبت إلى النجار قبل أن تعود إلى البيت وطلبت منه أن يصنع لها خزانة بخمس طوابق بشرط أن يسع كل طابق رجلاً، وذهبت إلى الخياط واشترت منه أربعة أثواب بألوان مختلفة وفي اليوم المحدد تزينت وتطيبت ولبست أفخر ثيابها، ثم أخذت تستقبل أكابر الدولة الوالي والقاضي والوزير والملك واحدا تلو الآخر.

وكانت تدعى لكل زائر منهم عندما يسمع طرق الباب من بعده أن الطارق زوجها، فتسرع في إدخاله في طابق من الطوابق الخمسة من الدولاب، وكانت تأمره بخلع ثيابه، قبل أن يدخل الدولاب وتجعله يرتدي الثياب المضحكة التي اشترتها.

وهكذا حتى اكتملوا عن أخرهم، أما النجار الذي حمل لها الدولاب فحبسته في الدور الأخير من الخزانة إذ لم يكن لديها أجر الخزانة التي صنعها لها، ثم أخذت الورقة التي كان الوالي قد أعطاها لها، وذهبت إلى السجن وأخرجت منه الغلام وهربا معا إلى مدينة أخرى.

أما المحبوسون في الدولاب، فأخذوا يقرعونه بأيديهم بشدة بعد أن طال وقت حبسهم، فلما دخل عليهم الجيران، إذ بهم يكتشفون أنهم الوالي والقاضي والوزير والملك وهم على هذه الصورة المضحكة.

تمثل هذه الحكاية نمطين:

النمط الأول: هو النمط السائد في العلاقة بين الجنسين حيث يتطلع الرجال دائما إلى الظفر بالمرأة الحسناء واشتراك الكل في هذا الطلب خاصة أكابر رجال الدولة يدل أن هذا كان سائدا في تلك الفترة بحيث لم يتحرج أي منهم أن يطلب من المرأة المبيت لديها نظير تلبية طلبها.

أما النمط الثاني من الحكاية: أن الكيد كشف عن بعد آخر في شخصية المرأة. هو البعد الفكاهي: فالمرأة فرغت في شحنة الكيد فكاهة طريفه تخفف من ثقل الفعل الكيدي. فحسبت أكابر الدولة الوالي والقاضي والوزير والملك، لكي يواجه بعضهم بعضا ويكتشفون عن سوءات نفوسهم التي يكنونها جميعا ويجتهدون في تخبئتها في قرار مكين.

و. قصة الوزير السابع:

ويحكي أن امرأة أعطاها زوجها درهما وطلب منها أن تخرج وتشتري لهم أرزا وسكرا، فذهبت المرأة إلى البائع واعطته الدرهم وبدلا من أن يعطيها أرزا وسكرا أعطاها ترابا وحجرا ولفة لها في منديل.

وعند وصولها البيت أعطت زوجها المنديل ودهبت تحضر القدر لتطهي الأرز، فلما رجعت أخبرهازوجها أن في المنديل ترابا وحجرا وليس أرزا، وفي الحال لجأت للحيلة لكي تحكي لزوجها حكاية مختلفة تخلصها من عقابه لها، فقالت له معتذرة، أنها دخلت لتحضر الغربال وأتت بالقدر فما حدث في السوق غيب عقلها، ذلك أن الدرهم سقط من يدها واختفي بين التراب فجدت في البحث فلم تجده، فلم تجد مفرا من أن تجمع التراب الذي سقط فيه الدرهم.

وها هي ذي تأتي بالقدر الذي كانت تحلم بأن تسوي فيه الأرز، وذلك بدلا من الغربال، وطلبت من زوجها أن يغربل التراب لأن عينيها متعبة. وبالفعل أخذ الزوج يغربل التراب بحثا عن الدرهم وهو لا يدرك مكر زوجته وحيلتها.

وليس هناك حدود لكيد النساء، ذلك لأنه يعد سلاحها الأول الذي تملكه وتتفنن به، وهو السلاح الذي يوصلها إلى بر الأمان عندما تصطدم بالرجل أو المجتمع الذي وضعها في وضع اجتماعي دون الرجل.

وعندما تعجز المرأة عن الدفاع عن حقها، وعندما يحرمها المجتمع الجرأة لأن تواجه الرجل والمجتمع، عندئذ تصاب المرأة بالإحساس بالقهر والخذلان اللذين يؤديان بها اتباع الطرق الملتوية مثل المكر والكيد لحل مشاكلها ويتجلى هذا النوع بصورة واضحة في العجوز ذات الدواهي في قصة عمر بن النعمان.

التي كانت المحرك الأول للقصة، والتي بسببها قامت الحرب بين المسلمين والروم، فقد بلغ بها الدهاء أن صبرت سنين تعلم خمس جواري العلم والفلسفة والحكمة، وبعد أن أصبحن عالمات تخفت في ثياب الأتقياء، ودخلت علي عمر بن النعمان في صورة العجوز الطاهرة التقية، وقدمت له الخمس جواري هدية نادرة إذ أن نموذج الجارية المرغوب فيها في عصر الازدهار الثقافي، وهي الجارية القارئة العالمة الفنانة.

وبعد أن آمن لها عمر بن النعمان تمكنت أن تضع له السم خلسة في كأسه، فلما تجرعه على جهل منه بما حدث، مات على الفور، ولما دخل عليه وزيره وجده ميتا وبجواره ورقة كتب عليها:

"هذا جزاء من يتحيل على بنات الملوك ويفسدهن، فقد أفسد علينا شركات الملكة ابريزة وماكفاة حتى أخذها من عندنا، وجاء بها إليكم ثم أرسلها مع عبد أسود فقتلها، ووجدناها مقتولة في الخلاء، فهذا ما هو فعل الملوك وما جزاء من يفعل هذا الفعل إلا ما حل به.

ولا تتهموا أحداً بقتله فما قتله إلا المحتالة الشاطرة ذات الدواهي، بل وأخذت صفية زوجة الملك، ومضيت بها إلى والدها افريدون ملك القسطنطينية، ولا بد أن نغزوكم ونأخذ منكم الديار"(1).

وعندما قامت الحرب بين المسلمين والروم فيما بعد، تخفت ذات الدواهي في زي الزاهد العابد، فكانت عند المسلمين الزاهد الذي يدبر لهم خطة سير الحرب، وكان دورها عند الروم مدهم بمعلومات تمكنهم من أيقاع أعدائهم في الشرك.

حتى استطاعت أن تقتل شركان، وأن تنتقم من أخيه ضوء كان الذي قتل ولدها الملك حردوب، ثم هربت إلى بلادها، وأرسلت في إثرها من يخبر جيش المسلمين بأنها الرجل الذي تنكر في زي الزاهد وتمكن بذلك من **قتل** شركان ومن قبله عمر بن النعمان.

وقد تكررت صورة ذات الدواهي في الليالي كثيرا مما يدل على أن القاص قد تأثر بشخصيتها فجعل يكررها في أماكن عديدة من الليالي.

---

(1) الف ليلة وليلة،م1.

ثانيا: الأدوار الفرعية للمرأة في ألف ليلة وليلة:

وإلى جانب الأدوار الرئيسية هناك أدوار ثانوية للمرأة لا تظهر كثيرا في الليالي، " وتختلف عن الأدوار السابقة في أنها بعيدة عن حياة القاص العادية، استمدها من خياله لكنه صبغها بواقعة كثيرا"[1].

ومن هذه الدوار:

1. دور المرأة المحاربة البطلة:

ويظهر هذا النموذج عند كل من العرب والروم على السواء ويحرص القصص الشعبي العربي أن يجعل المرأة الرومية تظل تقترب روحيا من العرب حتى تسلم وتتزوج البطل فيما بعد. وهذا ما حدث في قصة مريم الزنارية التي أسلمت وحاربت أباها وأخويها لتهرب مع زوجها المسلم كما ذكرنا سابقا، وكذلك قصة ابريزة ابنة الملك حردوب التي استطاعت أن تهزم شركان بن الملك عمر بن النعمان، لأنه أراد أن يأخذها غنيمة، حيث قاتلته ببسالة وفروسية.

وعند هزيمتها له، وهو فارس الشجاع المعروف بفروسيته، قالت له: (إذهب إلى أصحابك قبل أن يأتي البطارقة ويأخذوك على أسنة الرماح وأنت ما فيك قوة لدفع النساء، فكيف تدفع الفرسان"[2].

ومع ذلك وقفت إلى جانبه ضد والدها وجيشه، بل أنها قاتلتهم ولحقت به بلاده وأسلمت، ثم تزوجت من الملك عمر بن النعمان، وأنجبت منه ولدها رمزان.

وقد يتصاعد القص بالخيال فيجعل النساء المحاربات من الجن، كما حدث في قصة حسن البصري، وهي قصة تدور أحداثها في جزيرة وهمية هي جزيرة واق

(1) سهير القلماوي، مرجع سابق.

(2) ألف ليلة وليلة، م1.

الواق التي لا يسكنها سوي النساء، ولا يوجد بها رجال قط، وكلهم فارسات محاربات يحملن السلاح ويقتلن أي رجل يدخل الجزيرة.

ومن أهم صفات المرأة المحاربة في الليالي أنها ذات جمال أخاذ، وأنها قادرة على أن تهزم البطل، وهي تتباهى بهزيمتها وتتخذها خطوة للزواج به فيما بعد كما في قصة (الدنماء وبهرام)، من حكايات الوزراء السبعة، فقد أقسمت البطلة (الدنماء) ألا تتزوج إلا ممن يستطيع هزيمتها أمام الملاء، ثم دخلت الحبلة لتصارع البطل بهرام حتى هزمته ثم تزوجته.

وقد نتساءل: أليس هاك أية خلفية لهذه الظاهرة التي نعدها من نسيج الخيال، والجواب عن هذا السؤال بالإيجاب.

ولا نريد أن نبتعد في الاجابة عنه بموروثنا التاريخي، فكم من نساء حاربن في صف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وهذه النقطة سنتحدث عنها بالتفصيل لاحقاً.

2. المرأة العالمة:

تعد هذه الصورة قريبة من حياة القاص، بل أن "الأدب العربي نفسه يمدنا بأصولها الأولى، ففي الأدب العربي أخبار كثيرة عن العرب وعن الفرس وغيرهم، من أن ملكا تزوج امرأة لأنها أحسنت الجواب الذي يدل على حكمتها.

تزوج كسرى إن صدقا وإن كذبا، بكثيرات من هؤلاء المحسنات الجواب، وتزوج الرشيد بكثيرات ممن رددن رداً حكيما أو أكملن بيتا ناقصا أو أنشدت شعرا أعجبه"[1]. وإذا كان هناك مهاد واقعي لهذا النموذج النسوي، فإن القاص الشعبي الذي يحرص على التصعيد بالنماذج البشرية دائما، يتصاعد بهذا النموذج كذلك

---

(1) سهير القلماوي، مرجع سابق.

إلى الحد الذي ليس هناك مجال في التفوق عليه، ومثال ذلك نموذج الجارية تودد وهي التي تحمل قصة من قصص ألف ليلة وليلة أسمها، وتودد كانت جارية لدى تاجر معروف، وكانت عالمة وعارفة بالعلوم والفلسفة والقرآن والفقه.

رزق التاجر في آخر زمانه بولد اسماه أبو الحسن، فعلمه رباه حتى أصبح رجلا يافعا، وبعد أن توفي ترك له أموالا كثيرة، لكن أبى الحسن بدد تركة والده بعد وفاته، ولم يبقي معه غير الجارية تودد، والتي ما أن رأت سيدها على تلك الحالة من البؤس والحزن بعد نفاذ أمواله، حتى طلبت منه قائلة "ياسيدي احملني إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد واطلب ثمني منه عشرة آلاف دينار، فإن استغلاني فقل له: يا أمير المؤمنين وصيفتي أكثر من ذلك، فاختبرها يعظم قدرها في عينك، لأن هذه الجارية ليس لها نظير ولا تصلح إلا لمثلك"[1].

جمع الخليفة العلماء في الفقه والفلسفة والقرآن وغيرهم ليتحقق من صدق كلام أبى الحسن، فأخذ كل عالم يمتحن تودد كل في تخصصه وهي تجيب حتى يعجز عن سؤالها فتسأل سؤال يعجز عن أدجابته فتنزع عنه ثيابه كعقاب له.

كل هذا وهارون الرشيد يسمع ويرى ويتعجب من فصاحة تلك الجارية وعمق معرفتها رغم صغر سنها، حتى انتهت تلك المناظرة بفوز تودد على العلماء، ثم كافئها الخليفة، كما كافىء سيدها أبا الحسن.

ونرى القاص قد بالغ في سرده لأحداث هذه القصة، وتوسع في جوانب فرعية أخرى طغت على الجانب الأساسي، فأخذ يشرح عن الفقه والطب والفلسفة وغيرها بأسهاب، والسبب أنه ربما أراد أن يظهر مدى قوة المرأة، أو لكي يشد المجتمع إليه، أو يرى أن القصاص والسامعين قد ألفوا سماع مثل هذه القصص، وأنها قريبة من نفوسهم.

(1) ألف ليلة وليلة،م2.

2. الساحرة:

اقتران السحر بالمرأة "ظاهرة بالغة في القدم حتى أن الكتاب المقدس يخصها بالذكر في قوله لا تدع ساحرة تعيش"[1]. لذلك فإن القاص في الليالي قد ألصق السحر بالمرأة، وأورد مجموعة من القصص منها حكاية الشيخ والغزالة في قصة العفريت والتاجر.

عندما تزوج الشيخ من امرأة أخرى، فألهب نار الغيرة في زوجته الأولى، وزاد غضبها وحقدها على الزوجة الثانية عندما أنجبت ولدا ذكرا، فما كان منها إلا أن استخدمت السحر لتحول الأم إلى بقرة وابنها عجلا.

وعند عودة زوجها وسؤاله عنهما، تخبره أنهما فقدا، فيصدقها ولا يفعل شيئا، لكنه يفاجئ بأنها سحرتهما عندما أخبرته ابنة الراعي بذلك، وتعبدهما إلى مكان عليه، وتحول الزوجة الأولى إلى غزالة.

وقد تستخدم المرأة السحر للإستحواذ على رجل أحبته وهو لا يحبها، كما فعلت حسن مريم في قصة علاء الدين، حيث أرسلت العفريت ليختطف زوجته زبيدة العودية، وتتمكن هي من الظفر بعلاء الدين والزواج منه.

وقد تستخدم المرأة السحر ضد زوجها لتهنئ بعشيقها كما في حكاية "الشيخ والبغلة" في قصة العفريت والتاجر: عندما سحرت المرأة زوجها وحولته إلى كلب لأنه اكتشفها مع عشيقها، وحتى تظفر بمعشوقها.

وقد تمتلك المرأة أساليب كثيرة من السحر، فشواهي في قصة حسن البصرى تحفظ أربعين بابا من السحر أقل باب تستطيع به أن تسحر مدينة أو بحرا، وعليه يمكن القول أن السحر تعبير "عن عواطف المرأة المتناقضة عاطفة الحب وعاطفة

(1) مجدي شمس الدين، السحر في ألف ليلة وليلة، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، بدون تاريخ.

الحقد والكراهية، وعاطفة الغيرة وعاطفة الشفقة. والرقة وعاطفة القسوة والانتقام"[1].

وأخيراً نقول أن المرأة ظهرت في كل قصة من قصص الليالي تلعب دورها، وقد مثلت عنصرا هاما إن لم يكن الأهم في تسيير دفة الحوادث مما صورت أي شيء آخر، وفي تلك الحياة تحتل المرأة المقام الأول في أغلب أحداثها، وما يثار فيها من حوادث"[2].

وهكذا نستنتج أن ألف ليلة وليلة قد حفلت بالعديد من القصص الواقعية والخيالية، إلا أن القصص الخيالية هي الأكثر ذيوعا كونها تحتوى على مواقف تتعدى الواقع، وهذا ما جعلها تمثل عناصر تشد القارئ لمتابعتها والإطلاع عليها وقد يكون ذلك ناتج من حب الأنسان للمغامرة والاستمتاع بالخيال الذي يتمنى أن يعيشه في الواقع، وهذا لا ينفى عنها الواقعية فكثير من القصص التي أخذ الخيال فيها جانباً كبيراً لا تخلو من الواقعية التي طغى عليها الجانب الخيالي كما في قصة تودد التي يظهر الخيال فيها من إلمامها بجميع العلوم، بل وبراعتها في ذلك لدرجة أنها كانت تحاجج أرباب الفكر والعلوم وتتفوق عليهم وهذا ما نراه في الواقع.

ومن الممكن بعد هذا العرض أن نعود إلى الواقع لنرى نماذج حقيقة للمرأة سجلها التاريخ فتكون بذلك هي النواة التي تولدت منها النماذج القصصية ذات الأبعاد الواقعية.

---

(1) المرجع السابق.

(2) سهير القلماوي، مرجع سابق.

المبحث الثاني
المرأة في التاريخ والواقع الاجتماعي

إن الوضع الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد ذكراً كان أم انثى ينعكس على أسلوب حياته في المجتمع، ويظهر ذلك جليا لدى المرأة، فالمرأة التي يفرض عليها الزمن أن تعيش جارية تعاني من الذل والهوان، يتكون لديها شعوراً بالنقص بسبب نظرة المجتمع لها، وهذا الشعور يجعلها لا تتحرج من أي فعل تقوم به خاصة عندما تعرف أن المجتمع ينظر لها نظرة دونية، بخلاف المرأة الحرة التي عاشت في مجتمع يجلها ويحترمها، ينعكس ذلك على سلوكها ويجعلها تصل إلى أعلى المراتب وتسطر أنصع الصفاحات في شتى المجالات كالفروسية والأدب والحكم وغير ذلك، وهذا ما ستناوله في المبحث من خلال الآتي:

الأول: المرأة في التاريخ:

وسنتعرف من خلاله على دور المرأة في التاريخ من جانبين هما:

أ. المرأة الحاكمة.

ب. المرأة الفارسية.

ثانياً: المرأة في الواقع الاجتماعي:

وسنعرفه من خلال جانبين ايضا هما:

أ. المرأة الجارية ودورها الاجتماعي.

ب. المرأة العالمة ودورها في إثراء الحياة الثقتفية.

أولا: المرأة في التاريخ:

يوجد بين طيات التاريخ حكايات مدهشة وقصص حقيقية عن نساء عربيات خلدهن التاريخ منهم العابدات التقيات، ومنهن الملكات، ومنهن الجواري إلى الحضيض. وستتعرف على بعض هؤلاء خلال ما يأتي:

أ. المرأة الحاكمة:

تشير الأحداث التاريخية إلى نماذج من المرأة التي اعتلت الحكم، وضربت أروع الأمثلة في قيادة الدولة وتسيير أمورها بحكمة واقتدار فاقت في بعضها الرجل ومن هؤلاء النساء.

1. بلقيس ملكة اليمن:

نالت الملكة بلقيس من المكانة العالية، والترف الأسطوري، وكنوز تفوق الخيال، مالم تنله ملكة على مر التاريخ.

ولقد نالت هذه الملكة درجة عالية من المجد ليس بسبب علمها وثقافتها، ولا بسبب شدة ذكائها، ولكن بسبب قوة شخصيتها ونبذها لأي ضعف أنثوي.

وقد واجهت الملكة بلقيس مصاعب كثيرة حتى أصبحت ملكة لليمن، فبعد وفاة والدها كانت الوريثة الشرعية للملك، لكن الأمير عمر ذا الأعذار الذي عرف بقوته وبطشه رفض أن يدخل تحت حكم امرأة، حيث رأى أنه أحق بالملك والعرش منها، وآزره كبراء البلاد خوفاً منه، ونكثوا بعهودهم السابقة لوالد بلقيس وانفضوا من حولها، بل سارعوا لنيل رضا الأمير عمر وإعلان طاعتهم له، فما كان من الملكة بلقيس إلا أن أعلنت تنازلها عن العرش للأمير عمر، بل إنها طلبت المثول بين يديه كامرأة تطمع في عطفه وحمايته، وليس كملكة تبحث عن التاج، وكانت ترمي من وراء ذلك استمالته واقناعه بأنها تنازلت عن الملك لأنها أحبته. و استطاعت الملكة بلقيس بجمالها وثقافتها الواسعة من إيقاع الأمير عمر في غرامها،

وعندما تأكدت من مشاعره نحوها قتله واخفت جثته. ثم بعثت إلى حكـام الأقـاليم وامراء البلاد وكل من له نفوذ وقوة، وبعد أن أجتمعـوا إصـابتهم الدهـشة عنـدما علموا انها من طلب الاجتماع بهم. فخاطبتهم قائلة:

"لا تندهشوا فقد تم بيني وبين الملك صلح مشروط، وهو الذي أشار علـى أن أخبركم ذلك بنفسي قبل أن يلقاكم، تعرفون أن الملك عمر لم ينجب، ولـن ينجـب وليا للعرش، فقد حرمته الآلهة من نعمة الأنجاب، وعليه فقـد اتفقنـا أن يكـون لـه العرش خالصاً طيلة حياته، على أن أملـك علـيكم بعـد مماتـه، وبهـذا نحقـن بيننـا دماءنا، ونحافظ على تماسك واستقرار المملكة، ولقد تعاهدنا على ذلك فما رأيكم، وافق الجميع على ما قالته الملكة بلقيس فأجابتهم، وهل تقرون بي ملكة بعـد وفـاة عمر وتقسمون على ذلك؟

فلما اقسموا، وأخذت عليهم العهد والمواثيق، أعلمتهم أن الملك عمـر قتـل، وأنها من قتله، ثم قالت أقسم وحق الآلهة أن يكون هذا مصير كـل مـن يطمـع في عرشي أقضي عليه بيدي." (1)

وهكذا تمكنت الملكة بلقيس بذكائها ودهائها وقوتها استرجاع حقها في تـولي حكم البلاد.

وبعد توليها الحكم، جمعت جيوش المملكة وأعادت تنظيم صفوفها وتـدريبها على أعلى مستوى، ثم تولت هي قيادة الجيوش، وتوجهت إلى أرض بابل ففتحتها وانتصرت على ملوكها، وواصلت انتصاراتها حتـى ضـمت إليهـا أرض نهاونـد وأذربيجان، وبعد أن وسعت مملكتها، واهتمت بالشؤون الداخلية للبلاد، فأنـشأت سد مأرب وغيره للإهتمام بالزراعة والري، وسـيطرت علـى طريـق التجـارة بـين

(1) منال العماوي، أشهر نساء العرب، المصرية للنشر والاعلان، القاهرة ط2، 2004.

الشرق والغرب، فأصبحت بلادها مركز تجاري هام وسيط لا غنى عنه يربط تجارة مصر والهند، وسلكت كل الطرق لزيادة موارد البلاد والاستفادة من إمكانيات المملكة شعباً وأرضا، وانشأت مجلس شورى مكون من ثلاثمائة وإثنا عشر رجلاً من أصحاب الرأي السديد. وكان لديها بصيرة نافذة في معرفة الرجال فكانت تضع الرجل المناسب في المكان المناسب. وقد أدت هذه الحكمة البالغة والبصيرة النافذة والسياسة الطموحة إلى زيادة كبيرة في موارد الدولة. فقدسها الشعب وأحبوها حتى اعتبروها أبنة الآلهة، وعندما أرسل لها نبي الله سليمان رسالة يدعوها لإيمان بالله من الشمس والنار التي كانت تعبدها هي وقومها، بل وهددها بالقتل أن لم تؤمن بالله.

فلم تغضب وتجهز جيشها لقتاله لسبب بسيط هو أنها لم تدع هالة العظمة التي أحاطت بها تخدعها وتدخل الغرور في نفسها، فأجتمعت بمستشاريها من أصحاب الرأي وأعلمتهم بأمر الرسالة، وأخبرتهم أن الرأي عندها ان ترسل له هدية ثمينة فإن قبلها فهو ليس نبي وستقاتله، وإن لم يقبلها فهو نبي حقاً، ولما رفض نبي الله سليمان هديتها أدركت الملكة بلقيس أنه نبي، بل إنها بدلت دين آبائها بدين الله، ولقد ذكرت هذه القصة في القرآن الكريم[1]. مما يدل على آيات الذكر الحكيم قامت بفضل المرأة، ورجاحة عقلها، وسماحة رأيها، وأن قوة الشوكة وعزة الملك لم تصرفها عن ابتغاء الحق أيا كان سبيله ومن أي مكان مفيضه[2].

2. **زنوبيا (ملكة تدمر)،**

اشتهرت زنوبيا بجمالها وثقافتها، حيث كانت تجيد عدة لغات هي الفارسية واليونانية والآرامية وغيرها، وكانت صاحبة علم واسع وإلمام عميق بتاريخ العالم،

(1) أنظر سورة النمل، من آية 28 إلى آية 44.

(2) عبد الله عفيفي، المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها ج1، مكتبة الثقافة، السعودية ط2، 1932.ص36.

كما أطلعت أيضا على الفلسفة اليونانية، فقرأت كتب أفلاطون وهـومر وغيرهمـا، وقد بلغ تفوقها في علم التاريخ أنها جمعت تـاريخ الـشرق: مـصر وآسـيا، وقامـت بكتابته بنفسها مما يدل على مدى علم هذه الملكة وسعة اطلاعها، وعلى الرغم من فرط جمالها وعذوبة منطقها وسماحة أسلوبها، ونفاذ لبها، وعظمـة قلبهـا، إلا إنهـا كانت طموحة بشكل يفوق الرجال، وشجاعة جرئية بحيث يـصعب علـى المـرء أن يصدق أن هناك امرأة تتصف بمثل شجاعة زنوبيا.

تزوجـت مـن الأمـير أوذبيـه الـذي كـان يتـزعم عـدة قبائـل في الـصحراء، فاستطاعت أن تبث فيه روح القتـال ووقفـت إلى جانـب تـشور عليـه وتـؤازره في المعارك حتى بسط سلطانه في الجزيرة والشام، بل أنه حارب سابور كسرى الفـرس وهزمه فلقب بملك الملوك. وبعد أن قتل زوجها على يد أبن أخيه، سارعت بإعلان نفسها ملكة على البلاد التي كانت زوجها يحكمها وأبت أن تتزوج بعـده، وضـمت إليها ولدها وهب اللات ونشأته نشأة الفروسية، وما أن ملكت البلاد حتى وجهت اهتمام بتوسيع مملكتها، فقادت جيشها بنفسها نحو العـراق وآسـيا الـصغرى حتـى حدود أنقره، ثم دخلت مصر وفتحهاـ وبذلك امتدت امبراطوريتهـا مـن شـواطئ البوسفور حتى حدود النيل فلقبت " بـسيدة الـشرق" ولم تـشغلها الفتوحـات عـن الشئون الداخلية للبلاد، فقد عاملت الرعية بالعدل والأنصاف، فكانت شـديدة في تنفيذ العقوبات، وحنونة ورقيقة بالمستضعفين والمظلومين، كما أنها اشتهرت بتبنيها للمواهب الفنية والإبداعيـة، فـشجعت الـشعراء والفلاسـفة والفنـانين والمبـدعين وأغرقت عليهم من الأموال ما يفوق الحصر، فكانت نعم الراعية للفنون والآداب.

وقد قادها طموحها الكبير إلى حتفها، فبعد اتفقت مع الملك روما أورليانوس بأن تقف بينهما الحرب حقنا للدماء مقابل أن تصك النقود في انطاكية والاسكندرية باسم وهب اللات – ولدها- وأدرليانوس. نقـضت العهـد وعهـدت بملـك مـصر

لولدها. منحه جميع الامتيازات، وازالت من النقود صورةى الملك اورليانوس، ثـم نادت بالاستقلال التام.

فكان رد أورليانوس، أنه قرر أنة يضع جميع إمكانيـات رومـا للقـضاء عليهـا وبالفعل استطاع جيشه هزيمتها حتى حاصرها في تدمر حصاراً شديداً اسـتمر فـترة طويلة، مما أدى إلى نفاذ المؤن شيئاً فشيئاً، وأصبح شبح الجوع يهدد سـكان المدينـة، ورغم ذلك لم تستسلم زنوبيا، فقد تنكرت وخرجـت سـراً مـن المدينـة في الظـلام، واستطاعت التسلل عبر معسكر الرومان بكل جـرأة وثبـات، وذهبـت إلى كـسرى تطلب معونته، لكن عند عوتها استطاع جنود أورليانوس اعتقالهـا وقادوهـا أسـيرة إليه.

ولما رأت زنوبيا إنهيار ملكها وكيف أصبحت ذليلة بعد السلطان والمجد لم تجد من وسيلة إلا الامتناع عن تناول الطعام حتى تنهى عـذابها فماتـت وهـي في قمـة مجدها وشموخها.

وهناك نماذج أخرى كثيرة سجلها التاريخ. مما يدل على أن المرأة قد وصـلت إلى قمة المجد والسلطان، وأنها عندما ملكت كانت جديرة بالملـك والحكـم، ولـيس بشجاعتها فقط، بل بحسن الرأي والتدبير والمشورة.

ب. المرأة الفارسة:

هناك نماذج حقيقة للمـرأة الفارسـة لم يتـدخل الخيـال الـشعبي فيهـا، صـور مستمدة من واقع التاريخ العربي قبل الإسلام وبعده، فهذا أسامة بن منقـذ يحكـي عن دور النساء في القتال، ذلك الدور الذي لم يكن يقل عن دور الرجـال في شـئ، قال: يحكي عن فارس أنه أراد الهروب في معركة، وإذا هو كذلك وإذا بإنـسان قـد دخل الدار وعليه خوذة ومعه سيف وترس فلما رآه أيقن بـالموت. فوضـع الخـوذة فإذا هي أم ابن عمه ليث الدولة يحيي، فقالت له أي شئ تريد أن تعمل؟ قال: آخذ

ما قدرت عليه وأنزل من الحصن أحى أعيش 1 في الدنيا. قالت: بئس ما تفعل تخلي بنات عمك وأهلك للحلاجين وتروح؟ أي عيش يكون عيشك إذا افتضحت أهلك وانهزمت عنهم؟

أخرج قاتل عن أهلك حتى تقتل بينهم، فعل الله بك وفعل. ومنعته رحمها الله من الهرب فكان من الفرسان المعدودين بعد بعد ذلك[1] وهناك عدد من النساء المحاربات أمثال " رقاش أم قرفة التي جهزت بعدائها للمسلين كان جزاؤها أن قتلها المسلمون قتلة شنيعة، وسجاح التميمية، وصفية بنت عبد المطلب، نسيبة بنت كعب المازنية، وخوله بنت الزور، كما اشتهرت من الخوارج في العصر الأموى نساء منهن غوالة زوجة شبيب بن يزيد أمير الخوارج وأم حكيم[2] وستتحدث عن بعض هذه النماذج كالآتي:

1. **نسيبة بنت كعب (أم عمارة):**

احتلت نسيبة بنت كعب مكاناً مرموقاً في التاريخ الإسلامي، لما قامت به من دور بطولي في معركة أحد، وهي معركة التي أنهزم فيها الميلمون أمام الكفار. خرجت نسيبة في جيش الميلمين يوم أحد، تسقى الضمأ، وتداوي الجرحى.

وعندما رأت الناس انهزموا وانكشفوا عن رسول صلى الله عليه وسلم، وولوا مدبرين أستلت سيفها، واحتملت قوسها، وذهبت تصول وتجول بين يدي رسول الله عليه السلام، ترمي بالقوس، وتضرب بالسيف، وكانت لا ترى الحظر يدنو من الرسول عليه السلام حتى تكون سداده وملوع لهوته حتى قال عنها صلى

(1) نبيلة ابراهيم، سيرة الأميرة ذات الهمة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1970. ص 28.

(2) ضياء عبد الله خميس، مرجع سابق، ص49.

الله عليه وسلم: ما التفت يميناً وشمالاً إلا وأنا أرها تقاتل دوني"([1]). جرت في ذلك اليوم ثلاثة عشر جرحاً، واحد منها كان عميقاً فنزف الدوم منه بشده، ورغم ذلك كانت كالصاعقة تضرب في نحور العدو، وترتمي بين صفوفهم غير آبهة ولا دارية بالدم النازل من جسمها. ولم تكن هذه هي المعركة الوحيدة التي شاركت فيها أم عمارة، فقد شاركت في موقعة اليمامة ضد مسيلمة الكذاب، حيث" وقفت مع خالد بن الوليد موقفاً بطولياً وهي تترصد وتتربص بمسيلمة الكذاب، لشفي غليلها منه، وتروى ضمأها من دم هذا الأفاك الكذاب المجرم"[2] فخرجت من هذه المعركة وقد أصابها أحد عشر جرحاً، وقطعت يدها، وقتل ابنها.

ويقيت لنا سيرة نسيبة بنت كعب "أم عمارة" الدليل الحي على مشاركة المرأة المسلمة للرجل في كل المجالات حتى مجال الحرب كانت فيه مقاتلة بارعة ذات بطوله فذة."[3]

2. صفية بنت عبد المطلب:

هي عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأم الزبير بن العوام، ظهرت شجاعتها وفروسيتها في مواقف كثيرة منها "لما ثار الأحزاب من قريش وحلفائها، ذهبت جموعهم إلى المدينة تريد القضاء على المسلمين جميعاً. جمع النساء والصبيان في حصن بني حارثة، حتى لا يمسهم السوء. واعتصم بالحصن يومئذ حسان بن ثابت، كان ضعيفاً واهن القلب، وكانت صفية يومئذ بين النساء.

(1) عبد الله عفيفي، المرأة العربية في جاهلية واسلامها ج2، مرجع سابق، ص 94.

(2) السيد الجميلي، نساء حول الرسول صلى الله عليه وسلم، المكتبة التوفيقية، القاهرة، بدون تاريخ، ص 336.

(3) منى رجب، التاريخ امرأة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1998، ص 180.

فبينما هي في الحصن، بصرت فارس يهودي يطيف بالحصن. فخشيت أن يقتحمه، أو يدل عليه. فقالت لحسان: أن هذا اليهودي يطيف بالحصن، إني والله ما آمنه أن يدل علينا من وراءنا من يهود وقد شغل عنا رسول الله وأصحابه، فأنزل إليه فأقتله. قال: يغفر الله لك يا أبنة عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا، حتى إذا يئست منه، احتجزت بثوبتها، واحتملت عموداً، ونزلت إليه، وهو ملتمع السلاح. فنازلته فقتلته.

ثم قالت: يا حسان انزل إليه فأسلبه، فإنه لم يمنعنى من سلبه إلا أنه رجل قال: مالي بسلبه من حاجة يا أبنة عبد المطلب[1].

3. غوالة الحرورية:

هي زوجة شعيب بن يزيد، قائد الخوارج وبطلهم، وكانت هي وزوجها يليان قيادة الخوارج، وكان الحجاج بني يوسف مبيد العراق، وسفاك بني أمية، يسمع بها، فيمتلئ فلبه رعبا وخوفاً منها. وحدث أنه خرج في جنده وكلهم مستكمل العدة، فعرضت له غزالة في أربعين جندي، وهو في أربعة آلاف، فدخل في قلبه الفزع، وخاف وولى هارباً وهو أعرف الناس بالقتال.

وبلغ من جسارتها، وقوة قلبها، أنها أقسمت لتصلين في مسجد الكوفة ركعتين تقرأ في الأولى سورة البقرة، وفي الثانية آل عمران، والكوفة يومئذ معقل الحجاج، ودار إمرته، وقمع قوته، وقد برت بقسمها، ودخلت مسجد الكوفة، وهي وزوجها، ولبثت تصلى ركعتين تستنفذان نصف النهار. ولما أنبى الحجاج بها، تحصن في قصره[2].

---

(1) الأغاني، م1، ص 186، 167.

(2) عبد الله عفيفي، المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، ج2، مرجع سابق.

فكتب إليه عمران بن حطان قائلاً[1]:

أسد علي وفي الحروب نعامة ... ربداء تجفل من صفير الصافر

هلا برزت إلى غزالة في الوغي ... بل كان قلبك في جناحي طائر

صدعت غوالة جمعه بعساكر ... تركت كتائبه كأمس الدابر

وقد أرسل لها الحجاج خمسة جيوش، فأنتصرت عليهم انتصاراً ساحقاً حتى أصبحت العراق ترتجف لأسمها.

وقتلت غوالة في موقعة الكوفة بين شبيب والحجاج، حيث غافلتها فرقة من جند الحجاج من ورائها وقتولها، وهي تقاتل في المعركة.

وهناك نماذج كثيرة كانت المرأة فيها نعم الفارسة المحاربة الشجاعة التي لا تدل على الغلظة، أو حب سفك الدماء، وإنما تدل على القوة النابعة من قوة الصبر، وقوة الايمان بالله.

ثانيا: المرأة في الواقع الاجتماعي:

يتضح من أطلاعنا على كتب الأدب والتاريخ أن المرأة العربية كان لها دور فاعلاً في شتى مناحي الحياة. فقد احتلت من علو المنزلة والمكانة العالية ما جعلها ترفع أعلام العزة بين أهلها وذويها، وترقى إلى مصاف الخلفاء والأمراء والقادة والولاة ومن إليهم من كل ذي موقف مشهود ومحمود. وفيما يلي سنتعرف على بعض الأدوار التي قامت بها المرأة وكان لها الأثر البالغ في المجتمع. وإثراء الحياة الثقافية.

(1) الأغاني، م 18، ص57.

أ. المرأة الجارية ودورها الاجتماعي:

لم يكن للجواري شأن، إذا لم يتخذن إلا الخدمة أو الإستيلاد، حتى أن الجارية كانت تسمى " جفن السلاح تشبيها لها بغمد السيف الذي لا شأن له، وإنما الشأن لما فيه"[1].

ومنذ العصر العباسي حظيت الجارية بمكانة أفضل من ذي قبل، فقد تغيرت نظرة المجتمع لها ولوظيفتها، فأصبحن يتلقين التعليم في مختلف المجالات كالغناء والأدب والشعر، وكان التجار من يدفعهن لذلك وبهذا" ارتفع مستواهن المادي والعقلي، وأصبحت طبقة ممتازة ينظر إليهن بإعجاب واحترام، وأصبحن مغنيات مثقفات تتطلع إليهن النفوس وتتشوق إليهن القلوب، فنلن بتلك الثقافة حظاً من المكانة والجاه"[2].

إضافة إلى أن:-[3]

1. الجواري لم يكن يرتبطن بتقاليد تقف في وجه حريتهن، فكان يسمح لهن أن يفعلن مالا تفعلة المرأة الحرة، فالجارية قد تتنقل من يد إلى يد بين الناس في حين أن المرأة الحرة تحتقر إذا ما تزوجت بأكثر من رجل واحد.
2. معرفة الرجال الخصائص الجمالية في الأمة بعكس الحرة التي يستشار في جمالها النساء اللواتي لا يبصرن من جمال النساء وحاجات الرجال وموافقتهن قليلاً ولا كثيراً والرجال بالنساء أبصر.

(1) عبد الله عفيفي، المرأة العربية في جاهليتها واسلامها ج3، مرجع سابق.

(2) فايد العمروسي، الجواري المغنيات، دار المعارف، القاهرة، 1983، ص 47.

(3) ضياء عبد الله خميس، المرأة في السرد العربي القديم، مرجع سابق.

لذلك بدأت الجواري يزحمن الحرائر ويشتركن معهن في الإعجاب والتقدير، وتحريك وجدان الأدباء خاصة الشعراء. حتى أن معظم الشعراء العباسيين عرفوا بعشي الجواري منهم.

أبو العتاهية الذي أحب عتبة جارية الخيزران، وأبو نواس أحب حنان، والعباس بن الحنف يحب فوز، وغيرهم كثير كمسلم بن وليد، والحسن بن الضحاك[1]. ولم يكن الشعراء وحدهم من عرفوا بحب الجواري، بل الخلفاء والأمراء أيضا. فهذا الرشيد يحلف على جاريته ذات الخال أن لا تسأله شيئاً إلا قضاه، فتطلب أن يعطي سيدها حموية ولاية الحرب والخراج بفارس مدة سبع سنين، فيكتب الرشيد كتاباً بذلك، ويوصى من يأتي بعده بتنفيذ ما ورد فيه أن لم تنفذ في حياته.

ومما يدل على المكانة التي بلغتها الجواري في ذلك العصر، أنهن ساهمن في " نهضة الأدب عامة والشعر خاصة، كما أن المكانة التي وصل إليها الشعر في العصر العباسي الأول مدينة لهن، ففيهن قال الشعراء ووصفوا أبدعوا وتغزلوا، ولغنائهن تفننوا وتخيلوا وتسابقوا، فأرونا ألوانا جديدة من التصوير والتفكير والتعبير، وعرضوا علينا صوراً من انفعالات النفس ويقظة الوجدان لم يعرف بها الشعر العربي منذ قبل. كما كان لهن أثر في نهضة الفنون عامة ولا سيما الغناء وما يتطلبه في المجالس من أناقة في الملبس وغيره، مما أدى إلى تهذيب الأذواق وإرشاد النفوس إلى أسرار الجمال"[2].

ولقد أخذ نفوذ الجواري يقوى حتى أصبحن المرجع الرئيسي في كثير من القضايا منها " سياسة الملك وتدبير الرعية، فهذه خيزران جارية المهدى أم ولديه

(1) فايد العمروسي، مرجع سابق.

(2) المرجع السابق.

موسى وهارون، وقد بلغت من سعة الجاه ونفاذ الكلمة ما لم يبلغه وزير أو أمير. فكان بابها محط الولاة والقواد، ومهبط ذوي الحاجات والآمال[1]. كذلك الرشيد فقد قضى عليه أن أعطى ملكه لأمرأتين الخيزران أمه، وزبيدة امرأته، أما الخيزران فلأنها خلعت عليه رداء الملك فخصباً بدم أخيه، وأما زبيدة فلأن ذات الخال وأشباهها عبثن بقلبه، وغلبنه على عقله، فأراد أن يشغلها عنه[2].

وكان بعض الخلفاء يتخذوهن عيونا لهم على الوزراء ووجوه رجال الدولة، وأكثر من استخدمهن عيونا له هو المأمون.

ولقد تعددت أصناف الجواري فمنهن الهنديات والسنديات والبربريات والزنجيات والحبشيات والتركيات والروميات والأرمنيات، ولكل صنف منهن ما يميزه عن الصنف الآخر " فالهنديات عرفن بحسن القوام، وسمرة الألوان. والسنديات ينفردن بدقة الخصور وطول الشعر. والبربريات نشيطات للخدمة، ويصلحن للتوليد، والزنجيات مساوئهن كثيرة، وكلما زاد سوادهن قبحت صورتهن أما الحبشيات فالغالب عليهن نعومة الأجسام ولينها وضعفها، لا يصلحن للغناء ولا للرقص. والتركيات جمعهن الحسن والبياض والنعومة، وعيونهن مع صغرها ذات حلاوة. والروميات بيض شقر، وزرق العيون عبيد خدمة وطاعة ووفاء وأمانة[3] كما تعددت صور الجواري إلى:

1. جواري الخمارات: وهؤلاء يعملن في كل مكان " في المنازل يقمن بدور الزوجة أو الخادمة او الماشطة أو المرضعة أو المربية، أو في القصور يقمن ببعث المرح في قلوب أسيادهن بما يتقنه من الرقص والغناء وقول

(1) عبد الله عفيفي، المرأة العربية في جاهليتها وأسلامها ج3، مرجع سابق.

(2) المرجع السابق.

(3) عبد الله جبور، الجواري، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ، ص33،32.

الـشعر أحيانـاً. أو في معـارض الخمـارين يكـسبن لأصـحابهن المـال والهدايا"[1].

2. الجواري المثقفات: وهؤلاء " نقلـن إلى ديـار الإسـلام وهـن صـغيرات السن قابلات للحفظ والتعلم. نشأة عربية خالـصة، وحـذقن أسـاليب التعـــبير، وتخلقـــن بعـــادات المكيـــات والبـــصريات والمـــدنيات والكوفيـات...الخ، ولانـت ألـسنتهن في تأديـة مـا يـردن مـن المعـاني والأغراض"[2].

وهؤلاء كانت منزلتهن رفيعة لما انتجنه من أدب رفيع وغناء بديع برعن فيه.

3. جواري القصور: وهؤلاء هن من " سلبن لب مـواليهن، حتـى أصـبح هؤلاء لا يصدرون أمراً إلا عن رغبة لهن"[3]

4. جواري السميرات: وهن ألقيان البارعات في الغنـاء والـرقص وفنـون الغواية. وهؤلاء كانوا يخرجون إلى الناس والزائـرين فيجلـسون إلـيهم ويعنوا لهم ويمتعوا أبصارهم برقصهن البارع"[4].

5. جواري الخدمة أو الماء: وهؤلاء يتخذن للخدمة من تربيته للأطفـال أو مراضع أو خدمة لنساء الخلفاء والأمراء...الخ.

وستتحدث عن بعض هؤلاء الجواري اللاتي كـان لهـن دور كـبير في الحيـاة الاجتماعية ومنهن:

---

(1) المرجع السابق.

(2) المرجع السابق.

(3) المرجع السابق.

(4) المرجع السابق.

1. بصبص:

جارية من جواري المدينة، وكانت لرجل يدعى يحيى بن النفيس، أخذت الغناء عن أبن سرج ومعبد وغيرهم، وكانت أحسن جواري النفيس وأجملهن وجهاً وجسماً، كما كانت ذكية محدثة بارعة، تفهم الأدب وتجيد المطارحة وتتذوق الشعر وتقف على مواضع الجمال فيه وقد وصلت إلى مكانة عالية حتى أن عبد الله بن مصعب بن الزبير الذي كان من أشد المعجبين بها قال المنصور عندما خرج للحج ومر بالمدينة ثم غادرها دون أن يستمع إليها: [1].

وقد بلغ جمالها ودلالها الرشيد فأشتراها بسبعين ألف درهم، وثم أحبها وكانت أحدى الجواري الثلاث اللواتي فتن بهن وعرف بحبهن وهن" سحر وضياء وذات الخال أو خنث وفيهن يقول[2]:

هن سحر وضياء وخنث ... سحراً وضياء وخنث

ثلثي قلبي وترباها الثلث ... أخذت سحر ولا ذنب لها

ويبدو أن الرشيد أحب ذات الخال حباً شديداً، ولكن الغيرة التي عرف بها على من أحب نغصت عليه سعادته بذات الخال، فسألها يوماً فيما إذا كان بينها وبين الموصلي علاقة، وشدد عليها أن تصدقه، فخافت وأخبرته أن ذلك كان مرة واحدة فقط، فغضب ووهبها لوصيف له يدعى حموية. ولكنه لم يطق بعدها، فأشتاقها يوماً وذهب إليها عند حموية، ومن فرط حبه لها حلف الا تسأله في يومه هذا شيئاً إلا قضاه، فسألته أو يولي مولاها حموية الحرب والخراج بفارس ففعل.

(1) الأغاني، م15، ص22.

(2) المرجع السابق.

ولا بد أن ذات الخال كانت تتمتع بها المرأة الممتازة من خصائص نادرة تميل إليها القلوب وتستهوى الأفئدة حتى وصلت لتلك المكانة من حب الرشيد لها. إضافة إلى أنها كانت تجيد الغناء والأبداع فيه. مما جعل الكثير من الشعراء أيضاً يتغنوا بها مثل إبراهيم الموصلي والعباس بن الأحنف وغيرهم.

3. حبابه:

جارية من جواري المدينة، كانت جارية لامرأة يقال لها (لاحق المكية). مالت حبابه للغناء، فتعلمت أصوله بسرعة على يد أبن سريج وابن محرز ومعبد وجميلة وعزة الميلاء، وكثيراً ما اشتركت هي وسلامة في إحياء ليالي الغناء عند شيختهم جميلة.

عرفت حبابة بالجمال والدلال، وقد فتنت الكثير بغناءها ودلالها منهم يزيد بن عبد الملك الذي سمع بها، فلما قدم المدينة أحب الإستماع إلى غنائها، وعندما سمع علم أخوه سليمان بذلك أقسم ليحجزن عليه، فتنازل عنها لرجل من أهل أفريقية.

ولما تولى الخلافة كان أول شيء فعله أن أشترى حبابه مرة أخرى ومعها سلامة. فقال عندما اجتمعتا عنده "أنا الآن كما قال القائل"[1].

وألقت عصاها واستقرت بها النوى　　　كم قرعينا بالإياب المسافر

وكانت حبابه تسمى العالية، وعندما اشتراها يزيد سماها حبابه. وتعتبر حبابه أول جارية عربية فتنت خليفة عربياً. فقد أحبها يزيد حباً شديداً لدرجة أنه نسى معها الدنيا وقداسة الخلافة، وغرق معها في الخمر والغرام والطرب والغناء، والسبب في ذلك أنه حبابه "تمتلك من مواهب الأغراء ما يفتن به العابد، كما أنها

(1) فايد العمروسي، المرجع السابق.

كانت خبيرة بطبائع الرجال ووسائل تملكهم، فكانت تجيد فن المبارزة النفسية والملاعبات الجسدية وهما سلاحها في الإنتصار، كما عرف عنها حب السيطرة والأنانية، والتدبير وأحكام المؤامرات[1] وقد ساعدها في الوصول إلى ما تريد الأحوص، فكان شعره الآله الذي بواسطته استطاعت الوصول إلى ما تريد، فلعبت بعقل يزيد بل أنها قضت على سمعته وحياته، وحتى أنه لم يعد يسمع إلا لها، ولا يرى إلا ما تراه هي ولم تجد معه نصائح أهله له، خاصة أخوه مسلمة بن عبد الملك الذي كان يلمه دائماً بأنه ضيع حوائج الناس بسببها.

وقد بلغ نفوذ حبابه على يزيد أن كان لها سلطة سياسية تعزل وتولى من تشاء من الولاة، فأرادت أن تولى عمر بن هبيرة على العراق فحصل لها ما أرادت رغم ان عمر لم يكن كفؤاً لذلك، وعندما عرفت أن مسلمة بن عبد الملك يلوم الخليفة ويثنيه عنها، عملت على إخراجه من الولاية، وحصل ما أرادت، وبلغ نفوذها أن يزيد ولي أحد مواليه أمراً من الأمور فعزلته ورغم أن يزيد غضب لما فعلت إلا أنه في النهاية وافق على ما قامت به.

وبلغ دلال حبابه على يزيد أنها طلبت منه أن يهبها سلامة، فوهبها لها رغم جزع سلامة إذ كيف تكون جارية لجارية في مثل سنها وزميلة لها أيضاً، فقد تتلمذتا سويا على يد جميلة، وهذا يدل على ذكاء حبابه وخبثها بحيث استطاعت الوصول إلى تلك المكانة وبتلك السرعة.

وعندما ماتت حبابه حزن عليها الخليفة كثيراً حتى أنه رفض أن تدفن وأقام بجانبها ثلاث أيام وهو يشم رائحتها حتى تغير لونها، فعابوا عليه فأمر بدفنها،

(1) المرجع السابق.

وأقام على قبرها يندبها. فما عاش بعدها إلا خمسة عشر يوماً فمات ودفن إلى جانبها.

وبهذا يتضح لنا أن الجواري المغنيات قد وصلن إلى مكانة مرموقة في المجتمع، بل لقد كان لهن أثر عظيم في نفوس الناس في حين أن الحرائر لم يحظين بهذه المكانة، فهذا الرشيد يتأذى كثيرا عندما يعلم أن أخته عليه كانت لها مشاركة في الغناء، كذلك المعتصم يشعر بالضيق لسماعه لحنا لعُليَّة بصوت أحد المغنين. مما يدل على أن الأغاني في العصر العباسي لم يقتصر إلا على الغواني أما الحرائر فإنهن حجبن عن الحياة الاجتماعية فلا يجوز أن يرى المرأة الحرة إلا زوجها وأقاربها الأقربون من المحارم.

ب. المرأة العالمية ودورها في إثراء الحياة الثقافية:

لقد كان للمرأة دوراً فاعلاً في شتى فنون العلم والأدب، وكما أنها تميزت "بالصدق في العلم، والأمانة في الرواية والحيدة عن مواقع التهم، ومساقط الظن ما لم يوفق إليه كثيرون من الرجال"(1).

فهذه عائشة زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم وأم المؤمنين رضى الله عنها بلغت في الإحاطة بحوادث الأمم ومشكلات التاريخ مالم يبلغه ثلاثة وثمانون رجلاً، فعندما هاجر المسلمون إلى الحبشة هروباً من تعذيب قريش لهم أنزلهم النجاشي عنده منزلاً حسنا، فأرسلت قريش إليه عبد الله بن ربيعة وعمر بن العاص محملين بالهدايا حتى يعيد لهم المسلمين، لكن النجاشي رد هداياهم وقال" لا حاجة لي بها، فو الله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد ملكي فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه، حفظ الناس هذا القول ولم يعرفوا معناه، فكانت

(1) عبد الله عفيفي، المرأة العربية في جاهليتها واسلامها ج2، مرجع سابق.

عائشة رضي الله عنها من فسر هذه المقولة مما تعلم من تاريخ الحبشة فقالت. أن أبا النجاشي كان ملك قومه ولم يكن له ولد سواه. وكان للنجاشي عم له إثنا عشر رجلاً كلهم من صلبه.

فقالت الحبشة: لو أنا قتلنا الملك وولينا أخاه لأمنا على الملك أن يضع، فقتلوا ملكهم وحملوا ولده وباعوه من تاجر بستمائة درهم، وملكوا أخاه، ثم مات الملك أثر صاعقة أصابته وهو يستمطر، ففزعت الحبشة إلى ولده فإذا هو أحمق لا خير فيه، فعلموا أن لا مفزع لهم إلا إلى أبن ملكهم القتيل، فخرجوا يطلبوه من ذلك التاجر، فجاؤا به من صاحبه وعقدوا عليه التاج، وعز على التاجر ضياع حقه وماله فطلبه من القوم، فجحدوه فشكا أمره إلى الملك الذي أعاد له حقه، ثم قالت: فلذلك يقول ما أخذ الله مني رشوة حين رد على ملكي فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في فأطيع الناس فيه[1]

وهناك نماذج نسائية أخرى كثيرة كان لها دور في إثراء الحياة الثقافية سنتحدث على بعض منها على النحو التالي:

1. **جميلة (شيخه الغناء الحجازي)**:

جارية من جواري بني سليم، وقد سميت (مولاة الأنصار) لأن زوجها كان من موالي الأنصار. وتحدثنا عن كيفية تعلمها الغناء قائلة:

" والله ما هو إلهام ولا تعليم ولكن أبا جعفر سائب خاثر كان لنا جاراً وكنت أسمعه يغني ويضرب بالعود فلا أفهمه، فأخذت تلك النغمات فبينت عليها غنائي، فجاءت أجود من تأليف ذلك الغناء، فسمعني موالياتي[2] يوماً وأنا أغنى

(1) المرجع السابق.

(2) مواليات، صاحباتي.

سراً ففهمنى ودخلن على وقلن: قد علمن فيما تكتمينا، فأقسمن علـى، فرفعت صوتي وغنيتهن بشعر زهير بن أبي سلمى:

وما ذكرتك إلا هجت لي طرباً — إن المحب ببعض الأمر معذور

ليس المحب لمن شط غيره — هجر الحبيب وفي الهجرات تغيير[1]

وكان هذا أول غناء ظهرت به جميلة ثم أشتهر أمرها وذاع ذكرها بين الناس فكان منزلها أول مدرسة يأوى إليها المستمعون والمغنون والراغبات والراغبون في الغناء، وقد أخذ الغناء عنها معبد، وأبن عائشة، وحبابه، وسلامة، وعقيلة، وخليده، وربيحة وغيرهم، وكانت تمتلك جوار كثيرات منهن من يقمن بخدمتها، ومنهن من يضربن بالآلات عند غنائها، ومنهن من يغنين معها. وكانت تغنى في منزلها ولا تنتقل إلا لخليفة أو أمير. وكان يقصدها المغنون من مكة والمدينة، ويتسابقون في الغناء والمنادرات الأدبية وتكون بينهم الحكم ولا يعترض أحد على حكمها. فذات مرة أجتمع في منزلها معبد، وأبن عائشة، وأبن محرز، وابن مسجح، والغريض، فأتفقوا أن يصنع كل منهم لحنا يغنيه وتكون جميلة الحكم بينهم، فلما كان اليوم التالي أجتمعوا بدار جميلة فبدأ ابن سريج بالغناء فغنى لأمرؤ القيس، وغنى معبد من نفس القصيدة، وغنى أبن مسجح أيضا من نفس القصيدة، ثم أبن عائشة، وبعده أبن محرز، فالغريض[2]. وما أن فرغ الجميع حتى قالت جميلة كلكم محسن، وكبكلم مجيد في غنائه. فقال ابن عائشة: ليس هذا مقنع بدون تفضيل. فقالت جميلة: أما أنت يا أبا يحيى (أبن سريج) فتضحك الثكلي بحسن صوتك

(1) الأغاني، م8 ص189.

(2) انظر الأغاني م8، ص149، 191.

ومشاكلته للنفوس، وبرقة غنائك وامتزاجه بالأرواح، وأما أنت يا أبا عباد (معبد) فنسيج وحدك بجودة تأليفك، وحسن نظمك، مع عذوبة غناءك، وأما أنت يا أبا عثمان (أبن مسجح) فلك أولية هذا الأمر وفضيلته، وأما أنت يا أبا جعفر (أبن عائشة) فمع الخلفاء تصلح.

وأما أنت يا أبا الخطاب (ابن محرز) فلو قدمت أحداً على نفسي لقدمتك، وأما أنت يا مولى العبلات (الغريض) لو ابتدأت لقدمت عليهم"[1].

وبذلك يتضح لنا مدى المكانة التي وصلت إليها جميلة، فقد حكمت بينهم بكل دقة وفهم وتميز ودون أن يعترض أحد على حكمها، بل أنها تجاهر بمكانتها واثقة من نفسها فتقول لأبن محرز: لو قدمت أحدا على نفسي لقدمتك.

ولم تكن جميلة زعيمة النهضة الغنائية فحسب، بل كان لها إلمام بأخبار العرب ونوادر شعرائهم وعشاقهم، كما كان لها موهبة في فهم الشعر ونقده.

ولم تكن دراها مفتوحة لصفوة القوم من الأشراف والشعراء والمغنين، بل كانت تفتح دارها وتدعوْ عامة الناس لحضور غنائها وسبب ذلك أنها "ذات شخصيتين: شخصية وقورة عفيفة اكتسبتها من إقامتها بالمدينة وحولها الفقهاء والعلماء والأشراف وأحفاد الخلفاء والصحابة والجو الديني المتماسك، وشخصية مرحة عابثة، اكتسبتها من فن الغناء ومن تعليمها الجواري ومعاشرتها لمجان الشعراء أمثال أبن أبي ربيعة والحوص والعربي وغيرهم من شيوخ المغنين."[2]

وعندما ذهبت للحج خرج معها جميع المغنين المدنيين رجالا ونساء إلى مكة. وعند وصولها مكة استقبلها أهلها بحفاوة وترحيب بالغين منهم سعيد بن مسجح وأبن شريج وعمر بن أبي ربيعة وغيرهم.

---

(1) المرجع السابق.

(2) فايد العمروسي- مرجع سابق.

ولما طلب منها الغناء أمتنعت قائلة أنها لا تغني وهي تؤدي فريضة الحج، مما يدل على تميزها بالوقار والعفة، وهذه خصائص ميزت بها جميلة عن غيرها من الجواري.

وذات يوم فتحت دارها وجمعت القوم حتى غط دارها بالناس فوقفت وقالت" أيها الناس أني رأيت في منامي شيئا أفزعني وأرعبني ولست أعرف ما سبب ذلك، وقد خفت أن يكون قرب أجلي وليس ينفعني إلا صالح الأعمال، وقد رأيت أن أترك الغناء كراهة أن يلحقني منه شيء عند ربي."[1]

فلما سمع القوم ذلك هاجوا وماجوا واضطربوا، فبعضهم أشار عليها بأن تفعل ما تريد، والأغلبية كانوا ضد تركها الغناء، ثم قام فقيها مسنا فخطب في الناس محبذا الغناء مبينا أنه ضروري من ضرورات النفس والقلوب، كما أن الطعام ضرورة من ضرورات الحياة وما زال القوم بجميلة حتى عدلت على فكرة تركها الغناء وغنت:[2].

أخي رسم دار دمعك المترقرق — سقاها وما أستنطاق ما ليس ينطق

بحيث التقى جمع وأقصي محسر[3] — مغانيه قد كادت عن العهد تخلق

مقام لنا بعد العشاء ومنزول — به لم يكدره علينا معوق

فأحسن شيء كان أول ليلنا — وآخر حزنُ إذا نتفرق

---

(1) الأغاني م-8ص224.

(2) المرجع السابق.

(3) محسر: وادي بين منى ومزدلفة.

فصاح القوم وقالوا: بنفوسنا أنت يا جميلة.

هذه مجالس جميلة كانت متحفا لألوان مختلفة من الألحان والشعر والأحاديث الأدبية. وكان المغنين يجتهدون في غنائهم وتلحينهم حتى ينالوا رضاها جميلة، لمعرفتهم أنها تثنى علي المحسن، وترشد المقصر وتضع كل في موضعه.

كما أن دارها كان مدرسة لتعليم الغناء ونقده وتهذيبه، ومنتدى أدبي لمناشيدة الأشعار والطرف التاريخية.

ويكفيها فخرا أن عبد الله بن جعفر كان يقصد دارها لسماع الغناء، وأن إبراهيم الموصلي لم يعشق الغناء ويتعلمه إلا عندما سمع غناءها بعد موتها فكان من أنبغ المغنين.

2. **هجيمة الدمشقية** (أم الدرداء)

عالمة جليلة، أشتهرت بسعة إطلاعها، وحدة ذكائها، كانت ملمة بالعلوم، ومتعمقة في الثقافة والمعرفة، وكانت رغم جمالها وحسنها زاهدة متقشفة، وكان مجلسها يضم أبرز العلماء والفقهاء في عصرها.

روت الأحاديث عن زوجها أبي الدرداء وعن عائشة أم المؤمنين وغيرهم، كما روي لها مسلم وأبو داود والترميذي وأبن ماجه.

حظيت أم الدرداء بمكانة عالية بين أهل الثقة والعلماء، فكان أحاديثها وآرائها موقع أحترام وتقدير من علماء عصرها، وكان الناس يقصدونها، فتحدثهم في أمور الدين والدنيا، فينهلون من علمها الغزير، ويستفيدون من حكمتها.

" يقول عون بن عبد الله: كنا نجلس إلى أم الدرداء فتذكر الله عندها فقال الجمع لعنا قد أمللناك؟ فردت عليهم: تزعمون أنكم أمللتموني، فقد طلبت في كل شيء، فما وجدت شيئا أشفي لصدري، ولا أحري من مجالس الذكر ثم قالت

أفضل العلم المعرفة، فتعلموا الحكمة صغارا، تعلموا بها كبارا فإن كل زارع حاصد ما زرع من خير أو شر، ثم قالت: ما بال أحدكم يقول: اللهم أرزقني وهو يعلم أن الله لا يمكر عليه من السماء دينارا ولا درهما، وإنما يرزق بعضكم من بعض، فمن أعطي شيئا فليتقبله فإن كان غنياً فليعطه للمحتاج، وإن كان فقيراً فليستعين به، ولا يرد على الله رزقه الذي رزقه، ولذكر الله أكبر وليس هناك أفضل من التسبيح لله. [1]

وكان لأم الدرداء مكانة كبيرة عند بني أمية، فوقروها وأحترموها لفضلها وعلو منزلتها عند أهل العلم، فكثيرا ما كان عبد الملك بن مروان معها في حلقتها في مؤخرة مسجد دمشق، فيستمع حديثها ومواعظها، أو يبعث إليها فتنزل في ضيافته بعض الوقت، ولم تكون تخاف من قول الحق حتى لو كان الخليفة نفسه، "فذات ليلة وهي مقيمة عند عبد الله بن مروان سمعته وهو يعلن خادمه ويسبه وفي اليوم التالي سألته عن سبب ذلك فأجابها لما أبطأ – أي خادم- عني استفزني فغضبت ولعنته، فردت عليه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يكون اللعانون شفعاً ولا شهداً يوم القيامة"[2].

وبعد أن توفي زوجها – أبا الدرداء- تقدم لخطبتها معاوية بن أبي سفيان فرفضت لأنها لا تريد الزواج بغيره في الدنيا حتى تتزوج به في الجنة.

3. **سكينة بنت الحسين:**

ولدت سكينة سنة 47 هجرية، والدها هو الأمام الحسين رضي الله عنه، والدتها هي رباب بنت أمرؤ القيس، وقد سمتها والدتها سكينة، لأن نفوس أهل البيت كانت تسكن وترتاح إليها، وسكينة نموذج للمرأة المسلمة المثقفة فقد كانت

(1) منال العماوي- مرجع سابق.

(2) المرجع السابق.

على علم غزير وثقافة واسعة ومعرفة شاملة بالشعر وبحورة وأوزانه وصوره، وهي أول من أقام صالونا أدبيا في الإسلام فكان يحضر ندواتها نخبة من أعظم شعراء العرب يحتكمون إليها فيما ينشدون من أشعار، فتقدم أحكامها النقدية الصائبة التي تدل على سعة الأفق والإطلاع وقوة الحجة، فقد روي " أن الفرزدق أستأذن ودخل إليها فقالت له:

يا فرزدق من أشعر الناس؟ قال أنا فأجابت: أشعر منك جرير إذا يقول:

بنفسي من تجنبه عزيز علي من زيارته لمام

ومن أمسي وأصبح لا أراه ويطرقني إذا هجع النيام

فقال والله لو أذنت لأسمعتك أحسن منه فخرج ثم عاد إلأيها مرة أخرى فقالت: يا فرزدق من أشعر الناس؟ قال: أنا فأجابته: صاحبك جرير أشعر منك حيث يقول:

لولا الحياء لعادني استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار

ولا يلبس القرناء أن يتفرقوا ليل يكر عليهم ونهار[1]

ولم يقتصر نشاط صالون سكينة علي الشعر فقط، بل شمل أيضا الغناء والموسيقى، ورغم شغف سكينة الأدبي، إلا أن ذلك لم يمنعها من التعبد لله سبحانه وتعالى، فكانت شديدة في التعبد لله.

(1) منى رجب- مرجع سابق.

وقد رحلت سكينة من العراق إلى المدينة بعد أن شهدت فيها عدة مآسي منها مأساة كرباء الذي قتل فيها والدها الحسين وذبح أهلها وأخواتها أمام عينيها ومأساة قتل زوجها مصعب بن الزبير حينما شارك في حرب عبد الملك بن مروان استقرت في المدينة المنورة حتى توفيت مخلفة لنا دورا ثقافيا نعتز ونفخر به في مجال الأدب والثقافة.

ومن المواقف الطريفة الواقعية المرأة ما حكاه.

"أبو الحسن المدائن: دخل عمران بن خطاب يوما على امرأته، وكان عمران قبيحا دميما قصيرا، وقد تزينت وكانت امرأة حسناء، فلما نظر إليها ازدادت في عينه جمالا وحسنا فلم يتمالك أن يديم النظر إليها، فقالت ما شأنك؟ قال: لقد أصبحت والله جميلة، فقالت: أبشر فأني وإياك في الجنة قال: ومن أين علمت ذلك؟ قالت لأنك أعطيت مثلي فشكرت، وأبتليت بمثلك فصبرت، والصابر والشاكر في الجنة." (1)

كما يحكي " أن إعرابيا بعث غلاما له إلى امرأة يواعدها موضعا يأتيها فيه، فذهب الغلام وأبلغها الرسالة فكرهت المرأة أن تقر للغلام بما بينهما، فقالت: والله لئن أخذتك لأعركن أذنك عركة تبكي منها، وتستند إلى تلك الشجرة ويغشي عليك إلى وقت العتمة، فلم يعرف الغلام معنى هذا الكلام وأنصرف إلى صاحبه وحكي له، فعلم أنها واعدته تحت الشجرة وقت العتمة" (2).

وهكذا نستنتج أن التاريخ قد حفل بالحكايات الواقعية التي جسدت المواقف التي قامت بها المرأة وأبدعت فيها لدرجة أنها فاقت في بعضها الرجل ولذلك ذاع صيت هذه النماذج من النساء وأصبح مثار إعجاب للكتاب والأدباء، مما جعلهم يتحدثون عنها في أدبهم وحكاياتهم.

---

(1) أبي الفرج أبن الجوزي، أخبار الأذكياء – مطابع الأهرام، القاهرة، 1970، ص 221.

(2) المرجع السابق.

الفصل الثاني

" النماذج العامة للمرأة في السير الشعبية"

الفصل الثاني

" النماذج العامة للمرأة في السير الشعبية"

حرصت حكايات ألف ليلة وليلة علي إبراز دور المرأة من جوانب مختلفة لتؤكد من خلال البحث التاريخي والاجتماعي، أن هذه النماذج، وأن أغرقت في الفانتازيا فهي إفراز من الواقع والتاريخ.

فإذا انتقلنا إلى النماذج للمرأة في السير الشعبية، فسوف نجدها نماذج مفارقة وموجهة توجيهاً آخر نحو إيجابيات المرأة في الغالب وهي ترتكز حول دورها كأم وكفارسة، تربي أبنائها وتذود عن بلدها وقبيلتها مثلها في ذلك مثل الرجل.

أما عن السبب الذي يقف وراء هذه النماذج المفارقة فيرجع إلى الاختلاف في البنية القصصية والقصدية بين حكايات الليالي والقص في السير الشعبية وسوف نفصل في هذا القول مع تناولنا النماذج المرأة في السير الشعبية.

المبحث الأول
المرأة الأم والفارسة في سيرة الأميرة ذات الهمة

تدور أحداث سيرة ذات الهمة "حول الحرب بين العرب والروم التي بدأت تشتد منذ عصر عبد الملك بن مروان" [(1)].

" مرورا بعصر مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين، وحتى مطلع العصر العباسي الذي شهد صراعا محتدما علي السلطة بين الأمين والمأمون، وكذا حركات الإستقلاق التي عمت معظم أرجاء الدولة العربية آنذاك مثل ثورة الخوارج، وتستمر السيرة هذه الأحداث حتى تنتهي بعصر الواثق بالله." [(2)].

وركزت السيرة على تمجيد أسرة بني كلاب التي تنتمي إليها بطلة السيرة وإعلاء شأنها في الجهاد الذي خاضته إلى جانب الدولة الإسلامية ضد الروم بقيادة بطلة السيرة فاطمة بنت مظلوم (الأميرة ذات الهمة)، وبالإضافة إلى كون السيرة عكست الصراع بين العرب والروم، فأنها تعكس أيضا" صورة المرأة ومكانتها في المجتمع والفضائل الأخلاقية التي تتحلي بها." [(3)]

وكان الدور البطولي للأميرة ذات الهمة في هذه السيرة بمثابة" ناقوس يدعو لتحرير المرأة من عقالها حتى تنطلق فتأخذ دورها الإيجابي في المجتمع". [(4)]

(1) نبيلة إبراهيم، سيرة الأمير ذات الهمة، مرجع سابق.

(2) شوقي عبد الحكيم، تراث شعبي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1994،ص 374.

(3) مرسي الصباغ، القصص الشعبي العربي، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1999، ص44.

(4) محمد رجب النجار، البطب في الملاحم الشعبية العربية، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، 1976 ص158.

كما عبرت بحق عنى المرأة العربية الحرة التي" تحافظ على عرضها وتدافع عنه حتى الموت، وكذلك الأم التي ترقي عندها حاسة الأمومة إلى أسمي ما يمكن، فتكرس نفسها لتربية أبنائها محققة كيانها فيهم، وقد جمعت بين صفات الشجاعة والإقدام والعبادة والدين والجهاد في سبيل الله مما أهلها ذلك لتكون من مصاف أولياء الله الصالحين".[1]

وإذا كانت السيرة " قد صورت ذات الهمة في صورة أقرب إلى صورة القديسين، فإن ذلك لم يكن أمرا عفويا، وإنما كان أمرا مقصوداً يؤكد مكانة المرأة، وما يمكن أن تصل إليه من قوة ونقاء وقدرة على التحمل والاستغناء"[2].

وسنركز في هذا المبحث على نموذجين للمرأة في هذا السيرة هما: الأم، الفارسة.

1. المرأة الأم:

ركز القاص في الأجزاء الأولى من سيرة ذات الهمة على المرأة الزوجة والمرأة الأم. ولا يقتصر تصوير هذين الجانبين على ذات الهمة وحدها، بل هناك نماذج أخرى عربية وغير عربية في السيرة قامت بهذين الدورين دون تميز أو تعصب للمرأة العربية. من هذه النماذج.

(1) فاروق خورشيد، أضواء على السير الشعبية، منشورات أقرأ، بدون تاريخ، ص48.

(2) أحمد علي مرسي، الذات العامة والذات الخاصة في السير الشعبية المصرية، الفنون الشعبية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، العدد 49، 1995 ، ص13.

أ. أم الصحصاح[1]

التي اتصفت بحبها الشديد لأبنها وخوفا الدائم عليه: وتوضح السيرة مدى الحزن الكبير الذي لازم أم الصحصاح عندما نقل إليها خبر كاذب عن وفاة ولدها فطار صوابها، وبكت بكاء مراً، ومن فرط حزنها على ولدها حثت التراب على رأسها وأخذت تصرخ خلف هودج خطيبته التي تزوجت بغيره بعد أن زف إليهم خبر وفاة خطيبها.

وتعبر الأم ببكائها الشديد عن حزنها لفراق ولدها وغضبها من عدم وفاء خطيبته له، رغم أنه خرج باحثا عن مهرها ليظفر بالزواج منها، وتشاء الأقدار أن يلتقي الصحصاح -الذي أشيع خبر وفاته كذبا- بموكب خطيبته، فيعودوا جميعا إلى ديارهم في بني كلاب، فتنفرج أسارير والدته وتفرح لذلك فرحا شديدا، وينجب من زوجته وابنة عمه ليلي ولده ظالم.

ب. زوجة الصحصاح:

كان للصحصاح زوجتان الأولي ليلي أنجبت منها ظالما والثانية أمامه أنجب منها "مظلوما" وبعد أن مات الصحصاح تنكر ولده ظالم لأخيه مظلوم وأنكر أخوته وطرد أمه أمامه، فعادت إلى قبيلتها بني وحيد وهي باكية حزينة علي مصير ولدها مظلوم، فأخذت تولول" يارب يا من هو بالأسرار عالم خذ لولدي حقه من أخيه ظالم[2].

وتظل أمامه منشغلة بتربية ولدها والاعتناء به وهمها الدائم أخذ حق ولدها من أخيه، فأخذت تربية على الشجاعة والكرم والإقدام حتى أخذ صفات والده

(1) الصحصاح: هو جد الأميرة ذات الهمة واسمه الصسحصاح بن جندية بن الحارث الكلابي.

(2) السيرة م1 ص 495.

وظلت تشجعه وتقف إلى جانبه حتى أستطاع أن يأخذ حقه، ويقاسم أخاه ظالما في إمارة القبيلة.

جـ. القناصة (زوجة الأمير عبد الوهاب):

تطالعنا سيرة ذات الهمة بالعديد من الصور المشرقة للمرأة، فهذه القناصة تضرب أروع الأمثلة للتضحية والشجاعة في سبيل خلاص ولدها ظالم من سجن الخليفة هارون الرشيد الذي أرسل في طلبه وأودعه السجن، فما كان من أمه إلا أن جمعت قادة بني كلاب وسارت في جيش من قبيلتها متحدية الخليفة هارون الرشيد من أجل ولدها، وقد تمكن بإصرارها وعزيمتها من إلحاق الهزيمة بقوات الخليفة وفك أسر ولدها.[1]

د. الأميرة ذات الهمة:

تمثل الأميرة ذات الهمة (بطلة السيرة) أعلى مراتب الأمومة في السيرة الشعبية العربية، فبعد أن تم زواجها من أبن عمها (الحارث بن ظالم) بحيلة غادر أنجبت منه ولدا مخالفا للون أبيه ولون أمه، بل واللون المألوف في القبيلة، مما جعل والده ينكر نسبة إليه ويتهمها في أعز ما تملك (شرفها)، لكن الخليفة وحكيم العرب حكما ببراءتها وأكد صحة أنتساب الولد إليه، ورغم أن ذات الهمة في بادئ الأمر عهدت بتربية ولدها لأحدي الجواري، لأنها رأت أن فر إنجابها له أصبحت تنسب إلى أرباب الجمال لا لأصحاب السيوف وهي لا تريد ذلك، إلا أن عاطفة الأمومة انتصرت عليها، فأخذت ولدها (عبد الوهاب) وأحسنت تربيته، ولم تمنعها المكانة التي وصلت إليها من الفروسية والشجاعة ذائعة الصيت، من أن تكون أما دافئة الحنان لولدها شديدة الحب له.

---

(1) انظر السيرة، م3، ص23 وما بعدها.

وعندما كبر وأشتد عوده أخذت تقمه على نفسها، وتجعله قائدا لجيوش الثغور إلى جانب أخذه الصدارة لقبيلة بني كلاب، وظلت تقف إلى جانبه مدبرة وحارسة "تفديه إذا تعرض للهلاك وتخلصه من الأسر إذا تكاثر عليه الأعداء، وتخوض في سبيله أصعب الأهوال، إذ تخوض بلاد الروم سافرة أو متنكرة ما وقع أسيرا هنا أو هناك، بل أنها تعادي الخليفة نفسه من أجل ولدها رغم تدينها الشديد وإيمانها بوجوب طاعة ولي الأمر"[1].

ولم تدفع عاطفة الأمومة القوية لدي الأميرة ذات الهمة من أن تقف إلى جانب ولدها ظالما كان أو مظلوما، بل كانت تردعه عندما يحيد عن الحق وتنصحه وتبصره بالطريق الصحيح، فإذا خالفها تركته يواجه الموقف لوحده، وأحياناً تقف ضده وتبارزه في الميدان من أجل إحقاق الحق وحتى تعلمه أن يتخلي عن أهدافه الشخصية من أجل المصلحة العامة، كما حدث عندما تشاجر مع البطال لأجل (نورا)، فقد أراد كل منهما الزواج بها، ولما أدركت الأميرة ذات الهمة أن البطال أحق بالزواج منها، لأنه أسرها أولا، وقفت إلى جانبه ضد ولدها وقالت له أمام الملا "سلم إليه الجارية وإن امتنعت من ذلك فو الله ما أنت عندي أعز من أبو محمد البطال وأني أكون على العهد من أجل الفرد الصمد ولا أعز من ذلك أهلا ولا ولدا"[2]؟

وكانت ذات الهمة بفيض حنانها أما للجميع وليس لولدها عبد الوهاب فقط فقد كانت إثر كل معركة تتفقد الجرحى وتداويهم وتعيش مشاكلهم وهمومهم حتى أطلق عليها لقب "أم المجاهدين".

---

(1) محمد رجب النجار، المرأة في الملاحم الشعبية العربية، عالم الفكر، الكويت، المجلد السابع، العدد1، 1976 ص 74-75.

(2) السيرة، م2 ص 789.

2. المرأة الفارسة:

تتجاوز السير الشعبية دور المرأة التقليدي، أما وزجه إلى دور غير تقليدي وهو المرأة الفارسة التي تخوض غمارة الحرب والنزال وتبلي في ذلك بلاءً حسنا، وهناك نماذج من النساء من كانت بطولتها وفروسيتها من أجل تحقيق مطامع شخصية كالقناصة بنت مزاحم في سيرة الأمير ذات الهمة التي كانت فارسة أهل زمانها وكانت " من أحسن النساء وجها وأطولهم قدا وأقعدهم نهداً، وقد ضربت غاراتها البلاد وشتت بقومها العباد ويتمت الأولاد، وتحت يدها خمسة الآف فارس من كل بطل مداعس وقد أنضاف إليها كل طامع من العبيد، فكانت تضرب الأرض وتأخذ القوافل والأموال، وإذا وصف لها من أي البلاد شاب مليح جميل الصورة تسير إليه بنفسها وتأخذه قهرا وتقوده كرها وتسير به إلى حصنها وتتزوج به ثلاثة أيام وتقتله في اليوم الرابع أما بقطع رقبته أو إلقائه من أحد الأبراج."[1]

وكانت القناصة تهدف من وراء كل ذلك تحقيق أهداف ومطامع شخصية، وتنظم وتقتل وتنهب في سبيل تحقيق ذلك، ويأتي على النقيض من ذلك الأمير ذات الهمة التي اشتهرت ببطولتها وفروسيتها من أجل إحقاق الحق والذود عن قومها وصيانة حقوقهم والوقوف في وجه الظالم ومقارعته، لذلك عندما علمت بأمر القناصة وما تمارسه من القتل والظلم قررت هي وولدها عبد الوهاب وفرسان قومها الخروج إليها لقتالها وتخليص الناس من شرورها، إلا أن القناصة كانت ذات خبرة ودراية بفنون القتال والمبارزة مما مكنها من أسر معظم الأبطال بما فيهم الأمير عبد الوهاب بن الأمير ذات الهمة مما أغضب ذلك الأميرة ذات الهمة، فخرجت لقتالها واستطاعت هزيمتها في الميدان، ثم دعتها إلى الإسلام، فأسلمت وتزوجت

(1) السيرة، م2، ص 18.

الأمير عبد الوهاب، فوجدها بكرا وليست كما سمع عنها فسألها عن السبب فأجابته قائلة "كنت إذا سمعت ببطل من الأبطال أطلبه من أهله أو أخذه قنصا من الميدان فإذا خلوت به بعد الزواج تذكرت أني أخذته أسيرا، فتنفر نفسي منه أن أكون أهلا له أو يكون لي بعلا فأضرب عنقه حتى لا يعود إلى أهله ويحدثهم عني"[1]. ولأن "بطولتها وفروسيتها كانت لأهداف شخصية محدودة فقد انتهت بطولاتها عندما أحبت عبد الوهاب وتزوجت به"[2].

وكذلك الحال بالنسبة للملكة زنانير أحد ملوك الروم التي كانت تقود جيشها لقتال المسلمين، وقد اشتهرت بقوتها وصلابتها، وقبل أن تخرج الأميرة ذات الهمة لقتالها أرسلت لها سرية تستطيع جيشها وتحدد نقاط ضعفه، وكان من ضمن هذه السرية رجل يدعى لؤلؤ استطاع أن يتنكر بزي الروم وكان مؤمنا شجاعا وقد تمكن من الوصول إلى الملكة وتظاهر لها بأنه يتجسس على المسلمين، لصالح الروم، وقد وقعت الملكة زنانير في حبه فلما علم لؤلؤ بحبها أخبرها أنه مؤمن وهارب من جيش الأميرة ذات الهمة، ويرغب البقاء في بلاد الروم دون أن يغير دينه، فأجابته الملكة زنانير إلى طلبه، ولكي تتحقق من صدق ولائه لها طلبت منه محاربة المسلمين، فأظهر لها أنها يحارب إلى صفها ضد المسلمين، وهو في حقيقة الأمر يمد المسلمين بأخبار الروم وعتادتهم وقوتهم مما جعل المسلمون يضيقون عليها الخنادق، فما كان الملكة زنانير إلا أن قاتلت قتال الأبطال، فكان كلما خرج لها بطلا من أبطال المسلمين أردته قتيلا حتى كادت أن تقتل الأمير عبد الوهاب لولا أن هبت الأمير ذات الهمة لنجدته، فبارزتها وأسرتها ثم دعتها للإسلام، لكنها رفضت فأمرت بحبسها، لكن ذلك أغضب لؤلؤ فهب لفك أسرها وأعادها إلى قلعتها، وبالمقابل قام

(1) المرجع السابق.

(2) نبيلة إبراهيم، البطولات العربية والذاكرة التاريخية، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 1995، ص 281.

بفك أسري المسلمين بناء على طلب الأميرة ذات الهمة، ولعدم قدرة الملكة زنانير على الصمود أما المسلمين وحبها الشديد لؤلؤ أسلمت وتزوجته، وانتهت بطولاتها بعد زواجها منه، وهذا النموذج للمرأة الفارسة يُعد جزءا أساسيا في بناء السيرة حيث يوضح الصراع والحرب الذي دار بين القوتين المتصارعتين العرب والروم، إذا مثلت الملكة زنانير أحد طرفي هاتين القوتين في حين مثلت الأميرة ذات الهمة الطرف الثاني"[1]. وهذه النماذج للمرأة الفارسة كثيرة في السير مثل ميرونة، وميمونة بنت الملك الدمدمان[2].

أما نموذج المرأة الفارسة التي تمثله الأميرة ذات الهمة فتختلف عن النماذج السابقة، في كونها نشأت مظلومة وعانت من القهر والحرمان منذ صغرها، حيث شاءت الأقدار أن يتفق والدها مظلوم وعمها ظالم في أن ينفرد منهما بالحكم من أنجبت زوجته ولدا، وقد أنجبت زوجة ظالم ولدا (الحارث) في حين أنجبت زوجة مظلوم بنتا سميت فاطمة، والتي لقبت فيما بعد بالأميرة ذات الهمة، وخوفا من أن يفقد والدها مظلوم الحكم اتفق مع الجارية (سعداء) على إخفاء الخبر وإعلان أن زوجته أنجبت ولدا، وتوفي بعد الولادة وأخذت الجارية سعداء فاطمة وربتها مع ولدها مرزوق، وفي أحد الأيام غارت قبيلة بني طي على ديار بني كلاب التي انتمي إليها ذات الهمة، فنهبوا الأموال وسبوا النساء، وكانت بنت مظلوم فاطمة من بين السبايا.

وهكذا تبعد فاطمة بسبب العادات الاجتماعية السائدة في ذلك الوقت.

وتصبح فاطمة بسبب العادات الاجتماعية السائدة في ذلك الوقت.

(1) المرجع السابق.

(2) انظر: أ، السيرة، م2 ، ج 9،8 ب، السيرة، م4 ج، 36.

وتصبح فاطمة أمة من إماء بني طي، وتجبر على رعي الغنم و الإبل، وتشعر بالمهانة والذل مما يجعلها "تقرر في ذاتها أن تكسب قيمتها ووضعها في المجتمع من خلال ممارسة الرياضة وتعليم نفسها القتال والفروسية"[1]. فقد كانت أثناء رعيها للغنم والإبل " تركب الخيل وتتعلم وحدها الكر والفر والنزال والطرد وتتعلم المرافعة والممانعة"[2].

وتكبر ذات الهمة وتصبح ذات حسن وجمال، وتظهر بوادر فروسيتها وبطولتها عندما تحرش بها (قريع) أحد فرسان بني طي، فتحذره ويسخر منها ويستمر في مطارتها، ولأنها تكره أن ينظر إليها كجسد جميل وجارية للمتعة، فقد احتالت على الرجل حتى خرج خارج القبيلة، فبارزته حتى قتلته، فأحست أنها ثأرت لكرامتها فكانت هذه بداية ظهروها كفارسة وبعد أن دفع سيدها دية قتلها لقريع، وعدته أن تعيد له ما أعطى على أن يعطيها جوادا وسلاحا، وتخرج فاطمة وتشن الغارات على قبائل أخرى حتى أغنت سيدها وتكرر غارتها الناجحة حتى تدهش شيوخ بني طي فيطلقون عليها (ذات الهمة) وتصبح حامية بني طي ثم يطلب منها شيوخ بني طي أن تأخذ بثأر قديم عند بني كلاب، فتوافق وتشن الغارات عليهم، وهي لا تعرف أنهم قومها حتى أنها تأخذ أبيها أسيرا وتعود به إلى بني طي.

وبعد أن تعرف الحقيقة من الجارية سعداء، تأخذ والدها وتعود إلى قبيلتها، وتكون ذات الهمة قد أصبحت بطلة وفارسة.

وأصبحت ذات الهمة مدعاة للفخر واعتزاز لوالدها بعد أن فرح يوم سُبيت، وحققت له والدها مكانة عالية بين القبائل، مما جعل عمها ظالم يعتبرها منافسة له

(1) أحمد محمد عطية، هموم المرأة العربية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1992، ص 108.

(2) السيرة م1، ص506.

في الملك والسلطان، فأخذ يشجع ولده (الحارث) في حبها والزواج منها وذلك لاحتوائها واحتواء نفوذها إذ يرى أنها " إذا صارت لولده انكسرت حرمتها وقل نشاطها، وذهبت قوتها، فإن مظلوم قد استطال بها إلى الغاية، وبانكسارها نبلغ نحن من أبيها سائر الأغراض." [1]

لكن ذات الهمة تفطن إلى هدف عمها فترفض الزواج من الحارث قائلة " ما خلقت إلا للنزال لا للفراش والرجال، ولن يضاجعني غير سيفي ودرعي وعدة جلادي" [2].

ويزداد الحارث إلحاح في طلب الزواج حتى تحكم عليه بأن يكون السيف هو الحكم بينهم، فيوافق الحارث تغترا بقومه واثقا من كسب الرهان، لكن النتيجة لم تأت وفق ما أراد، فقد تمكنت ذات الهمة من هزيمته هزيمة ساحقة أمام القبيلة.

وتلمع بطولة وفروسية ذات الهمة عندما نشبت حرب بين العرب والروم فبعد أن طلب الخليفة المنصور من القبائل مساعدته لحماية حدود الدولة من هجمات الروم، انضمت ذات الهمة إلي أبيها مظلوم وعمها ظالم للمشاركة في الجيش المسافر الحدود، وهناك أبلت ذات الهمة بلاءا حسنا وحولت الهزائم المتتابعة للمسلمين إلى نصر وشاءت الأقدار أن يكون على رأس جيش الروم التي تقاتل ضده الهمة امرأة هي ملطية بنت ملك الروم، فتتغلب عليها ذات الهمة وتستولي على ملطية المدنية، التي سمتها باسمها، فتعيد بناءها وتجعلها عاصمة للثغور تقاتل منها جيش الروم" وتتزعم جيشها مستخدمة سياسية ذات حدين فهي من ناحية

(1) المرجع السابق.

(2) المرجع السابق.

تهدف إلى توحيد صفوف قبيلتها تحت لواء الخليفة منعا للفتن والاضطرابات ومن ناحية أخرى تحقق مبدأها في الحياة القائم على مساندة صاحب الحق[1].

ولهذا فقد عارضت عمها ظالما عندما رفع لواء الثورة على الخليفة المنصورة ورفض مساعدته في الحرب ضد جيش الروم قائلة له " يا عماه بالغت في الخطأ لما أن كان الأمر لبني أمية كنت في حقهم مليح، ولما رجع الأمر لأهله عدلت عن الصحيح والصواب أن تنهض بقومك وتسير إليه وتعرض خدمتك له."[2]

ونراها من جانب أخر "تستقل برأيها عن الخليفة أذا رأت أن المصلحة تقتضي ذلك[3].

فعندما طلب منها المأمون أن تقف مع الثائر الرومي (كوشانوش) ضد ملك الروم رفضت، لأنها رأت هذا الثائر يشكل خطرا على المسلمين أكثر من الروم مما جعلها تقف إلى جانب ملك الروم، ضد هذا الثائر، لأن ذلك سيمكنها من الاستيلاء على حطين والقضاء على كوشانوش في أن واحد.

ونلاحظ أن فروسية ذات الهمة مرت بمرحلتين"[4].

الأولى: أتسمت بالطابع الفردي وهي الفروسية التي غلب عليها الطابع القبلي، حيث كان يحكم بطولاتها وغاراتها انتماؤها إلى قبيلتها بني كلاب بعد تعرفها على والدها مظروم وهي في هذه المرحلة تعبر عن شخصيتها الفردية وتقاتل في سبيل التغلب على صعوبات هي في الأصل وليدة نظام اجتماعي قبلي.

(1) نبيلة إبراهيم، سيرة ذات الهمة، مرجع سابق.

(2) السيرة، م1، ص 566.

(3) نبيلة إبراهيم، سيرة الميرة ذات الهمة، مرجع سابق.

(4) ضياء عبد الله خميس، مرجع سابق.

الثانية: أتسمت بالطابع الجماعي، حيث تحولت ذات الهمة خلالها من التمثيل الفردي إلى التمثيل الجماعي، وقد ارتبط دورها بالبطلة الشعبية التي تحرص على تحقيق أماني الشعب وطموحاته، تحقيقا يبتعد كل البعد عن حقيقة العلاقات السائدة في المجتمع آنذاك بين الذكر والأنثى، كما أنها نجحت أيضا في أن تكون أما صالحة تسعى لرعاية ونجاح ولدها حتى ولو كان ذلك على حساب سعادتها، وإذا كان لها من فشل فيتمثل ذلك في الجانب الأنثوي. بمعنى أنها فشلت في أن تكون زوجة ناجحة كما كانت أما وفارسة، وقد يمكن السبب وراء ذلك، الظلم الاجتماعي الذي عانت منه ذات الهمة منذ صغرها حيث سُبيت وتربت بعيدا عن أهلها وقبيلتها، فأثر ذلك في شخصيتها وجعلها تنفر من الرجال لما لقيته في حياتها من المهانة والذل والاعتداء من قبل الرجل، مما جعلها تنفر منه وتنظر إليه بنظرة الند للند، وقد ساعدها في ذلك بطولتها وفروسيتها التي كانت من الصفات المقتصرة على الرجال فقط، وقد يكون فشل ذات الهمة في أن تكون زوجة ناجحة أن القاص يريد إثبات قوة المرأة وعزيمتها عندما تريد ذلك لدرجة أن بإمكانها أن تكون أماً ناجحة وفارسة شجاعة تتمتع بما يتمتع به الرجل من فروسية وحكمة قوة شخصية دون حاجة للرجل.

وإذا كان القاص قد صورة المرأة في سيرة ذات الهمة بصورة رومانسية أو بعيدة عن الواقع، فإنما يريد أن يضع أيدينا على القضية الأساسية التي يريد معالجتها وهي عدم اعتراف المجتمع العربي بحق المرأة في المساواة مع الرجل، واعتبارها عنصرا ثانوياً تابعا أقل درجة في الأهمية والإمكانيات من الرجل وهذا فإن أحداث السيرة تعد بمثابة شهادة تدل على قدرة المرأة في اقتحام كل المجالات

التي كانت حكرا على الرجل كالفروسية والقيادة، ورغم أن القاص في هذه السيرة عمل على تأكيد دور المرأة والإعلاء من شأنها، إلا أنه لم يغفل دور الرجل ولم ينكره، بل جعل له دورا لا يقل أهمية عن دور المرأة، فالأمير عبد الوهاب أبن ذات الهمة، وأبو محمد البطال، يقومان بدورين بطوليين، يتساويان إلى حد كبير مع ما قامت به ذات الهمة، مما يدل على أن القاص يريد تأكيد أن أهداف المجتمع لا يمكن تحقيقها إلا بالتكامل بين المرأة والرجل معا، على قدم المساواة، ودون تحيز لجنس على آخر.

المبحث الثاني
المرأة العاشقة للبطل الفارس العاشق

حظيت سيرة عنترة بشهرة كبيرة، واستمرت كعمل فني ملحمي زمنا طويلاً في ذاكرة الشعب وما زالت كذلك حتى اليوم، ويعود سبب شهرة هذه السيرة إلى كونها "صورة صادقة للفروسية العربية القبلية، وامتدت بها إلى ما بعد الإسلام"[1].

ففي عهد ما قبل الإسلام صورت السيرة " الغارات العربية القبلية وعلاقات جزيرة العرب بالإمبراطورية الفارسية. كما تناولت الانتصارات التي حققها الإسلام، حيث وصلت الفتوحات الإسلامية العديد من البلدان التي كانت تدين بالمسيحية وخاصة بلاد الشام وشمالي أفريقيا وأوروبا"[2].

لذلك فقد "سماها المستشرق" كوسان دويرسفال "إلياذة العرب وقال: أننا نستطيع أن نجد فيها صورة صادقة لحياة أولئك الأعراب الذين لم يكد مُر الزمن يغير من عاداتهم وطبائعهم فاحتفاؤهم بالضيف وأخذهم الثأر وغرامهم. وكرمهم وتعطشهم للإغارة والسلب وتذوقهم الوراثي للشعر كل ذلك موصوف وصفاً دقيقاً بها"[3].

(1) محمود ذهني، سيرة عنترة وسماتها القصصية، الفنون الشعبية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، العدد3، 1965، ص8.

(2) برنهارت هلز، ترجمة ابراهيم زكي خورشيد، من روائع السيرة الشعبية سيرة عنترة، الفنون الشعبية المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، العدد 10، 1969ص، 30.

(3) يسرى عبد الغني، سيرة عنترة العبسي بين الواقع والدب الشعبي، الفنون الشعبية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، العدد 22، 1988، ص 112،113.

كما عالجت السيرة أيضا قضايا أخرى هامة ظلت الشعوب العربية تعاني منها حتى وقت قريب كالعبودية والتفرقة العنصرية، بل أن السيرة جعلت هذه القضية المحور الأساسي التي سعى القاص من خلال بطل السيرة إلى علاجها بأسلوب فني أدبي ملحمي، معبراً في الوقت ذاته عن مفهومه للحرية "بأنها مسئولية والتزام خلقي أمام الجماعة والفرد الحر نفسه"[1] فلا يوجد عبد وآخر حر فالناس سواسية كأسنان المشط، وانطلاقا من هذا المفهوم حاول القاص أثبات أحقية السود في المجتمع كالبيض.

ولا ترجع أهمية هذه السيرة إلى كبر حجمها وتناولها لهذه القضايا فحسب، بل ترجع كذلك إلى أنها " تتمحور على مطلب أنساني عام، وهو تحرير الإنسان من أخيه الإنسان، وقد اعتمدت إلى حد كبير على ما نقلته كتب الأخبار والأدب عن حياة عنترة الشاعر العبسي، وعن قصة كفاحه من أجل حصوله على النسب والحرية"[2] ولكنها تتخذ من تحرير عنترة من العبودية رمزاً لتحرير الإنسان في كل زمان ومكان.

وسنركز على الدور الذي لعبته المرأة في حياة بطل السيرة، حيث كان لها الأثر البالغ في حياة عنترة في كل أحداث السيرة، وسيتضح ذلك من خلال الآتي:

المرآة الحبيبة ودورها في حياة البطل:

تظل المرأة في معظم السير الشعبية نموذجاً إيجابياً عندما تكون حبيبة وزوجة فيما بعد. فمن أجلها يخوض البطل المتاعب والهوال. وهو بذلك يحاول طرح قضيته كانسان محاولاً تحقيق ذاته. وتكون المرأة "رمزاً لانتصاره وحب البطل لها رمزاً

(1) محمود ذهني، فاروق خورشيد، فن كتاب السير الشعبية، منشورات اقرأ، بيروت، ط2، 1980، ص، 217.

(2) محمود ذهني، سير عنترة، الدار القومية للنشر، القاهرة، بدون تاريخ ص، 176.

لتطلعاته للوجود والمعنى السمى في الحياة بحيث يصبح هذل الحب هو تحقيق لكل ما هو شريف وجميل في حياة البطل"[1] كما أنها أيضا "تكون رمزاً لالتحام البطل بالجماعة، حيث يكون في بداية حياته فرد غير مرغوب فيه، ثم من خلال العقبات والعراقيل التي توضع في طريقة لعدم الوصول إلى المحبوبته يصبح عضواً هاماً وفعالاً في الجماعة"[2]

ولقد كان المجتمع إثناء حياة (عنترة العصر الجاهلي)، مقسماً إلى ثلاث طبقات[3]: 1.الصرحاء. 2. العبيد. 3. الموالي.

1. **الصرحاء:** وهي الطبقة الأرستقراطية في القبيلة ومنها يكون رئيس القبيلة، أو ملكها وينتمي إليها أشراف القبيلة ووجهائها، وتظهر في هذه الطبقة العصبية القلية بصورة واضحة. حيث تعتمد على النسب وتحرص على نقاء دمها وأن لا يشوب طلا طرفية (الإباء والأمهات) ما يشينه بمعنى خلوه من طبقة العبيد والموالي.
2. **العبيد:** وهم عبارة عن الأسرى الذين يقعون في أيدي القبيلة أثناء الحروب، والرقيق الذين يجلبون من بلدان أخرى. وقد شكلت هذه الطبقة" أهمية بالغة في العصر الجاهلي بسبب كثرتها من جهة، وتنوع الأعمال التي أو كلت إليها من وجهة أخرى لدرجة أنها أصبحت تشكل قوام العمل في الحياة الجاهلية"[4].

(1) فاروق خورشيد، عالم الأدب الشعبي العجيب، دار الشروق، بيروت، 1991، ص 29.
(2) محمد رجب النجار، المرأة في الملاحم الشعبية العربية، مرجع سابق/ ص 84.
(3) محمد رجب النجار، البطل في الملاحم والسير الشعبية، مرجع سابق، ص، 1،2.
(4) ناصر الدين أسد، القيان والغناء في العصر الجاهلي، دار الجيل، بيروت، 1988، ص، 30.

3. الموالي: وهم عبارة عن العتقاء من عبيد القبيلة، ومن الأحرار الذين لجاؤا إلى القبيلة من قبائل أخرى وعاشوا في حمايتها.

وكان يحدث أحيانا أن يتزوج عربي من أمه من الأسرى، يجلبون من القبائل الأخرى، أما الطبقة الأرستقراطية فلها الحق في عمل ما تريد باعتبارها أعلى طبقة في المجتمع، إلا أنها تعتبر أن زواج الأرستقراطي من غير طبقته زواجاً غير متكافئ، ولا تعترف بنسبهم، بل أنهم يعتبرونهم عبيدا وليس لهم أي حق في المجتمع ويسمون (بالهجين)، فإذا كان المواليد سوداً وكان السواد مكتسباً من الأمهات، فأنهم يسمون (بالأغربة) وهي أحقر طبقة في المجتمع، ويعانون من اضطهاد اجتماعي، حيث يعيشون حياة ذليلة محتقرة يخدمون ساداتهم، ويقومون بالإعماء التي يأنف أصحاب الطبقة الارستقراطية من العمل بها.

ويولد عنترة في هذا الوسط الاجتماعي. فقد أسر والده (شداد) أمه (زبيبه) وهي ترعى ألفاً من الأبل مع ولدها شيبون، لأنها سوداء اللون فقد ولد عنترة أسود وارثا من أمه لونها، فيعامل في المجتمع معاملة الغربة، ويقوم بالأعمال التي هي من تخصص العبيد.

ويشاء القدر أن يقع عنترة في حب ابنة عمه مالك، وهي من أشراف القبيلة وساداتها، ولولا لونه الأسود الذي جعله من طبقة العبيد لكان أحق بعبلة من غيره حسب عادات العرب كونه أبن عمها، ولأن القبيلة لم تقر نسبه، فإن زواجه منها شبه مستحيل فهي من طبقة الأشراف وهو من طبقة العبيد فهل "يكتم حبها في قلبه ويكتفي بالسهر في ليالي الصحراء المقمرة، ومناجاة الأطياف والتغني بالشوق والأشجان، فإن هذا لا بفعل شيئاً أمام عظم الحواجز التي تقف أمام هذا الحب[1] وأمام أحساس" عنترة بالدونية، وبسبب هذه الأوضاع الاجتماعية المتشددة، فإن

(1) فاروق خورشيد، عالم الأدب الشعبي العجيب، مرجع سابق.

لونه الأسود ولد لديه عقدة العبودية. نتيجة الأعمال التي كان يجبر على القيام بها كرعي الإبل، وخدمة النساء وغيرهم من العمال الوضيعة[1] ونتيجة أحساس عنترة بمدى بعد حبيبته عبلة عنه فقد أخذ يبحث عن حل لتلك المشكلة، فوجد أن سلاحه الأول يكمن عبداً فإنه لن يحصل على حريته إلا إذا أتى بفعل عظيم يلفت أنظار الناس إليه[2] لذلك بدأ في استخدام جميع الوسائل اللازمة لتدريب وساعده في ذلك قوته الجسدية التي أخذها عن والده، وقوة تحمله وصبره التي أخذها عن والدته، وبعد أن تعلم فنون الفروسية من ركوب الخيل، والكر والفر، والرمي بالقوس، والمطاعنة بالرماح، والمداورة بالسيف[3] أخذ يتحين الفرصة لإثبات قوته وشجاعته. وذات مرة خرج ملك القبيلة (زهير بن الملك) وأولاده منهم مالك وشاس، ومالك والد عبلة، وشداد والد عنترة، ولم يبقى في القبيلة سوى النساء والأطفال والعبيد بينهم عنترة حيث كان يحسب مع العبيد، وأثناء تواجد الملك والفرسان خارج القبيلة غزاها مائة فارس من بني غطفان، وأسروا النساء ومن بينهم عبلة ابنة عم عنترة، فلما رآها وهي تبكي، تحرك الحب في قلبه ورآها فرصة لمقارعة الخصوم ولفت نظر ابنة عمه إليه، فأخذ سلاح أحد الغزاة وقاتلهم فارساً فارساً وأنشد يقول[4]:

أنا في الحرب العوان   غير مجهول المكان

(1) حسن عبد الله القرشي، فارس بن عيسى، دار المعارف، القاهرة، 1992، ص65.

(2) محمد أبو الفتوح العفيفي بطولة عنترة بين سيرته وشعره، مكتبة الدراسات الشعبية، القاهرة، بدون تاريخ، ص،173.

(3) أحمد سويلم، الفارس الأسود، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2004، ص35.

(4) السيرة، م1، ص، 28.

أينمـــــا نــــادي المنـــادى في وجـــي النقــــع يرانـــــي

خلــــق الـــــرمح يكفـــــى والحـــــسام الهنـــــد وانـــــي

ومعـــــي في المهـــــد كانــــا فـــوق صـــــدري يؤنـــــساني

وبشجاعة تغلب على الجميع وأنقذ قبيلته وتحول كره سمية له – زوجة أبيه شداد – إلى حب، خصوصا وأنها تعرف نسبة وتعرف أنه ولد شدادا، ولكنهم أنكروا نسبة جميعاً. وعندما عاد الملك وفرسان القبيلة أخبرتهم النساء بما فعله عنترة بالغزاة. فكافئه والده بأن ألبسه ثوب الفرسان، وأعطاه فرساً وسيفاً وعهد إليه بعمل الفرسان بدلاً من عمل العبيد، إلا أنه لم يلحقه بنسبه فهو ما زال ذلك "العبد الأسود المشكوك في نسبه والذي يرفض أبوه أن يعترف به، ومن ثم لا يحق له أن يهتم إلا بالإماء من طبقته، فكيف له أن يعشق عبلة الحرة، لكنه – برغم كل شيء – لم يحسب حساب أي شيء فقد أندفع يحطم كل الحواجز والأسوار" [1] وأخذ يعبر عن حبه لعبلة شعراً حتى أشتهر شعره وحبه لها في جميع أنحاء الجزيرة ومن شعره: [2]

أحبـــك حـــب كـــرام الرجـــال وأقنـــع منـــك بطيـــف الخيـــال

وأنـــت محكمـــة في دمـــي ومـــالكتي وعليـــك اتكـــالي

(1) احمد سويلم، مرجع سابق، ص44.

(2) السيرة م1، ص37.

أيــا عبلــة مــا تحتويــك الــصفات لأنــك قــد حــزت أقــصى الــصفات

فــإن قلــت وجهــك بــد الظــلام فمـــن أيـــن للبـــدر عـــين الغـــزال

ولم يكتفي عنترة بما عمله لإثبات شجاعته وقوته، بل كـان دائمـا يـذود عـن قبيلته، ويزيل عنها كل مصيبة حتى ربطت هزيمته القبيلة وتصرها به، وأصبح فارساً وشاعراً يشار إليه بالبنان وإن كان لا يزال محسوبا مـن طبقـة العبيـد. وفي الوقـت الذي زاد المناصرون له زاد الحساد، ومنهم عمه مالك بن قـراد، والربيـع بـن زيـاد وشاس بن مالك زهير وغيرهم. وقد حاولوا القضاء عليه في أكثر من مناسبة.

فمثلا لما حضرت مروة بنت شداد المتزوجة من بني غطفان إلى قبيلة بن عبس لدعوة القبيلة لحضور زفاف أخت زوجهـا. وافـق الجميـع وسـبق الرجـال النـساء بمسيرة نصف يوم، ولم يبقى مع النساء سوى عنترة، فأستغل الربيع بـن زيـاد ذلـك وأرسل إليه مجموعة من العبيد لقتله والتخلص منه، إلا أن عنترة تمكن من التغلـب عليهم، فقد قتل عدداً منهم ولاذ الباقي بالفرار. وعندما وصلت النساء إلى قبيلة بن غطفان، أخذن يحكين ما عمله عـنترة وكيـف كـان شـجاعاً في مقارعـة مـن أرادوا الفتك به، فأسعد ذلك الخبر والده شداداً وأجلسه معه بين سادات العرب وملوكها وزادت شهرته حتى لقبه الملك زهير بحامية بن عبس. وربما كـان هـذا اللقـب هـو أقصى ما يتمناه أي عبد، لكن عنترة يريد أكثر من ذلك، لأنه في الأصل ليس عبـداً فهو " ينتمي إلى القبيلة بروحه في الوقت الذي تأبي عليه أن يكون منتميـا لهـا، بـل وتفرض عليه أن يكون عبداً خادماً للأسياد حتى أبوه"[1].

(1) نبيلة إبراهيم، البطولات العربية والذاكرة التاريخية، مرجع سابق، ص،170.

وأمام إصرار الجميع على رفض نسبة يذهب عنترة إلى أمه زبيبة ويسألها عن أصله ونسبه ومن هو أبوه، ويلمح عليها في السؤال حتى تعترف له قائلة: " والله يا بنى ليس أبوك إلا شداداً مولاك، وإن قاضي العرب قد حكم بذلك"[1] فيجيب عنترة غاضباً" أن كان قاضي العرب قد حكم أنى ولده وكل أهل الحي يشهدون، فلماذا لا يدعوني أبنه كما يفعل كل إنسان"[2]. ويترك عنترة أمه حزيناً غاضباً. ثم يذهب إلى أبيه وهو مغرق في السكر، ويطلب منه أن يلحقه بنسبه، فيثور شداد ثورة شديدة حتى كاد أن يقتله لولا تدخل امرأته سمية، فيهرب عنترة إلى مالك بن زهير يستجير به من أبيه ويشكي له مما عمل به. وعندما يسأله مالك ما الذي حملك على ذلك وقد أصبحت فارساً مشهوراً يجيب عنترة قائلاً:" والله ما حملني يا مولاي على هذا إلا الهوى الذي هد كتمانه منى العزائم والقوى ولولا تلهب قلبي بالنيران لم يجر على الحدثان هذه الليلة، بل كتمت هواي حتى يكون موتى وفنائي فأنى أحب عبلة بنت مالك بن قراد، وما طلبت من أبي النسب إلا لكي يسهل على وصالها"[3] وبذلك يكون حب عنترة لعبلة أحد "الحوافز النفسية التي تدفعه أكثر لتحقيق وجوده، والظفر بحريته وتفوقه على الفتيان والأنداد" [4] فقد أصبح "فارساً مشهوراً مدافعاً عن حقوق قومه وحاميا لعشيرته، يعمل ما توجبه المروؤة والنخوة، فينثر الفرسان الصناديد، ويصون الديار ويرعى الحريم، ويفعل فعل الرجل الكريم"[5]

(1) السيرة م1ـ ص49.

(2) المرجع السابق.

(3) المرجع السابق.

(4) عبد الحميد يونس سيرة عنترة مكتبة الأسرة القاهرة 1995 ص،14.

(5) ناجية غافل المراني سير عنترة في الدراسات الاستشراقية التراث الشعبي مركز الفلكلور بغداد العدد 2، 1977 ص/ 52.

ورغم ذلك فإن الصفات لم تشفع له عند والده كي يعترف ويقر بنسبة، الأمر الذي جعله يهجر القبيلة بعد طرد والده لع، وفي طزيقه يلتقي أحد الفرسان الصعاليك وهو غياض بن ناشب وجماعته، فيغزو معهم لكنهم لن يعطونه من الغنيمة سوى النصف وعلى مضض كونه عبداً والعبد في عرفهم لايأخذ إلا الربع. ثم يجعلونه يسوق الغنم احتقارا له، فيغيض ذلك عنترة لكنه في نفسه، وفي طريقه يلتقي الحارث الشكري وهو راكب حصانة المشهور (الأبجر) المعروف بسرعته كالبرق، فيعجب به عنترة وتتم المساواة بينهما عللا أن تسترد الحارث الأسرى والأموال مقابل أن يأخذ عنترة الأبجر، فلما التقى بفياض جماعته وقد أفلتت منه الغنيمة فيهاجمونه، لكن عنترة يصدهم ويقاتلهم حتى يخافون منه ويطلبون مرضاته بأن يعطوه نصف الغنيمة التي حصلوا عليها من غزوة أخرى. قم يلحق مالك بن زهير بعنترة يراضيه حتى يعود للقبيلة، ويعبده بأنه سيحاول مع والده حتى يلحقه بنسبة. ويعود عنترة إلى القبيل، وتتكرر الأحداث فتأخذ مجرى واحدا وهو أن بن عبس يقعون في مآزق عدة ولا يخلصهم منها سوى عنترة.

ولم تقتصر مشكلة عنترة على عدم اعتراف والده به، بل كان هناك من أكابر القوم من ينازع على حبيبته، منهم عمارة بن زياد – أخو الربيع – الذي سمع بمحاسن عبلة وأوصافها عنترة بل وأكثر من ذلك، مما جعل عمارة يحبها ويذهب لخطيبها من والدها قائلاً له" جئت إليك خاطبا وفي كريمتك راغبا فلا تردني خائبا، وأني ما فعلت ذلك الا غيرة مني علي عبلة من عنترة ولد الزنا الذي فضحها بين العرب، وجعلها حديثا في مجالس الشراب يتحدث بها الشيوخ والشباب"[1].

(1) السيرة، م1، ص98.

فيوافق مالك على زواج أبنته من عمارة انتقاما من عنترة الذي ما أن وصل إليه الخبر حتى حزن كثيراً وليس بيده شيء، فذل العبودية حال بينه وبين حبيبته، ولا يجد له معين سوي مالك بن زهير حين يذهب إليه ويطلب منه أن يحاول مع والده أن يلحقه بنسبة، إلا أن شداد يرد على مالك قائلاً" من فعل هذا قبلي من العرب، أتريد أن تعريني من ملابس الشرف وتلبسن ملابس المذلة ولا تترك لي حرمه، ويقال أن شداد بن قراد سبي أمه سوداء وأتاه منها ولد، ثم أدعي أنه ولده من نسله فإجابة مالك:

لماذا لا تسن هذه السنة في العرب ويقتدي بك أهل العقل والأدب"[1].

ورغم أن شدادا معترف بنسب ولده إليه، إلا أن خوفه من إذلال العرب له يمنعه من فعل ذلك، مما يدل على التفرقة العنصرية التي كانت متأصلة في المجتمع آنذاك.

وعندما علم عنترة بجواب والده لم يجد من حل لمنع تلك الزوجة سوي تهديد عمارة بالقتل أن تزوج بعبلة، فيذهب إليه ويقول "ويلك يا عمارة ضاقت عليك الأراض حتى تتزوج بعبلة بنت مالك وتلقي نفسك بالمهالك، أما علمت أني بها هائم، أم أنت من البهائم، فيثور عمارة ويشهر سيفه في وجه عنترة قائلا: ويلك يا بن الزنا وتربية الخنا ما هذه الوقاحة لعلك سكران أو خالط عقلك شيء من الجان، لأنك تارة تريد أن تلحق بالنسب، وتارة تريد أن تخطب بنات سادات العرب"[2]

ويقف الجميع في صف عمارة، لأنه من سادات العرب وتتشابك القضية حين يهين شداد عنترة أمام الجميع إرضاء لشيوخ القبيلة وساداتها، عندها يدرك عنترة أن العبودي هي التي تجعله دائما في موقف المغلوب، وأنه مهما بلغ من القوة

---

(1) المرجع السابق.

(2) المرجع السابق.

فإن هذه العقدة ستبقي حاجزا بينه وبين الحرية، ومهما فعل من أعمال كريمة فما زال "يشعر بالنقص ولا بد لمثله أن يحقق عملا خارقا يرغم الجميع على الاعتراف به لا بمساواته بل بامتيازه"[1]

ففكرة عنترة إن هجر القبيلة وضم نفسه إلى الصعاليك، فإن ذلك لن يجدي شيء، وسيحرم من التمتع بالنظر إلى حبيبته عبلة، وإن أستمر في معاداة عمارة، فإن ذلك سيؤدي إلى القيام فتنة في القبيلة بين محبيه ومناصريه دون أن يحصل على ما يريد وهو النسب، عندها "تصل عقدة النسب إلى قمتها عند عنترة كون جميع محاولاته قد باءت بالفشل، فلا هو نال حبيبته ونال حريته ولا حقق مكانته من القبيلة، بل غدي المذموم المدحور من كل ناحية"[2].

عندها يقف مستسلما ويقرر العودة إلى رعي الغنم وخلع ثياب الفروسية قائلاً "يامولاي أفعل بي ما تريد، وأحكم علي حكم الموالي والعبيد، والعبد ماله غير مولاه أن أبعده أو أدناه، وأنا أشهد على نفسي من اليوم فصاعدا قد امتثلت أمرك، ولا أقصر عن خدمتك ولا أفارق عن الجمال ولا أراكب جواداً ولا أجر حساماً ولا أنطلق بالشعر أبداً ولو شربت كأس الردي"[3]

فكانت هذه الكلمات "بمثابة وثيقة استسلام واضحة تقدمها نفس حرة أمام صلبة وغباء المجتمع."[4]

ويحدث أن تخرج القبيلة في غزوة تاركة بعض الفرسان لحماية النساء والأطفال، فيهاجمهم من فرسان قبيلة أخرى فلا يستطيعون مواجهتهم، فيذكر

(1) عبد الحميد يونس، مرجع سابق.

(2) محمود ذهني، سيرة عنترة، مرجع سابق.

(3) السيرة، م1، ص 108.

(4) فاروق خورشيد، أضواء على السير الشعبية، مرجع سابق.

الجميع عنترة ويتسائلون أين هو فهو المخلص الوحيد لهم، بينما عـنترة واقـف بـين العبيد كما وعدهم لا يترك مكانه فمن لا حقوق به لا مسئولية عليه.

عندها يتقدم شداد إلى عنترة ويقول له" أهذا يوم اشتغال مثلك بالرعي وقـد سُبيت الأولاد والحريم، فيرد عنترة: يا مولاي وما الذي أصنع وأنا عبد من أحسن العبيد وأنا أعلم أنني سأساق مع القوة من جملة العبيد فمن ملكني خدمتـه وخدمـة عياله ورعيت نوقه، فأغتاض شداد من كلام عنترة وعرف ما يرمي إليه فقال: والله لقد صبرت وقدرت، فكر وأنـت بعـد اليـوم حـر، وقاتـل وأنـا أدخلـك في نـسبي والحقك بحسبي"[1].

ويتدخل مالك ويسأل عنترة أن يساعده ويـذل في سـؤاله، ويـستعطفه باسـم حبيبته عبلة، ويعـده بـأن يزوجـه بهـا أن أزال عـنهم هـذه الغمـة فيحمـل عـنترة، ويستطيع بقوته وشجاعته أن يكشف الغمة عن قبيلته، وتنتهي المعركة وقـد أصـبح عنترة فارسا من فرسان بني عبس وأبناً معترفا به لشداد، بل أنه حصل علي موافقـة على الزواج من عبلة لكن." الاعتراف المرغم شئ وتأكيد هذا فاعتراف كي يصبح حقيقة واضحة في حياة القبيلة وفي الجزيرة أيضاً شئ أخر"[2].

فقد وضع والد عبلة أمام عنترة جملة من العقبات والعراقيل كـي يبعـده عـن عبلة، فطلب منه ألفا من نوق العصافير مهرا لعبلـة الـتي لا توجـد إلا عنـد الملـك النعمان، ويقبل عنترة مواجهة هذه التحديات فيذهب إلى الملـك النعمـان ويحـارب معه ضد جنود كسري ويرد هزيمته إلى نصر، ثم يذهب إلى بلاط كسري، ويرد إليـه أمواله التي رفض القيصر تسليمها والتي كان معتاد أن يعطيها لكسري كل سنة، ثـم يعود إلى قبيلته وقد تحقق له ما يريد، الفروسية الـتي ذاع صـيتها في الجزيـرة كلـها،

(1) السيرة، م1 ص 113، 114.

(2) فاروق خورشيد، أضواء على السير الشعبية، مرجع سابق.

إضافة إلى حصوله علي مهر عبلة، أثناء عودته يلتقي حبيبته عبلة وسط الصحراء وهي تبكي بعد أن أسر فارس من بني كنانة أباها وأخاها، وطلب منهما تزوجه بعبلة مقابل إطلاق سراحهما، فينقذها عنترة ويعودوا جميعا إلى قبيلتهم بني عبس. ورغم أن عبلة قد سهلت لعنترة أسلوب الظفر بها عندما عرضت عليه أن يتزوجها بدون موافقة والدها إلا أن فروسيته منعته من ذلك وأبي إلا أن يتزوجها بموافقة أبيها واقتناعه بزواج أبنته منه.

ويحدث أن يخطف عمارة عبلة ويهرب بها كي يتزوجها غصبا، فيلتقيهم فرسان ويأسرونهم، فعندما علم أخوه الربيع بذلك يحلق بهم لكي يفك أسرهم، لكنه يقع في الأسر أيضا، ولا ينفذهم جميعا من الأسر سوي عنترة الذي يأخذهم ويعود بهم إلى القبيلة، وبدلا من أن يشكروه على عمله يتكاتفون جميعا ضده ومعهم شاس بن الملك زهير ووالد عبلة، ويرفضون حبه في أزواج من ابنة عمه عبلة، عندها يحزن كثيرا ويهجر القبيلة عازما على عدم العودة إليها، فتفرح القبيلة بخروج عنترة ويستعد مالك ليزوج أبنته من عمارة ناسياً وعودة لعنترة، غير أن الملك زهير يغضب، ويثور ويمنع ذلك الزواج، كما يأمر بإرجاع أموال عنترة – النوق العصافير – إلى أبيه شداد، ويجلد عمارة على أعماله. ثم تسؤ حال القبيلة في غياب عنترة ويأسر شاس في إحدى الغزوات، ولا ينقذه من أسره سوي عمل كريم عمله عنترة مع امرأة وبناتها من بني كندة، فعندما تعرف هذه المرأة أن شاس من قبيلة عنترة ترسل إليه من يخبره بأمر شاس، فيأتي وينقذه ويعود به إلى القبيلة فيحب شاس عنترة ويكون عونا له على عمه مالك ليزوجه عبلة، ولكن مالك يلجأ للحيلة مرة أخرى فيطلب من عنترة أن يأتيه بفارسه مشهورة تدعى الجيداء ابنة زاهر، كي تقود ناقة عبلة في الزواج، ويوافق عنترة ويحضر الفارسة لكن مالك يهرب بابنته من القبيلة كي لا يزوجها عنترة، إلا أن عنترة يلحق بهما ويخلص عبلة

من مازق تقع فيه بسبب أبيه، وتزداد شهرة عنترة في الجزيرة كلها، وتتوالي الأحداث وتقع قبيلة بني عبس في أسر قبيلة أخري، ولا ينقذها سوى عنترة، ثم يتولى قيادة القبيلة قيس بعد وفاة الملك زهير، فيقف إلى جانب عنترة ويساعده حتى يتمكن من الزواج بعبلة، ويقام حفل زواج لعنترة وعبلة. يحضره جميع سادات وملوك العرب، وبذلك تحققت أهداف عنترة المتمثلة في[1].

1. التخلص من العبودية في وسط اجتماعي سيئ يجعل للصفات الوراثية (كاللون والشكل) أهمية تفوق الخصائص الذاتية التي تؤهل الفرد للوصول إلى ما يريد.
2. الزواج من حبيبته عبلة رغم عبوديته وسواد لونه.ولم تقتصر صفات عنترة على الفروسية القتالية فحسب، بل كان فارسا أيضا في مجال الشعر، رغم أنه واجه صعوبات جمة لأثبات ذلك أهمها أنه معلول النسب. فيقول طرفة بن العبد وهو من أصحاب المعلقات" ما أنت إلا فارس منتخب غير أنك معلول النسب بين سادات العرب، ولولا ذلك لأطعناك، وفي قصائدنا وفصاحتنا شاركناك"[2]

لكن عنترة يزداد تصميما أمام هذه العقبات، ويستخدم السيف للوصول إلى أصحاب المعلقات، كما أستخدمه سابقا لتحرير نفسه من العبودية كذلك كان لوقوف عبلة إلى جانبه الحافز الأكبر للوصول إلى ما يريد، حتى أنها أحياناً كانت

(1) محمود ذهني، سيرة عنترة، مرجع سابق.
(2) السيرة، م5، ص156.

تحذره عندما تراه يتراجع أو يتهاون وتقول له أنني عليك حرام حتى تعلق لك قصيدة على البيت الحرام، ورأي بعيني العرب – تسجد لشعرك"(1)

وبالفعل يصبح عنترة واحدا من أصحاب المعلقات التي كانت مقتصرة آنذاك على أصحاب النسب الصحيح من الحرار، وليس ذلك فقط، بل أصبح له معلقتان.

وهكذا يمكن القول أن عنترة – بانتصار في مجال الحب – تفوق على نفسه وتفوق على الآخرين، فانتصاره على أولئك الذين ملأ الحقد قلوبهم عليه أمثال الربيع بن زياد وأخوه عمارة بن زهير وغيرهم"(2)

وأجبر القبيلة بل الجزيرة كلها بالاعتراف به كفارس حر له كامل الحقوق التي لأحرار رغم أنه أبن أمه، وتأكد هذا الاعتراف بزواجه من ابنة عمه عبلة، وبمعلقاته على البيت الحرام.

لكن أين عبلة من هذا كله؟

يمكن القول ببساطة أن عبلة ظلت طوال السيرة ذلك الحافز النفسي لتحقيق الذات والالتحام والتوحيد بالجماعة، فما أن أحبها عنترة حتى أستشعر معنى العبودية، وشرع في تحرير نفسه من ذلك الواقع الجائر، وسعي إلى تخليص نفسه من وطأة العبودية، فكانت " سببا لفصاحته، ومقاومته الأبطال، وشجاعته وجرأته لسانه، لأنه كلما ذكرها أنطلق لسانه بالشعر وطلب لنفسه المنزلة العالية، وقوي جنانه، وصار يبعد الحي، ويغير على القبائل"(3)

(1) السيرة، م5 ، ص 138.

(2) محمد أبو الفتوح، مرجع سابق.

(3) السيرة م1، ص36.

ومن أجلها واجه والده شداد وطلب منه أن يلحقه بنسبة، وحتى بعد أن ألحق بنسب والده وأصبح حرا، لم يكتفي بذلك وقبل بمواجهة التحديات التي وضعها مالك لكي يتزوج أبنته عبلة، على الرغم من أنها عرضت عليه أن يهربا سويا من ظلم مجتمعهما الذي لا يستحق سيفه ولا شاعريته ولكنه رفض، لأن عبلة " لم تعد المرأة، ولكنها أصبحت المرادف الأخر للحرية، ورمزاً لتحقيق العدل فزواجه منها معناه أنه أستكمل حريته عمليا، وإن هرب بها معناه أن لم يستكمل مقومات الحرية، ذلك أن الحر لا يهرب وإنما يواجه، ومن ثم يقول عبارة الرائعة: من أراد النفيس (علبه: الحرية والعدل) خاطر بالنفيس (الروح)[1].

كما أن عبلة كانت ملهمة الفارس البطل إلى التحرير، وملهمة الشاعر المبدع في أن واحد فالعشق قد صغر عنده الأمور الصعاب وذكرها نطبق لسانه بالشعر حتى أصبح شاعر الشعراء.

(1) أحمد على مرسي، مرجع سابق.

الفصل الثالث

صورة المرأة في سيرة سيف بن ذي يزن

الفصل الثالث

صورة المرأة في سيرة سيف بن ذي يزن

في هذا الفصل سيتم التطرق إلى المواضيع التالي:

المبحث الأول: دراسة الشخصيات التي نسجت منها السيرة أحداثها.

1. المرآة الأم.
2. المرآة الفارسة.

المبحث الثاني: المرأة العاشقة للبطل الفارس العاشق.

المرآة الحبيبة ودورها في حياة البطل.

المبحث الأول
دراسة الشخصيات التي نسجت منها السيرة أحداثها

أ. ملخص السيرة:

نشب خلاف بين ملك الحبشة (سيف أرعد) وبين ملك اليمن (ذي يزن)، بسبب ما أقدم عليه الأخير من استيلاء على أرض الحبشة وشيد فيها مدينة أسماها (المدينة الحمراء)، فما كان من ملك الحبشة إلا أن جمع وزراءه وتشاور معهم حول هذا الأمر، فمنهم من أشار عليه بالحرب، ومنهم من أشار عليه بغير ذلك. ولما احتدم الجدال بين الملك ووزرائه، نهض أحد المقربين من الملك ويدعى الحكيم (سقرديس) وأوضح له أن الحرب مع ملك اليمن ذي يزن في غير صالحهم، لأنه أقوى منهم عدداً وعده، ونصحه بأن يستخدم المكر والحيلة بدلاً من الحرب المباشر، وقد اقتنع ملك الحبشة بهذا الرأي، واستقر بهم الأمر على إرسال جارية للملك اليمني هدية من ملك الحبشة، ذات حسن وجمال تدعى قمرية، وقد أمرها الملك سيف أرعد بمسايرة الملك ذي يزن والتقرب منه، حتى تتمكن من وضع السم له طعامه، وكان من ضمن وزراء ملك الحبشة، شخص أسمه (بحر قفقفان) ينحدر من أصل عربي، عز عليه أن يقتل ملك اليمن غدراً، فأرسل إليه من افشى له بمضمون الهدية، فلما حضرت الجارية قمرية ورآها الملك ذي يزن أعجب بجمالها وأحبها. ولكنه ظل يراقبها حتى ضبطها وهي تعد له السم. وعند مواجهتها بذلك تجد بدأ من الاعتراف، إلا أنها بذكائها وسرعة بديهتها استطاعت إقناع ذي يزن بأنها وافقت على المهمة التي كلفت بها من ملك الحبشة لا من أجل قتله، بل من أجل إنقاذ حياته، لأنها لو رفضت لكلفت جارية أخرى بمهمتها.

وأقنعت الملك ذي يزن بأنها كانت تنوي البوح له بقصة السم، فصدق الملك كلامها، وازداد حبه لها، ثم تزوجها وحملت منه، وقبل أن تلد مرض الملك ذا يزن فأحيا ذلك فكرة تنفيذ المهمة التي أرسلت من أجلها، وبالفعل وضعت له السم فاشتد به المرض، ولم يفلح الأطباء في شفائه، وقبل موته جمع وزراءه وأخبرهم بأن زوجته قمرية حامل، وأوصاهم بأن تكون ملكة عليهم حتى تضع مولودها، فإن ولدت ذكراً كان هو الملك، وإن ولدت أنثى تولى زوجها الملك عليهم، وقد نصبت قمرية ملكة على المدينة الحمراء بحسب وصية الملك ذي يزن، إلا أنها لم تكتمل فرحتها، حيث ولدت ذكراً يحمل شامة على خده الأيمن كوالده، ففرح به الشعب كثيراً. أما القمرية والدته، فلم تغمرها الفرحة لرغبتها في أن تستمر حاكمة على اليمن، فما كان منها إلا أن اتفقت مع جارية لها على إبعاد المولود إلى البراري، وأخذته الجارية ووضعته تحت شجرة في الخلاء ومعه عقد وكيس نقود، فمرت غزالة ورأته يبكي فأرضعته وذهبت، فلما مر أحد الصيادين سمعه يبكي فأخذه وذهب به إلى حاكم بلدته ويدعى (الملك أفراح) أحد أتباع الملك سيف أرعد، فلما رأى الأخير الطفل أحبه وأخذه ليربيه مع ابنته شامة وأطلق عليه اسم وحش الفلا، لأنه عاش وحيداً في الفلاة، وذات مرة زار الحكيم سقرديون أحد وزراء الملك سيف أرعد الملك أفراح، فأخبره بأمر وحش الفلا، فلما رآه حذره منه وأخبره بأنه ربما يكون هو الشخص الذي ستتحقق على يده هلاك آل حام، فخاف الملك أفراح من تحذير الحكيم سقرديون له، وسلمه لملكة من الجان طلبت أخذه لتربيه مع ابن لها على أن تعيده له بعد ثلاث سنوات، وكان الملك أفراح يعتقد أنه لن يعود، وما أن أنقضت الفترة المحددة حتى أعادته الجنية إلى الملك أفراح، الذي أرسله إلى رجل يعمل لديه ليعلمه فنون القتال، فلما دربه (عطمطم خراق الشجر) اشتد عوده وأصبح فارساً قوياً حتى بدء المدرب يخاف على نفسه منه، ولهذا قرر أن يأخذه

ويسلمه إلى أهله. وفي طريق عودته وجد كهفاً فدخل إليه فوجد بداخله عجوزاً كأنه كان ينتظره، فأخبره العجوز أن بداخل الكهف سوطاً لن يحصل عليه سوى شخص يدعى وحش الفلا، فسأله وحش الفلا عن فائدة السوط، فأخبره أن من يحمل السوط ويضرب به أي انسان ضربه واحدة فإنه يقتله لساعته، فأسرع وحش الفلا أخذ السوط، وضرب به العجوز فقتله، وقفل راجعاً إلى بلاده ومعه السوط.

ولما وصل رأى أمام المدينة خيمتين، أمام الخيمة الأولى فكان يحي بها فرح، وأما الثانية فكان يحي بها مأتم، فتعجب ودخل الأولى، فإذا بها فتاه حزينة تبكي، فلما سألها عن سبب حزنها وهي عروس، أجابته بأنها شامة بنت ملك أفراح، وأنها ستزف إلى مارد جني، وهي لا تريده، ولو رفضت فإن المارد سيشرد أهلها ويخرب ديارهم، فطمأنها وحش الفلا بأنه سينقذها وأهلها من المارد، وبالفعل استطاع القضاء على المارد بواسطة السوط الذي كان قد حصل عليه، فشكره الملك أفراح على صنيعه وفرح بعودته.

وقد أحب وحش الفلا شامة بنت الملك أفراح حباً شديداً وتعلق بها وتعلقت به هي أيضاً، فقرر أن يطلبها للزواج من والدها الذي لم يكن رافضا للزواج، بل متردداً بسبب تحذير الحكيم سقرديون له من أن هلاك آل حام سيتحقق إذا التفت الشامتان، شامة شامة، وشامة وحش الفلا.

وحتى يتخلص الملك أفراح من وحش الفلا كلفة بمهمة يقضي عليه فيها وهي إحضار رأس سعدون الزنجي البطل القوي الذي كان قد ذاع صيته، مهراً لأبنته شامة، وعلى الرغم من أن شامة أخبرته بأن هذه مكيدة للحيلولة دون إتمام زواجه منها، وافق وحش الفلا على أن يقوم بهذه المهمة الصعبة.

وكانت شامة بنت الملك أفراح تتخفى وهي مصاحبة له في مغامرته دون علمه. وكثيراً ما أنقذته من الأخطار التي وقع فيها. ولما ظفر بسعدون الزنجي وأراد

قتله، توسل إليه سعدون أن يعفو عنه مقابل أن يصبح خادماً له طوال العمر. ولما رجع وحش الفلا بسعدون الزنجي حيا وخادماً له. أسقط حيلة الحكيم سقرديون. إلا أنه أو عز للملك أفراح أن يطلب من وحش الفلا إحضار (كتاب النيل) كحلوان زوجاه من شامة، وعلى الرغم من شامة أبدت استعدادها للهروب معه والزواج به بعيداً عن أهلها، إلا أن وحش الفلا وافق على طلب الملك أفراح، وسار مده ستين يوماً حتى وصل إلى جبل عال به صومعة بداخلها شخص، فسلم عليه وحش الفلا فرد عليه السلام ورحب به قائلاً: "أهلا بملك اليمن وغيرها من الأمصار، مانع الظلم والفتن، حاكم صنعاء وعدن. فقال له وحش الفلا يا عمي لم تقول هذا المقال وأنا اسمي وحش الفلا؟"[1]

فأخبره أنه يعلم ذلك، ولكن أسمه الحقيقي هو سيف بن ذي يزن حينها عرف وحش الفلا شخصيته الحقيقية، وطلب من الشيخ مساعدته في الحصول على كتاب النيل، فأرشد الشيخ وأخبره أنه عندما ينتقل إلى الشاطئ الأخر، فسيجد من يساعده، وما إن انتقل إلى الشاطئ الأخر حتى ظهر له فارس ملثم أخذ يتحرش به. ولما غضب الملك سيف منه وأراد قتله، كشف الفارس عن وجهه وإذا هي فتاة تدعى طامة أبنة الحكيمة عاقلة، فسألها عن سبب ظهورها وتحرشها به، فأجابته بأن أمها عالمة بفنون السحر.

وعندئذ ضربت الرمل وأخبرتها بأن "زوجها سيكون الملك سيف بن ذي يزن، وهو من بلاد اليمن وسيحضر إلى هنا لإحضار كتاب النيل، ولن يستطيع الحصول عليه إلا بمساعدتي وسيكون ذلك مقابل زواجك منه[2]" وبالفعل دخل

(1) السيرة/ م1، ص69.

(2) المرجع السابق.

الملك إلى مدينة قيمر التي يحكمها الملك (قمرون) بمساعدة طامة التي أوصلته إلى أمها الحكيمة عاقلة، التي أخفته عن أعين السحرة بأن أدخلته في بطن سمكة ويديه في صدر طير أسمه الرخ[1]، إلا أنه وقع في أسر الملك قمرون الذي حبسه في داخل جب، وإذا بصوت من داخل الجب يناديه " يا ملك الزمان أنا بك مستجير أنقذني من الهلاك والتدمير فلا ينقذني غيرك أحد أيها الملك"[2]، وإذا به صوت عاقصة أخته من الرضاعة في عالم الجن تطلب منه مساعدتها في التخلص من المارد الذي يريد الزواج بها عنوة بغير رضاها، وساعدت عاقصة الملك سيف في الخروج من الجب وأعطته السوط المطلسم، فذهب للقضاء على المارد، فوجد في قصره أربعين فتاة من الأميرات بينهم بنت ملك الصين (ناهد)، ففك الملك سيف أرهم وطلب من أخته عاقصة إرجاعهن إلى بلادهن فعادوا جميعاً، ما عدا ناهد بنت ملك الصين التي رفضت العودة وطلبت الزواج من الملك سيف، فرفض كما فعل سابقاً عندما طلبت منه الحكيمة عاقلة الزواج من ابنتها طامة، فغضبت ناهد ودعت عليه قائلة "أسأل الله يا ملك سيف أن يسوقك إلى بلادي عرياناً مكشوف الرأس حتى أشفي قلبي منك فأجابها الملك سيف" يتقبل الله دعائك وتكوني مريضة عمياً ويكون على يدي شفاك ودواك"[3]، ثم أعادتها أخته عاقصة إلى بلادها وعادت لتأخذ الملك سيف في رحلة في المدائن السبع، حصل خلالها على قلنسوة سحرية من يلبسها يختفي عن أعين الناس وخاتم سخري إذا أشار به على عدو مات لساعته، وبعد هذه الرحلة أرجعت عاقصة الملك سيفا إلى جوار الجب الذي أخرجته منه، فذهب إلى الحكيمة عاقلة التي ستساعده في الحصول على كتاب النيل، وقد نصحته بلبيس

(1) انظر السيرة، م1، ص77 وما بعدها.

(2) السيرة، م1، ص 93.

(3) المرجع السابق.

القلنسوة، وأرشدته للقبة التي بها كتاب النيل وأخبرته " إن الكتاب موجود لداخل الصندوق، وأنه حال ما يتخطى عتبة القبة فإن الصندوق سيدور في وسط القبة ثلاث دورات ثم يسقط من مكانه ويأتي بين رجليه"[1]، وفعل كما أرشدته الحكيمة عاقلة فأخذ الكتاب وعاد إلى الحكيمة وأبنتها، حينما طلبت منه الحكيمة عاقلة أن يتزوج أبنتها فرفض ثانية، لأنه كان منشغلا بشامة ولا يريد أحداً غيرها، وقد أغضب فعله هذا طامة بنت الحكيمة عاقلة، فسرقت منه القلنسوة السحرية كي تجبره على الزواج منها لكنه رد عليها قائلاً "خذها بارك الله لك فيها وياليتكم ما عاونتموني ولا بالخير جاملتموني وبعد ما أنصلحت أحوالي بدلتم المعروف، وفعلتم المتلوف، وأنا ما أتوكل على القلنسوة، لأن من يساعدني هو الله فالق الحب والنوى"[2].

وأخذ كتاب النيل ورجع إلى بلاد الملك أفراح ليقدم له حلوان زواجه من شامة، وكان الحكيم سقرديس وبمساعدة أخيه سقرديون قد استطاع إقناع الملك سيف أرعد ملك الحبشة بالزواج من شامة بنت الملك أفراح، وبذلك يتم التفرقة بين شامة والملك سيف. إلا أن سيفاً وصل في الوقت المناسب، وتمكن بمعاونة سعدون الزنجي القضاء على رجال الملك سيف أرعد الذين كان قد أرسلهم لإحضار شامة إليه.

ودارت الأيام، وذات يوم حضر مجموعة من الرجال إلى ملك الحبشة يشتكون من ظلم الملكة قمرية – ملكة اليمن – لهم، فاستغل الملك سيف أرعد ذلك وأرسل إلى الملك أفراح يطلب منه الخروج لقتال الملكة قمرية مقابل أن يعفو

(1) المرجع السابق.

(2) المرجع السابق.

عنه لعدم تزويجه أبنته شامة، فوافق الملك أفراح وجهـز جيشاً لقتـال ملكـة اليمن يقوده الملك سيف بن ذي يزن وهو لا يعلم أن الملكة التي ذهبت لمحاربتها هي أمـه. ولما رأت الملكة أنها قد أوشكت على الهزيمة، حاولت استغلال جمالها لإغرائـه، إلا أن سيف بن ذي يزن لم يستجيب لذلك، وفجأة وقع بـصرها علـى عقـد في رقبتـه فتذكرت ذلك العقد الذي تركته مع رضيعها في الفـلاة، وتأكـد أنـه ولـدها عنـدما رأت الشامة على خذه، فجات إلى استغلال عاطفة الأمومة، واعترفت لولـدها بمـا عملت معه.

وتظاهرت بالندم والحزن كي يصفح عنها، وصفح عنها الملك سيف، ولكنها استمرأت نزعته الخيره واستمرت تبدي له الشر وتتفنن في وسائله، مـن ذلـك أنهـا طلبت منه أن يخرج معها لإحضار كنز زعمت أن والده قد خبأه حتى يكبر فتعطيه، فصدقها الملك سيف ورحل معها حتى وصلا معاً إلى مكـان خـال وبعيـد، فباغتتـه بطعنة بسيفها ورجعت إلى بلادها وهي معتقدة أنه قد فـارق الحيـاة، ولكـن الملـك سيف لم يكن قد فارق الحياة وظل يتـضرع إلى الله لإنقـاذه، فاسـتجاب الله لدعائـه وشفاه من جروحه. ولما امتثل للشفاء، تابع سيرة في تلـك القفـار الـتي أخذتـه أمـه إليها حتى التقى بحكيم اسمه (أخميم الطالـب) الموكل بحراسة قبر سام، الذي يوجـد به حسام ولوح موعود بهما الملك سيف، فأخبره الحكيم بأن عليه أن يـدخل القـبر ويأخـذ اللـوح والحـسام دون النظـر إلى وجـه سـام، إلا أن الملـك سيفاً لم يلتـزم بالنصيحة، وكشف عن وجه سام فعوقـب بـالحبس في ذلـك القـبر، ولم ينقـذه مـن حبسه إلا عندما رمى بنفسه في البحر، وأخذه المـوج حتـى أوصـله إلى بـلاد إخمـيم الطالب، وهنالك رأته ابنة الحكيم (الجيزة) فأعجبت به وأحبته.

وكان والدها قد أخبرها أنها ستتزوج به، لكنها غـضبت عنـدما علمـت أنـه سيكون لها ضراير، فسرقت اللوح وطلبت من خادمه عيروض التخلص من الملـك

سيف وقالت " أنا لا أتزوج هذا الرجل وأنا أعلمت أن زوجاته كثر إذا تزوجته أكون عنده مثل الخدم"[1]، إلا أن والدها استعاد منها اللوح وسلمه للملك سيف الذي طلب من الخادم عيروض أن يعيده إلى بلادة حمراء اليمن، ولما علمت أمه بمقدمه أخذت تتظاهر بالندم الشديد والحسرة على ما فعلت، وحتى تثبت له صدق ندمها قدمت للملك سيف السيف ليقتلها، وهذا بذلك تستثـير فيه عاطفة الأمومة وتعلم أنه لن يقتلها وبالفعل عفي عنها، وأخبرها أنه حصل على اللوح والحسام اللذين كانا في قبر سام، فاغتاظت لذلك كثيراً، لكنها تظاهرت بأنها فرحة ومسرورة حتى تؤكد حبها له. ثم أخذت تساعده في الزواج من محبوبته شامة، وأقامت له عرساً كبيراً، وأهدت زوجته عقداً من الذهب، وبعد أن وثق بها الملك سيف، أخذت تفكر في حيلة تأخذ بها اللوح منه، وعندما تمكنت من أخذه، طلبت من خادمه عيروض أن يرمي الملك سيف في بلاد الغيلان، ويرمي زوجته شامة في بلاد الطودان، وفعل عيروض ما أمرته به، وقاسي الملك سيف كثيرا حتى تمكن من الخروج من بلاد الغيلان بمساعدة الغولة (غيلونة)، ثم ظهرت أخته عاقصة مرة أخرى بعد خروجه من بلاد الغيلان، وساعدته في إنقاذ زوجته وولده وعاد إلى حمراء اليمن، وفي طريق عودتهم، مرو ببلاد الملك (أبو تاج) وكان أهل هذه البلدة يشكون من أسد متوحش يسبب لهم الرعب، فاستنجدوا بالملك سيف الذي استطاع القضاء عليه بواسطة سيف سام الذي كان قد حصل عليه، وفرح أهل البلد بما فعله الملك سيف كما فرح أبو تاج أيضاً، ولكنه عندما رأى شامة زوجة الملك سيف أحبها وأرادها لنفسه وعرض عليها الزواج، فرفضت وغضب لذلك أبو تاج، فلما علم الملك سيف بذلك لم يجد من وسيلة سوى الهرب هو وزوجته،

(1) المرجع السابق.

إلا أن الملك أبا تاج أرسل جنوده لإحضارهم، وتمكنوا من إحضار زوجته شامة، أما الملك سيف فكانت أمه قد أمرت عيروضاً مرة أخرى ليأخذ ويرميه في بلاد السحرة. وسنحت الفرصة للملك أبا تاج ليظفر بشامة، إلا أنها في كل مرة يحاول الاقتراب منها تتضرع إلى الله أن ينقذها فيستجيب الله لها. ويصاب أبو تاج بمرض لا يشفى منه إلا عندما تدعو له. عندها أيقن الملك أنا عفيفة وأن إسلامها حق، فأسلم وحسن إسلامه وحافظ عليها وأكرمها حتى عاد الملك سيف ومعه برنوخ الساحر الذي ظهر له بلاد السحرة وساعده في الخروج منها، وأخذ الملك سيف زوجته وولده وتوجه إلى بلاده، وعندما علمت قمرية أن ولدها قادم طلبت من الخادم عيروض أن يلقيه في جزيرة بعيدة ونائية.

ففعل ما طلبت منه، ثم عاد مسرعاً ليجدها مشلولة الحركة، فطلبت منه شفاءها، لكنه اعتذر عن ذلك مخبراً إياها بأن ما حصل لها هو من عمل برنوخ الساحر ولا يستطيع أحد إبراءها سواه. أما الملك سيف فقد مكث في الجزيرة وحصل على حيوان سرطاني يعيد للأعمى بصره، وفي طريق عودته من الجزيرة التي رماه فيها عيروض مر بمدينة علق على أبوابها رؤوس قتلى، فلما سأل عن السبب عرف أنها رؤوس الذين عجزوا عن شفاء أبنة الملك من العمى، فتذكر الحيوان السرطاني، وذهب إلى الملك وأخبره بأن ليده العلاج الذي يشفى ابنته من العمى، وفوجئ بأن ابنة الملك هي ناهد التي كان قد خلصها من قصر المارد ودعت عليه أن يأتيها عرياناً، ورد عليها بأن تبلى بالعمى ولا يشفيها منه سواه. فطلبها للزواج من والدها ودعا أهل المدينة للإسلام وبعد فترة جاء إليه عيروض مخبراً إياه أن برنوخ الساحر تمكن من أخذ اللوح من أمه قمرية، فذهب وزجته ناهد بصحبة الخادم عيروض إلى بلاده الحمراء اليمن، وهناك استقبله برنوخ الساحر وهنأة بالسلامة ونصبه الناس ملكاً لمدينة حمراء اليمن، أما أمه فقد أصيبت بالذهول عندما

وجدته على كرسي الملك، فأخذت تستخدم أساليبها الأنثوية لتظهر ندمها على مافعلت بولدها كي يصفح عنها، إلا أن برنوخ الساحر ضغط عليه كي يبقيها في السجن، فخصص لها خادمة تعتني بها، فأظهرت للخادمة مرضها الشديد وطلبت منها أن تخبر الملك سيف أنها تريد أن تراه قبل موتها، واستجاب الملك سيف لعاطفة الأمومة وأخرج أمه من السجن، وبعد أن تمكنت من كسب ثقته، سرقت منه اللوح مرة أخرى، وكانت قد عرفت بالقلنسوة السحرية التي بحوزته، فطلبت من خادم اللوح عيروض أن يرمي الملك سيف في البلاد التي أخذ القلنسوة منها، وهي بذلك ترغب في أن ينتقم منه أهل البلاد لأخذه القلنسوة منها، وهي بذلك ترغب في أن ينتقم منه أهل البلاد لأخذ القلنسوة منهم عنوة، فألقى عيروض بالملك سيف من علو مرتفع فنزل مثقلا بالجراح ولم ينقذه سوى أخته عاقصة التي عالجته حتى شفى، ثم أخذته وعادت به إلى بلاده، وبينما هو طائر في الفضاء رأى بستاناً جميلاً تنبعث منه رائحة زكية فأصر على الدخول إليه رغم تحذير أخته له، ولما دخله وجده مملكة لبنات، ووجد بينهن فتاة جميلة وحسنة عرف أن أسمها (منية النفوس) أحبها الملك سيف ورغب في الزواج بها، فطلب من أخته مساعدته، فساعدته في اختطاف منية النفوس فتزوج بها وعاد إلى بلاده.

ومرة أخرى احتالت أمه عليه وأظهرت حبها له وأعطته لوحاً مزيفاً على أنه اللوح الحقيقي كدليل على ندمها، ولكنها لم تستطع أن تؤذيه بشيء لأن الحكيمة عاقلة كانت قد أهدته ثوباً مطلسماً يحرسه من الجان كنوع من الاعتذار مما بدر منها هي وأبنتها طامة، فقرر الملك سيف الزواج من ابنة الحكيمة عاقلة بشرط أن تعيد إليه القلنسوة التي أخذها منه، فرفضت وغضبت وأقسمت أن تقتل من ترى من زوجاته فخاف الملك سيف على منية النفوس وأمر لها بحراسة لحمايتها. وذات ليلة دخلت أمه قمرية على الملكة ناهد-إحدى زوجات الملك سيف وأبنه ملك الصين-

فوجدتها حزينة بسبب هجر الملك سيف لها، فرأت قمرية أن الفرصة سانحة لها في الظفر بالثوب السحري المطلسم الذي منعها من القضاء على ولدها، فاتفقت مع الملكة ناهد أن تجعل الملك سيفاً يأتي إليها مقابل أن تعطيها ثوبه السحري، حتى تلبسه ليخفف ألم رأسها الذي يأتيها كل ليلة كما زعمت. واعتقدت ناهد أم كلام قمرية صحيح فوافقت، وبعد أن نام الملك سيف قامت ناهد وأخذت الثوب المطلسم وقبل أن تسلمه لأمه قمرية، ظهرت طامة بنت الحكيمة عاقلة فجأة وضربت ناهد بسيفها فقتلتها فذهلت قمرية لما رأت وولت هاربة. استيقظ الملك سيف على صرخة ناهد، وعندما رآها ميته عرف أن طامة هي من قتلتها، ولما أراد معاقبتها دافعت عن نفسها قائلة: " أنا ما قتلتها إلا بوجه حق لأني أخاف من الله خالق الخلق، فهي أخذت الرق والغزال المطلسم من تحت الرق وأنت نائم، وتروم أن تعطيه لأمك هدية وأمك إذا ملكت ذلك وأخذت الرق ولوح عيروض معها، فترسل عيروض يحملك، ولا تجد من يمنعه عنك فتعمل معك كل مكيدة"[1].

عندها تيقن الملك سيف أن أمه ما زالت تريد الفتك به وأنها لم تعطيه اللوح الحقيقي فغضب منها، وأرسل أخته عاقصة لطلبها وإحضارها، وعندما وجدتها عاقصة أسرعت بأخذ اللوح منها ورمتها من علو مرتفع فهوت إلى الأرض ولفظت أنفاسها الأخيرة، فجن الملك سيف لما فعلته عاقصة وغضب، وطلب منها أن لا يرها مرة أخرى، وحزن على أمه حزناً شديداً، ولم يخرجه من حزنه سوى زوجته منية النفوس عندما بشر أنه رزق منها ولد، ففرح به كثيراً وأسماه (مصر) وكان شديد الحب والتعلق بمنية النفوس ودائم التردد عليها مما ولد الغيرة في قلب طامة فنوت قتلها، ولما عرفت الملك سيف بنيتها عرض عليها الزواج فوافقت، وطلبت منه أن يفرجها الثوب الريش التي كانت تلبسه منية النفوس ورفض الملك سيف

(1) السيرة، م1، ص 363.

خوفاً من تراه منية النفوس فتأخذه وتتمكن بواسطته من العودة إلى بلادهـا. إلا أن طامة أكدت له أن منية النفوس لن ترى ذلك الثوب، فوافق الملك سيف وأعطاهـا الثوب، وذات يوم رأت منية النفوس الثوب في يد طامة فتوسلت إليهـا أن تعطيهـا لتريها كيف تبدو به، فوافقت طامة بدافع الفضول ولما لبسته منية النفوس حنت إلى أهلها وبلادها فأخذت ولدها مصر وطارت عائدة إلى بلادها. وعندما علـم الملـك سيف بما حدث خزن لذلك حزنـاً شـديداً وقـرر اللحـاق بهـا، وفي تلـك اللحظـة حضرت أخته قاصية للاطمئنان عليه، فلما رآهـا تـذكر أمـه وقـال أتيـت تـذكريني بهمي وغمي بعدما قتلتي أمي فقالت له والله إنك ارتحت منها ومن فعلـها، وكيـف لا أقتلها وهي في كل مرة ترميك في المهالك وهي كافرة بمالك الممالك، وحق مقـام إبراهيم إن رجعت تذكرها مرة ثانية ما بقيت أعود إليك"[1].

ورحل الملك سيف مع أخته عاقصة ليعيد منيه النفوس من الجزيرة التي هـي موجودة بها وهي جزيرة لا يسكنها سوى النساء، لأن والد منية النفوس رفـض أن يزوج أبنته منية النفوس لأبن عمها، فعمل كل منهمـا سـحر لإيـذاء الآخـر بحيـث أصبح الرجال في جزيرة والنساء في جزيرة أخرى، ليمنعها التزاوج بينهما. وعنـدما وصل الملك سيف الجزيرة التي بها منية النفوس رآهـا تتعـذب هروبهـا مـن بلـدها وزواجها منه، فأنقذها الملك سـيف وأزال الـسحر عـن الجزيـرتين، وأخـذ زوجتـه وولده وعادوا إلى حمراء اليمن بمساعد عاقـصة وعـيروض، وبعـد وصـولهم طلـب عيروض عاقصة للزواج بها من الملك سيف فوافق، إلا أن عاقـصة رفـضت بـشدة وقالت " يا أقرع يا نجس من منك يخطب بنات الملـوك سـيف وايـش تكـون حتـى

(1) المرجع السابق.

تخطيني من الملك سيف[1]، وأمام ضغط الملك سيف عليها وافقت واشترطت أن يكون مهرها تاجاً وإكليلاً ومنطقة بلقيس زوجة النبي سليمان وهي من بلاد الكنوز، فوافق عيروض ورحل لإحضار المهر، وقبل رحيله أعطى الملك سيف اللوح وطلب أن يمعكه بعد ستة أشهر فإذا لم يحضر بعد المعكة الثانية، فذلك دليل على أنه أسر وبعد مرور ستة أشهر معك الملك سيف اللوح مرتين فلم يحضر عيروض عندها عرف أنه قد أسر، فقرر الرحيل للبحث عنه وترك أبنه (دمر) حاكما على حمراء اليمن، وفي طريقه إلى بلاد الكنوز، شاهد عجائب الدنيا وتعرف على الكثير وواجه العديد من المصاعب، لكنه لم يعد ظهور القوى الخيرة ووقوفها إلى جانبه لمساعدته، مثل أخته عاقصة وتكرور أبنة الكاهن شيبان التي ساعدته حتى أخذ سيف (اصف بن برخيا)، الذي بواسطته يستطيع قتل الجان، وقد كانت تعرف أن الملك سيفاً سيأتي لأخذ السيف وأنها ستتزوج به، فقد أخبرها بذلك الخضر عليه السلام في نومها، ولما وصل الملك سيف إلى بلاد الكنوز أنقذ عيروضاً أخذ مهر أخته عاقصة وعاد معه عيروض. وفي الطريق عودتهم ظهرت لهم عاقصة، وطلبت أن ترى مهرها قائلة أريد أن تعطيني البدلة حتى أعرف أن حاجتي قد قضيت[2]، فرفض الملك سيف طلبها خوفا من أن ترفض ليزواج من عيروض بعد أن تأخذ المهر، فغضبت منه وعتبت عليه، ومن شدة غضبها تركته في طريق عودته وحيداً يواجه الأخطار والمصاعب وباتكاله على الله تمكن من تجاوز تلك الأخطار وعاد إلى بلده ومعه زوجته تكرور وأبنه منها (بولاق) ثم جمع الملك سيف أهله وأولاده وأراد أن يعيد بناء بلد حمراء اليمن التي دمرها الملك سيف أرعد، إلا أن الحكماء أخبروه أن سيبني بلاداً أخرى تكون باسم ولده مصر، ورحل الملك سيف

(1) السرة، م2، ص133.

(2) المرجع السالق.

إلى تلك البلاد وعمرها، غير أنه كان ينقصها الماء فأخبرته الحكيمة عاقلة أنه كان يجري بها نهراً أسمه نهر النيل، إلى أن جاء حكيمان أحدهما يسمى (جابر صافي) من المشرق والأخر (جابر بلقا) من المغرب الذي لم يكن في مدينة مهرا، فاستخدم الأخير السحر وسرق النهر من مدينة جابر صافي وبذلك جرى النهر في بلاده، فما كان من جابر صافي إلا أن استخدم سحره ليعيد النهر إلى بلاده واستمر الجدل بينهما سبع سنوات حتى كتب الكهين جابر بلقا كتاب تاريخ النيل الذي لا يستطيع أحد أن يسرق النيل إلا بواسطته[1]، حينها تذكر الملك سيف كتاب تاريخ النيل الذي حصل عليه كحلوان لزوجته شامة، فأخبرته الحكيمة عاقلة أنها ستحضره له من الملك سيف أرعد، إلا أنها أخبرته أنه سيحتاج إلى سبعة أشياء أخرى لإجراء نهر النيل هي " سيف أصف بن برخافيه يستطيع رد أعوان الجن والكهان، والجواد المسمى برق البروق الياقوتي، وخرزه الكوش بن كنعان فإن خدامها ينفعون في جداول البحر، ولوح الخليجان وأخيه الرهق الأسود، كما يحتاج إلى الحكماء والجنود والرجال والأبطال[2]، وكان ينقص الملك سيف مما ذكرته الحكيمة عاقلة لوح الخليجان وأخيه الرهق الأسود، فسأل الحكيمة عاقلة عنهما فأخبرته أن نبي الله سليمان قد حبسه في قصر حديدي داخل عمود من الرخام، وقد رحل الملك سيف إلى ذلك القصر لإحضارهما وحرر الرهق الأسود مقابل أن يتعاون معه في إجراء نهر النيل، ولم يكن ينوي أن يفي بوعده، إلا أنه أبصر عاقصة أخت الملك سيف فأعجب بها وأحبها وطلبها للزواج، فانتهز الملك سيف الفرصة ووعده بالزواج بها إن هو ساعده في إجراء نهر النيل، فوافق الرهق الأسود وحطم الأجيال والصخور

(1) السيرة، م3، ص163.

(2) المرجع السابق.

والشلالات، ثم احتال عليه الملك سيف حتى تمكن من قتله، وبعد موته رأى عيروضا الفرصة سانحة لإعادة طلبه للملك سيف للزواج من أخته عاقصة، وبعد ضغط من الملك سيف على عاقصة وتأكدها من حب عيروض لها وافقت على الزواج به، وأنجبت منه ولداً أسمته (عفاشه)، على الزواج به، وأنجبت منه ولداً أسمته (عفاشه)، وبعد أن كبر أخذ مكان والده في خدمة اللوح، وساعد سيف في نشر الإسلام، وبعد أن تمكن الملك سيف من أداء المهمة الموكلة إليه، وهي إخضاع الجن والأنس لدين الإسلام، وكسر شوكة الملك سيف أرعد وإخضاع بلاده لسلطانه، وإجراء نهر النيل.

قسم حكم البلاد على أولاده، حيث جعل (مصر) حاكما لمصر و (دمر) حاكما على الشام، وحكم هو المدينة الحمراء.

ب. الشخصيات ذات الجذور التاريخية:

تعتمد السيرة الشعبية عامة على "جذور تاريخية، فما من سيرة من السير إلا وتدور حول بطل كان له وجود في التاريخ يوماً ما، قام بأفعال جليلة، وخاض حروباً ومعارك في سبيل قيماً سامية مما جعل شهرته تسبقه إلى كل مكان"[(1)]. وهذه الجذور يعتمد عليها الفنان الشعبي في بناء سيرته، حيث يرى في "الحقيقة التاريخية شيئاً أشبه بهيكل عظمي يكسوه بخياله لحماً، وينفخ فيها من روحه الإبداعية الجديدة، وإذا بالحدث التاريخي المجرد قد استوي كائناً حياً جاءنا عبر الزمان، لكن هذا الحدث حين يعود إلينا، لا يعود بصورته التاريخية الدقيقة ولكن في الإطار العام للقيم والمثل والأخلاقيات التي يمثلها الفنان تعبيراً عن المجتمع الذي أنجبه"[(2)].

(1) خطري عرابي أو ليفة، سيرة سيف بن ذي يزن، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، 1995، ص29.

(2) قاسم عبده قاسم، ندوة التاريخ الاسلامي والوسيط، دار المعارف، القاهرة، 1985، ص236.

وبطل السيرة كما تذكر كتب التاريخ آخر ملوك حمير، كان لـه دوراً بـارزاً في تحرير بلاده اليمن من الأحباش، حيث تناوب على الحكم اليمن أربعة ملـوك كـان أخرهم أبرهة الأشرم، الذي عاث في الأرض فساداً وأذل الناس واستحيا النـساء، وكان من سباياه زوجة ذي يزن (ريحانه) وولدها (معد يكرب)، وقـد أنجـب منهـا ولداً أسماه (مسروق)، فتربي سيف (معد يكرب) في كنف الأشرم مع أخيه من أمه مسروق معتقداً أن أبرهة أباه، إلا أن مسروقاً سبه أباه حينما عرف أن الأشرم ليس أباه ، وخرج ناقماً على الحبشة، وقرر البحث عن وسـيلة لإجـلاء الأحبـاش عـن بلاده، فذهب إلى ملك الروم للاستنجاد به، لكنه لم يجبه إلى طلبه فذهب إلى كسرى فاعتذر له وأعطاه مالاً.

ولما خرج سيف من عند كسرى نثر الدراهم التي أعطـاه إياهـا كـسرى علـى الناس. فلما علم كسرى بذلك أرسل في طلبه وسأله عـن الـسبب الـذي دفعـه إلى هذا الفعل، فأجابه سيف " أنا لم آتك للمال وإنما جئتـك للرجـال، فجبـال بـلادي ذهب وفضه"[1]. عندها أعجب كسرى بقوله، فاستشار وزراءه، فأشـاروا عليـه بـأن يبعث معه كل من في السجون، ففعل كسرى ذلك، وكـان قـوامهم ثمانمائـة رجـل بقيادة وهرز في ثمان سفن، وسار بهم حتى ساحل حضر موت وانضم إلـيهم مـن قومه الكثير حتى وصل عددهم حوالي عـشرين ألـف مقاتـل، وكـان أول القتلـى مسروق أبن ابرهة الأشرم. الذي برز له قائد الفـرس وهـرز فقتلـه وحمـل الفـرس بقيادة وهرز وسيف بن ذي يزن على الأحبـاش فهزمـوهم، وواصـلوا سـيرهم إلى صنعاء ولما قضى على الأحباش، نصف سيف بن ذي يزن ملكاً على اليمن وبـارك

(1) الكامل ج1، ابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت، ص263.

كسرى ذلك، وبذلك تمكن سيف وبمساعدة الفرس من تحرير بلاده من الأحباش سنة 750م[1].

إضافة إلى أن القاص عندما جعل سيفاً مسلماً أعتمد في ذلك أيضاً على أصول تاريخية. فإذا تتبعنا ما ورد في (البداية والنهايا) عن اللقاء الذي تم بين سيف وعبد المطلب عرفنا أن سيف لم يكن يهودياً ولا نصرانياً.

فقد جاء في النص:

"فأرسل سيف إلى عبد المطلب فأدنى مجلسه وأخلاه ثم قال: يا عبد المطلب إني مفض إليك من سر علمي ما لو يكون غيرك لم أبح به، ولكني رأيتك معدنه فأطلعتك طليعة، فليكن عندك مطويا حتى يأذن الله فيه، فإن الله بالغ أمره. أني أجد في الكتاب المكنون، والعلم المخزون الذي اخترناه لأنفسنا، واحتجبناه دون غيرنا خبراً عظيماً وخطراً، وفيه شرف الحياة وفضلة الوفاء للناس عامة، ولرهطك كافة، ولك خاصة فقال عبد المطلب: أيها الملك مثلك سرور فما هو فداؤك أهل الوبر زمراً بعد زمر؟ قال: إذا ولد بتهامة، غلام به علامة، بين كتيه شامة، كانت له الإمامة، ولكم به الزعامة إلى يوم القيامة، وعندما طلب عبد المطلب أن يزيده معرفة بهذه البشارة الطيبة، قال له سيف: هذا زمانه الذي يولد فيه، وأسمه محمد، يموت أبوه وأمه، ويكفله جده وعمه، وسيبعثه الله وسيجعل له منا أنصاراً، يعبد الرحمن ويدحر الشيطان، قوله فصل، وحكمه عدل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهي عن المنكر ويبطله[2]".

أما الشخصية التاريخية الثانية في السيرة فهي شخصية الملك (سيف أرعد) ملك الحبشة الذي حكمها ما بين (1344-1373)، وقد كانت العلاقة بين الحبشة

(1) المرجع السابق.

(2) الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، دار الغد العربي، القاهرة، 1990، ص777،778.

والعرب عام ومصر خاصة علاقة وطيدة، إلا أنها ضعفت بسبب الحروب الصليبية، فقد اعتبرت الحبشة نفسها حامية المسيحية في العالم، حيث أغار (عمدا صيون) والد سيف أرعد على صعيد مصر وأطلق سراح بطريرك الإسكندرية الأب، وأرسل إلى السلطان المملوكي في مصر يهدده إن لم يعامل النصارى بالحسنى فإنه سيحول مجرى نهر النيل لأن منبعه من بلاده وباستطاعته أن يوقف جريانه"[1].

وواصل سيف أرعد " أعمال القسوة والبطش ضد المسلمين في الحبشة خاصة بعد أن رأى أن المماليك قد ضيقوا الخنادق على المسيحيين في مصر"[2] ولم يسلم من بطش ملك الحبشة أحد حتى أنه "قبض على عدد من التجار المصريين المسلمين بالحبشة وأعدم بعضهم وأرغم بعضهم على اعتناق المسيحية، واعترض القوافل التجارية ما بين الحبشة ومصر، فأضر بالتجارة براً وبحراً"[3].

وفيما عدا هاتين الشخصيتين تبقى الشخصيات الأخرى مصنوعة من الخيال ويستعين القاضي في نسيجها بما ترسب في الفكر الإنساني من معتقدات وعناصر أسطورية.

جـ. الشخصيات المتخيلة:

تتجلى الصيغة الخيالية في سيرة سيف من الجمع بين شخصيتين تاريخيتين الفاصل الزمني بينهما بعيد، فسيف بن ذي يزن عاش في القرن السادس الميلادي، بينما عاش سيف أرعد في القرن الرابع عشر الميلادي، هذا يعني أن السيرة قد بدأت

---

(1) فؤاد حسنين، قصصنا الشعبي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1947، ص58.

(2) خطري عرابي أبو ليفه، سيرة سيف بن ذي يزن، مرجع سابق.

(3) عبد المجيد عابدين، بين الحبشة والعرب، دار الفكر العربي، القاهرة، ص177.

روايتها بعد وفاة سيف أرعد أو في زمنه أي أنها نشأت في ظل الصراع بين الإسلام والمسيحية في عصر ما بعد الحروب الصليبية[1].

وهذا سبب كاف لكي يختار القاص شخصية سيف أرعد شخصية رئيسية في السيرة. أما عن سبب اختياره ولشخصه سيف بن ذي يزن بوصفها شخصية مناوئة لسيف أرعد فربما يرجع إلى أن "الراوي لم يلتمس البطولة النادرة في شخصيات عصره، فرجع بذاكرته إلى ما ترسب في نفسه من حوادث تاريخية فأختار شخصية سيف بن ذي يزن، وربما ذكره أسم سيف أرعد باسم الملك الحميري سيف بن ذي يزن، فوجد أن التقابل بين الأسمين يضفي على السيرة نوعاً من الطرافة[2]".

وربما أن البطل العربي والمثال الذي يريده الشعب لم يكن موجوداً في عصر سيف أرعد " كون الحكام الموجودون كانوا مماليك، إضافة إلى كراهية الشعب للحكم المملوكي، فلم يكن المصريون في مصر، والأيوبيون في الشام ليرضوا عن حكم المماليك والاعتراف بهم، لأنهم حكام غير شرعيين باعتبارهم عبيداً، فلم يرق للراوي أن يستنجد ببطل من هؤلاء وهو غير راضٍ عن حكمهم وغير معترف بهم[3] ". أو أن القاص أراد" شخصية لها دور تاريخي معروف ضد الأحباش تحديداً فلم يجد أفضل من شخصية الملك سيف بن ذي يزن تجسيداً لذلك[4]".

وقد يكون القاص "غير مكترث بالصدق التاريخي للسيرة مثل اهتمامه بتوضيح الهدف الأساسي الذي يكتب سيرته من أجله وهو التعبير عما يعانيه العالم

(1) نبيلة إبراهيم، البطولات العربية والذاكرة التاريخية، مرجع سابق، ص258.

(2) المرجع السابق.

(3) خطري عرابي أبو ليفة، مرجع سابق.

(4) فاروق خورشيد، أضواء على السير الشعبية، مرجع سابق.

الإسلامي عامة، والشعب المصري خاصة من اضطهاد من الأحباش وتهديدهم الدائم بتغيير مجرى نهر النيل[1]".

وكل هذه افتراضات تفسر هذا الجمع المتعمد بين شخصيتين تاريخيتين سيف بن ذي يزن، وسيف أرعد ولا مفر من الافتراض.

(1) فاروق خورشيد، سيف بن ذي يزن، الكاتب العربي للطباعة والنشر، ط2، 1967م، ص13.

المبحث الثاني
صورة المرأة في سير سيف بن ذي يزن

احتوت سيرة الملك سيف على كثير من نماذج المرأة التي لعبت فيها أدوارا رئيسية في جميع أحداثها وتوزعت هذه النماذج المرأة الشريرة التي تستمتع بفعل الشر، والمرأة التي تقف إلى جانب البطل لتمد له يد العون والمساعدة، والمرأة الهاشمية التي لا يهمها سوى الزواج من البطل فقط.

وستتناول النماذج المختلفة للمرأة في سيرة سيف تفصيلا فيما يلي:

أولا: المرأة المناوئة (الشريدة):

إن نموذج الأم المناوئة (الشريرة) غريب وغير مألوف في الواقع، وذلك أن الأمومة الحانية تمثل أحد الدوافع العزيزة، فقليلا ما نجد نموذج الأم الشريرة في الحكايات والسير الشعبية، فالأمهات جميعا وفقن من أبنائهن موقف الأم الرؤوم[1].ففاطمة بنت مظلوم في سيرة الأميرة ذات الهمة كانت أما حانية على ولدها، ضمته إليها وربته حتى أصبح فارسا شجاعا يشار إليه بالبنان، ومع ذلك فإنها قادت جيش المسلمين وحاربت الروم بقوة وشجاعة، ورغم أن ولدها شاركها في قيادة الجيش، إلا أنها لم تفقد مكانتها كقائد عظيمة لها هيبتها وقوتها.

لكن قمرية في سيرة الملك سيف كانت نموذج للأم الشريرة التي تتفنن في أساليب القضاء على أبنها خوفا من أن يشاركها في الملك، وهذا النموذج غريب حقا ويحتاج إلى تفسير وسنحاول تفسيره من خلال الأبعاد الآتية:

(1) زينب جو هي ليم، المرأة في روايات محمد عبد الحليم، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، 1994، ص43.

أ. البعد التاريخي.
ب. البعد الاجتماعي.
ج. البعد النفسي.
د. البعد الدلالي.

أ. البعد التاريخي:

اتصفت قمرية في سيرة الملك سيف بعدد من الصفات أبرزها العناد والتسلط والإرادة القوية والذكاء، وهذه الصفات سائدة عند بعض النساء العربيات، حيث تشير الدراسات التاريخية إلى وجود كثير من النماذج التي اتصفت بمثل صفات قمرية منها:

1. شجرة الدر (أول ملكة في الإسلام):

بدأت حياتها كجارية، وكانت تتمتع فضلا عن جمالها وجاذبيتها بفراسة ودهاء وعزيمة من حديد. أحبها الملك الصالح نجم الدين إذ بهره جمالها وذكائها، فتزوجها وكان متيما بها لدرجة أنه أشركها في كثير من أمور الدولة. أما فهي فقد كانت تعرف كيف تؤثر عليه لما تتمتع به من قدرة خارقة وموهبة غير عادية في إدارة الأمور، فأدهشت الملك الصالح بحصافة رأيها وفضل مشورتها، فأرتفع قدرتها لديه وعظمت مكانتها، فزاد نفوذها وسلطانها وقويت شوكتها.

فعندما تعرضت مصر إلى حملة صليبية واستطاعت الوصول إلى دمياط. أرسل لويس التاسع-قائد الحملة الصليبية-رسالة إلى الملك الصالح طالبا التسليم فلا جدوى من المقاومة، فلما وصلت الرسالة كان الملك الصالح على فراش المرض، وبعد أن أشرف على تحصين المنصورة أشتد عليه المرض فمات، وكان الصليبيون

قد احتلوا دمياط فعلا، فأدركت وفاة السلطان، فلجأت إلى الحيلة، حيث أخفت خبر موت السلطان وأمرت بدفنه سرا ودون علم أحدا واستمرت في إصدار المراسيم باسم السلطان، وأمرت بإحضار ولي عهد توران شاه على وجه السرعة.عندها علم الصليبيون بوفاة الملك الصالح، فكثفوا جهودهم للاستيلاء على المنصورة. ولكن شجرة الدر كانت قد أعدت خطة عسكرية لذلك، فقامت بتنفيذها بمعاونة قادة الجيش، وأدارت دفة الحرب بكفاءة نادرة، حتى أنتصر جيش المسلمين وأسر لويس التاسع. ثم أمرت قادة الجيش أن يقسموا لتوران شاه يمين الولاء باعتباره ملكا للبلاد، ولكن توران شاه لم يحفظ الجميل لشجرة الدر. فقد أرسل لها يهددها بالقتل متهما إياها أنها بددت أموال بيت المال، كما أعلن أيضا عزمه على قتل أبطال الجيش الذين أحرزوا هذا النصر الكبير للمسلمين، فلما رأت شجرة الدر ظلم توران شاه واستبداده خاصة بعد أن شيد له قصرا فخما على ضفة النيل، وجعله مكانا لملذاته الشخصية، التي أنغمس فيها ناسيا أمور الدولة ومسئوليات الحكم استدعت المماليك لاجتماع طارئ، وتآمرت معهم على قتل توران شاه لإنقاذ البلاد من استبداده ومجونه. وبعد موت توران شاه، انتخب الأمراء والقضاء شجرة الدر ملكة على مصر باجتماع الآراء، وأطلق عليها لقب الملكة عصمة الدين شجرة الدر، وصدرت المراسيم بخطها وعليها توقيعات أم خليل[1]، كما صكت النقود باسمها، ودعا لها أئمة المساجد في خطب أيام الجمعة.

وبعد توليها حكم البلاد أطلقت سراح ملك فرنسا لويس التاسع بعد أن اشترطت عليه أن يسلم دمياط أولا، وأن يدفع فدية فرحل لويس إلى بلاده بعد أن أصدر أوامره بتسليم دمياط إلى المسلمين. كما أصدرت المراسيم والمكاتبات إلى كل

(1) خليل: أبن شجرة الدر من الملك الصالح نجم الدين ولم يعيش سوي بضعة أشهر.

العاملين على الأمصار بتخفيض الضرائب ورفع المعاناة عن كاهل الشعب، وأخذت تفرق الوظائف على الأمراء. واستطاعت حكم البلاد بكفاءة عالية.

لكن الخليفة المستنصر بالله ببغداد عندما علم أن السلطان بمصر امرأة، أرسل يقول لأمراء مصر "إذا كانت الرجال قد عدمت عندكم، فأعلمونا حتى نسير إلكم رجلا. أما سمعتم في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا أفلح قوما ولوا أمرهم امرأة"[1]. وهنا برزت حكمة شجرة الدر وذكائها، فحينما علمت ذلك قررت التنازل عن العرش برضاها حتى تجنب البلاد شر لانقسام والفرقة. فأشار عليها الأمراء والقضاة أن تتزوج عز الدين أيبك ويولوه ملكا على مصر، فوافقت وتم زواجهما، ولكن ذلك لم يغير من الأمر شيئا، فكانت شجرة الدر هي الحاكمة الفعلية للبلاد تأمر وتنهي من وراء حجاب. مما أضجر ذلك أيبك وضاق ذرعا بتحكم شجرة الدر وتسلطها وإرسالها الجواسيس وراءه في كل مكان. فقرر التخلص منها والاستقلال بالحكم والزواج من امرأة أخرى، وما أن علمت شجرة الدر بما ينويه أيبك، حتى تحولت إلى امرأة شرسة، وأرسلت إليه من يقتله للإنتقام منه ولتجرؤه على التفكير في امرأة أخرى غيرها. فلما شاع نبأ وفاة أيبك ساد الغضب والاضطراب في البلاد، وتوجه المماليك إلى القلعة فقبضوا على كل من فيها وعلى رأسهم شجرة الدر.

وبعد أن تولي الخلافة المنصور أبن أيبك من زوجة الأولى، قرر الانتقام هو وأمه التي كانت شجرة الدر عدوتها في الحياة، لأنها أرغمت أيبك أن يطلقها، ولأنها قتلت أبا ولدها الوحيد، فأنهالت عليها ضربا بالقباقيب حتى ماتت، ثم رمتها من برج القلعة التي كانت محبوسة بها وهي شبه عارية.

(1) محمد سعيد العريان، شجرة الدر، دار المعارف، القاهرة، ط8، 1992، ص 129.

وهكذا ماتت أول ملكة عربية في الإسلام في نهاية مأساوية مفجعة لكنها رغم ذلك جمعت صفات قلما تجتمع في امرأة "فكانت الجارية ذات الأدب والعلم والفن، وكانت الأنثى ذات الجمال والفتنة والحيلة، وكانت الزوجة ذات حب ووفاء وغيره، وكانت الملكة ذات الحزم والإرادة والتدبير"[1].

2. صبيحة (ملكة قرطبة):

تفردت الملكة صبيحة بشخصية قوية غير عادية. زوجها هو الخليفة الحكم المستنصر بالله، كان رجلا فقيها عالما يحب العلم، وكان يسعى دائما إلى أن يجعل قرطبة بؤرة الإشعاع الحضاري على العالم كله وقلعة للعلم. وبالفعل فقد شهدت البلاد في عهده عصرا جديدا من الانفتاح والأزهار في سائر مجالات العلوم. ولكن ذلك شغله عن مسئولياته تجاه شئون الحكم، ولهذا عرضت عليه صبيحة أن يتفرغ تماما لأهدافه العلمية، ويترك لها مسألة إدارية البلاد. واستطاعت صبيحة حمل هذا العبء وحدها وساعدها في ضلك ذكاءها وحكمتها وحسن تدبيرها، فتولت زمام الأمور في المملكة بقبضة من حديد، وتعاملت مع مصالح الرعية والسياسة الداخلية بمنتهى الحزم والتدبير، ولم تنقض فترة حتى أصبحت الملكة صبيحة صاحبة الأمر والنهي في البلاد، تكتب المراسلات وتصدر المراسيم، وتتفقد الحكام والأمراء، وتتابع سير العدالة وتحقق في مظالم الشعب، وتراقب أوضاع البلاد في الخارج والداخل، وتقوم بالإصلاحات وتعمل على تنمية الموارد، بل أنها قامت بتجهيز جيش قوى للدفاع عن البلاد وتحصينها من أي عدوان واستطاعت اكتساب

---

(1) المرجع السابق.

وللمزيد انظر ونفرد لمز، ترجمة سعد الدين أحمد، كانت ملكة على مصر، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1998، ص187 وما بعدها، وانظر جرجي زيدان، شجرة الدر، دار مؤلفات زيدان، بيروت، بدون تاريخ.

حب الناس لها وتقديرهم واعتبارها الملكة عليهم، وبهذا تقلصت سلطة الحكم المستنصر حتى أصبحت سلطة أدبية فقط.

ولما زادت مهامها عينت كاتب لمساعدتها، فوقع اختيارها على شاب أسمه محمد بن أبي عامر، وكان هذا الشاب ذكيا وسيما وطموحا، استطاع أن يكسب ثقة الملكة بكل الطرق، ويتقرب منها مستخدما كل الوسائل، حتى نجح في استمالتها والتأثير عليها، فنال معاملة خاصة حتى أصبح مستشارا لها، فأثار ذلك أقاويل الناس واستنكروا إيثار الملكة لهذا الشاب، ووصلت هذه الأقاويل إلى الحكم المستنصر، لكنه قبل أن يفعل أي شيء داهمه المرض. فعندما أدركت صبيحة بقرب أجله، سارعت إلى عقد اجتماع طارئ مع كبراء الدولة وقادة الجند ورجال الحكم بحضور الخليفة تم فيه منح الخلافة لأبنها هشام بن الحكم وكتبت المواثيق، وأشهد عليها الحضور رغم أنه كان ما يزال في الحادية عشر من عمره. وبذلك نجحت صبيحة في الاستئثار بالحكم لها ولأبنها بدون منازع. لكن المعيره بن الحكم الوريث الشرعي والحق بالحكم من أخيه هشام، لم يعترف به خليفة وأعتبره سارقا لحقه الشرعي، فوقف لصبيحة بالمرصاد، والتف حوله عدد من الأعوان يناصرونه ويستقطبون الناس موالين له، وأخذ المغيرة يدبر ويخطط للقضاء على الملكة وولدها، ولكن الملكة كانت أسرع منه في ذلك، فتآمرت عليه ووجهت إليه ضربة قاضية تخلصت منه ومن أعوانه جميعا. ثم وجهت طاقتها لإصلاح البلاد، فخفضت الضرائب ووضعت خطط للإصلاح الاقتصادي، ووضعت خطط للإصلاح الاقتصادي، وقامت بإصلاح البنية التحتية، وبذلت أنشطة واسعة في مجال التشييد والعمران، وسارت على نهج زوجها في رعاية الأدب والفنون، فساندت النهضة الفكرية التي وضع بذورها وبذلت لها كل مساعدة ممكنة. فأحبها الناس على

أعمالها الجليلة، واحترمها العلماء والأدباء، وأصبحت الملكة صبيحة محط الأنظار، وموضع الاحترام والتقدير، ومحل الثقة والامتنان.

لكن ظهر لها منافس آخر في الحكم هو محمد بن أبي عامر مستشارها الذي أعطته الثقة والأمان. فقد استطاع بذكائه الحاد وقدرته على التدبير والحزم من أن يضم إليه عدد من الجنود، ومجموعة من العلماء والفقهاء وكبار رجال المال والأعمال السياسية. فكون جبهة لمحاربها الملكة صبيحة وانتزاع الحكم منها، ورغم قوة محمد بن أبي عامر وتوفر جميع العوامل لنجاح هذه الثورة، إلا أن صبيحة لم تكن بتلك الملكة الضعيفة التي تنهزم بسهولة فقد واجهت تلك الثورة بقوة وعزيمة من حديد، واستطاعت الصمود وقبول التحدي ومجابهة ذلك اللإنقلاب حتى قضت على زعيمها محمد بن أبي عامر وأعوانه وإخماد الثورة. ثم أعادت الأمن للبلاد، وإصلاح كل ما أفسدت الثورة، وظلت تحكم البلاد كملكة على عرش الأندلس دون منازع حتى ماتت[1].

وهناك نماذج أخرى كثيرة سجلها التاريخ عن نساء حكمن وكن جديرات بالسلطة والحكم[2].

ب. البعد الاجتماعي

من الواضح أن للمجتمع تأثير في تشكيل سلوك الأفراد، وهذا نتيجة تأثر وتأثير الفرد في المجتمع الذي يعيش فيه. فالأميرة ذات الهمة مثلاً قاست كثيرا من أجل الاعتراف بإنسانيها، وتأكيد ذاتها، وحاربت من أجل تحقيق إرادتها متحدية بذلك الظروف القاسية التي فرضت عليها أشكالا من القهر والظلم المادي

(1) انظر منال العماوى، أشهر نساء العرب، المصرية للنشر والإعلان، القاهرة، ط،2004.

(2) انظر الفصل الأول من هذه الدراسة لمعرفة المزيد عن نماذج للمرأة الحاكمة.

والمعنوي[1] واستطاعت التغلب على تلك الظروف الاجتماعية، وأن تجعل من نفسها ذات قيمة ومكانه في المجتمع.

فكانت الأم المربية والحنونة لولدها عبد الوهاب أنشأته نشأة الفروسية، وكانت الفارسة الشجاعة المحاربة التي يهاب أسمها الأعداء ويحسبون له ألف حساب. ولكن قهر المجتمع لا يخلق من الإنسان شخصا إيجابيا دائما، فقد يؤدي إلى العكس تماما، فقمرية في سيرة الملك سيف بن ذي يزن بدأت حياتها جارية لدى الملك سيف أرعد، ثم أرسلها إلى الملك ذي يزن دون أخذ رأيها، فهي مجرد جارية وليس عليها سوي تنفيذ الأوامر، وعندما أعجب بها الملك ذو يزن تزوج بها بصرف النظر عن عاطفتها نحوه. هذا التسلط كان دافعا لاكتساب قمرية "صفات تتناقض مع صفاتها الأصلية النابعة من عاطفة الأمومة، فتنقلب إلى أماً شريرة وشديدة الأنانية[2].

تنعدم عواطفها السامية، وتكون إدارة لتنفيذ الشر، ولهذا كان من السهل عليها أن تدس السم للملك ذو يزن، كما كان سهلا عليها أن تلقي ولدها في المهالك حتى تحافظ على مكانتها. وتدافع عنها، ولكي تنتقم من المجتمع الذي جعل من المرأة عنصرا سالبا وعضوا عاطلا ليس لها أي دور في المشاركة في الحياة الاجتماعية، فهي متلقية للأوامر ومنفذة لها. وقد تكون قمرية انعكاساً لوضع المرأة في فترة من التاريخ العربي.

(1) أحمد علي مرسي، الذات العامة والذات الخاصة في السير الشعبية المصرية، مرجع سابق، ص12.

(2) إبراهيم أحمد شعلان، الأسرة في المثل الشعبي، التراث الشعبي، مركز الفلكلور، بغداد، العدد 7،6، 1981، ص 105.

لم يكن للمرأة فيه أي دور حتى من "الناحية الثقافية لا تتعدى ثقافتها حفظ بعض سور القرآن دون فهم لمعاينة"[1] وربما ترمز قمرية لحقيقة تاريخية هي "أن والدات معظم الخلفاء العباسيين كن من الجواري، فبدلا من يصاهر الخلفاء القبائل العربية فيشدون أزرهم بها ويشاركونها في الحكم تزوجوا من الجواري الحسان غير العربيات، فحفلت القصور بالمؤامرات والدسائس لتنصب الجارية هذه أو تلك خليفة، وضعف النفوذ العربية وماتت عصبيته، وعم النفور بين قبائله"[2].

ج. البعد النفسي:

عاني الملك سيف من قسوة أمه عليه، ومحاولاتها تدبير المكيدة تلو الأخرى له، ورغم أنه كان يصفح عنها في كل مره تبدي ندمها، ولم يكن يستمع إلى تحذير من حوله منها مثل برنوخ الساحر وأخته عاقصة وغيرهم، بل أنه كان مستعدا لأن يتنازل لها عن الملك حتى ترضي عنه، ولكي تحن وتعطف عليه، لكن فمرية برغم معرفتها لحب ولدها لها، لم تتورع عن محاولة الفتك به، فربما يرجع ذلك إلى أسباب نفسية فمن المعروف أن "الإنسان يعيش صراعا نفسيا عند انتقاله من طور لآخر في مراحل حياته، حيث يعيش الطفل فترة من الزمن يستمع فيها بما تقدمه له الأم من حنان وعطف ودفء وحماية وطعام وغيرها، ثم يندفع بقوة إلى الحركة والتغيير، وهذا لا يتم بسهولة، بل يعاني الطفل خلاله من شد وجذب بين القوة المندفعة

(1) نبيهة أحمد الزبيدي، الأمثال الشعبية والواقع الاجتماعي للمرأة العربية، التراث الشعبي، مركز الفلكور، بغداد العدد 2، 1871،ص 11.

(2) طلال حرب، بنيه السير الشعبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت 1999، ص 119،120.

وبين رغبات الأم، وفي خضم هذا الصراع يشق الطفل طريقة ليخرج من مرحلة اللاشعور الطفولة إلى مرحلة الشعور والوعي الكامل[1].

وبتحليل مرحلة الطفولة التي عاشتها قمرية – كما فهم من السيرة- نجد أنها لم تنعم بالحنان والعطف الكافي إما لأنها تربت جارية وفاقدة لأبويها، أو أنها تربت في أسرة لم تجد الوقت الكافي للاهتمام بها، فمعظم وقتهم يقضونه في خدمة أسيادهم. مما جعلها تفتقد العطف والحنان الأسري من الأبوين، وهذا الأمر قد أثر على مرحلة اللاشعور عند قمرية، وصاحبها ذلك في مرحلة الشعور وأصبح لصيقها بها مما جعلها لا تشعر بمعنى الأمومة تجاه أبنها الملك سيف. وربما يرجع تعدد صور الشر التي أوردها القاص في شخصية قمرية إلى تأثيره بمجموعة من الحكايات والقصص والأساطير، فتحرك لدية اللاشعور الجمعي وعكسه في شخصية قمرية.

وهناك بعدا رمزيا، فليس اعتباطا من السير عندما تجعل الملك سيف بن ذي يزن يولد من أما حبشية، وهي ليست مجرد أم عادية بل هي أم مصنوعة من أجل ملاءمة الفكر المراد البدء بها وهي القضاء على الدولة المناوئة للحبشة سياسيا ودينيا.

وعلى الرغم من أن السيرة حافظت على الرومة العربية لبطلها، إذ أن أباه ملكا عربيا أصيلا، فإنها جعلت هذا البطل المكلف بنشر الدين والبحث عن كتاب النيل منتميا بنصفه إلى الجنس الحبشي، وجعله مشدودا إلى أمه الحبشية إلى أن قضت نحبها بيد غير حبشية.

---

(1) نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، مكتبة الشباب، القاهرة، بدون تاريخ، ص 246.

ولم يشعر الملك سيف بتحريره من هذا القيد قيد الأم الحبشية إلا بعد أن اختفت هذه الأم من طريقة كليا.

د. البعد الدلالي:

إن الشيء المعتاد والمألوف الذي يتماشى مع السلوك الإنساني السوي أن تكون الأم رمزا للحب والخير والحنان، إلا أن المتتبع للحكايات الشعبية يلاحظ أنها في كثير منها صورت الأم كرمز للشر كما في حكاية الأم الغولة، ولعل في هذا التصور أمرا غير مقبول أن تكون الأم رمزا للخوف والشر، وهذا ما جعل الدكتورة نبيلة إبراهيم تحاول الكشف عن ذلك الربط في حكاية الم الغولة، حيث أو ضحت من خلال التحليل النفسي لحكاية زوجة الأب وأمنا الغولة مقارنة إياها بنماذج الأم الكبرى التي كانت ترتبط بالآلهة الأم في الأساطير القديمة لتصل إلى حقيقة أن رموز النمط الأصلي للأم الكبرى قد ظهرت هي بعينها فيما يرويه الشعب من حكايات.

فالأم البقرة والأم الشجرة والأم الغولة قد صورت في حكاياتنا، ما صورت في التراث الشعبي الأنثولوجي وفي رسومه التصويرية"[1]، حيث صورت الأم على " شكل أناء بدون فم وهو تعبير تشكيلي يرمز للأم الخيرة، لأن الفم يرمز للاتهام والابتلاع، وكذلك الأم كآلي المفزعة التي صورت كامرأة يتدلى ثديها وتقوم على حراسة بوابة العالم السفلي كرمز للشر"[2].

ونجد أن الأم في سيرة الملك سيف تتماثل مع تصوير الأم في الحكايات الشعبية السابقة التي صورت الأم رمزا للخوف والشر، حيث كانت قمرية أن الملك

(1) نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، مرجع سابقة.

(2) المرجع السابق، ص242.

سيف نمطا شريراً وأساسا لكل مصيبة وقع فيها أبنها منذ ولادته، فكانت شديدة القسوة معه في مختلف مراحل حياته، وكان من الممكن أن تؤثر المعاملة القاسية التي لقيها في سلوكه بحيث يغلب على حياته الشر والانتقام بسبب ما عاناه منها، إلا أن الملك سيف كان طيب القلب رحيما متسامحا حتى مع من كانت سبب تعاسته وشقائه، وعلى الرغم من علمه ومعرفته بما تضمر له من شر، ولو أبدت عكس ذلك لنالت رضاه وصفحة. وربما أراد القاص إبراز أن الخير ورمزه الملك سيف قد يأتي من الشر (قمرية).

كما أن الذخائر العديدة التي حصل عليها الملك سيف أثناء عمليتها ضده التي كانت تقصد بها هلاكه والمتمثلة في اللوح والسيف وغيرها تعد رمزا دالة على أن من يحتسب ويصبر فأنه لن ينال إلا الخير، كما أن المهالك السبعة التي عاناها الملك سيف الوحداة تلو الأخرى هي بمثابة تجربة عملية للبطل كي يستطيع مواجهة المخاطر المستقبلية، ويتمكن من إتمام المهمة المكلف بها المتمثلة في نشر الإسلام في جميع أنحاء الأرض وأجراء نهر النيل[1] وقد أحسن القاص عندما حدد نهاية قمرية على يد أخت الملك سيف عاقصة ولم تأت على يد الملك سيف، فهو البطل المثال صاحب القلب الطيب، ولا يمكن أن يقع في مثل هذه الخطيئة. وربما تكون قمرية " رمزا للآلهة الهندية ذات الأيادي المتعددة التي تأكل أولادها وربما تكون رمزا لكونولي الإله اليوناني الذي يمثل الزمن ويأكل أولاده أيضاً، وقد تكون رمزا لإلهة الموت التي تبتلع أولادها مهما طال بهم الزمن[2].

(1) محمد رجب النجار، البطل في الملاحم الشعبية العربية، مرجع سابقة.

(2) فاروق خورشيد، عالم الدب الشعبي العجيب، مرجع سابق.

وبما تكون رمزاً "للآلهة المنتقمة التي تتعقب الإنسان أما لتعرف سراً أو لتنتقم منه"[1].

ثانيا: المرأة المساعدة:

غلب على معظم السيرة الشعبية وجود شخصية مساعدة أو أكثر تقف إلى جانب البطل لمؤازرته ومساعدته في تجاوز الأخطار وتحقيق أهداف ومهامه الموكلة إليه. وبالنسبة للشخصيات المساعدة في سيرة سيف والتي كان لها الأثر الكبير في مسيرة حياته، فيمكن تحديدها بشخصيتين هما أخته عاقصة، و الحكيمة عاقلة، حيث كان لهاتين الشخصيتين دور كبير في تقديم العون والمساعدة للملك سيف، كما أنهما وقفتا إلى جانبه في أصعب المواقف التي تعرض لها، إلا أن ما يدعو للتساؤل هو اختيار القاص للشخصيات المساعدة للبطل من السحر وعالم الجن وليس من عالم الأنس، ويبدو أن سبب ذلك عائد لكون أحداث السيرة كلها " تدور في عالم السحر والجن، وكانت الأسماء والطلاسم هي الأكثر استخداما في ذلك الوقت، وبذلك فإن المواجهة البشرية ستكون عاجزة في مواجهة حروب الجن والمردة والشياطين"[2]. مما جعل القاص يختار أغلب الشخصيات المساعدة للبطل من الجن والسخرة " لتستطيع حمايته وتقديم العون له؛ ولتمنحه القوة اللازمة التي ترفعه إلى الأبطال المثاليين، وبذلك تستطيع تحقيق حلمه وحلم شعبه"[3].

(1) نعمة الله إبراهيم، السير الشعبية العربية، شركت المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ط 1، 1994، ص 137.

(2) محمد رجب النجار، البطل في الملاحم والسير، مرجع سابق، ص 536.

(3) خطري عرابي أبو ليقه، مرجع سابق، ص 155.

وسنتناول هاتين الشخصيتين فيما يلي:

أ. عاقصة:

تعد عاقصة أخت لملك سيف من الرضاع أهم شخصية في السيرة بعد أمه قمرية، قد كانت اليد اليمني للملك سيف في مختلف مراحل حياته، ففي مطلع شبابه طافت به في المدائن السبع وغيرها ليتفرج على ما فيها من العجائب، كما حملته إلى منابع مجري النيل، وطافت معه عوالم الجان المختلفة وممالكهم المتعددة، فقدمته للؤمنين منهم ليعلمهم تعاليم دينهم، وأبعدته عن الكافرين منهم، ووقفت إلى جانبه في جميع المهاليك السبع التي رمته أمه فيها، وهنا يظهر الخيال الواسع لدى القاص وسعة أفقه العلمية عندما جعل من عاقصة تعمل ما أستطاع البحث العلمي عمله من علو في السماء وغوص في البحار إلى غير ذلك. وبسبب قربها الشديد من أخيها خضعت لرأيه في قبولها الزواج من عيروض، على رغم من عدم حبها له امتثالا لرغبة الملك سيف، وقد طلبت من غيروض أن يحضر من بلاد الكنوز مهرا لزواجها، وهنا نلاحظ أن القاص يريد أن ينسخ سيرته من خلال ما روي عن النبي سليمان وكنوزه وتسلطه على عالم الجان(1).

وعندما أدركت تعاظم خطر أمه عليه، لم تتورع عن قتلها خوفا على الملك سيف منها، رغم معرفتها أن ذلك سيغضبه منها وهو ما حصل بالفعل، إلا أنها فضلت تحمل غضبه مقابل الإبقاء على حياته وخلاصة من مصدر شقائه، كما أنها سخرت أبنها عفاشه أبن عيروض في خدمة الملك سيف، حيث حل محل أبيه في

(1) نبيلة إبراهيم، البطولات العربية والذاكرة التاريخية، مرجع سابق.

خدمة اللوح وقدم كل العون والمساعدة للملك سيف في سبيل نشر الإسلام، فقد كان شديدا على الكفار رحيما بالمؤمنين الأبرار.

ب. الحكيمة عاقلة:

لعبت الحكيمة عاقلة دورا مهما في حماية الملك سيف في أغلب مراحل حياته، فكانت معه في مرحلة تكوينه، حيث تمكنت من خلال قدراتها الهائلة وإمكاناتها الخارقة من التغلب على مجموعة من السحرة في مدينة قيمر، ومساعدة الملك سيف في أخذ كتاب النيل من هذه المدينة والخروج منها، كما أعطته ثوبا سحريا يحمه من مكائد أمه.

ثم كانت معه في مرحلة الفروسية، فوقفت إلى جانبه في حروبه ضد الكفرة، فكانت تخبره بما هو مخبأ له مستقبلا وتنصحه وترشده إلى الطريق الصحيح حتى استطاع نشر الإسلام وأجراء نهر النيل في مصر. وكانت معه في مرحلة الامتداد، حيث ساعدت أولاده في عدم الوقوع في الأسر عندما حاصر الملك سيف أرعد المدينة الحمراء، وساعدت أبنه مصر في بناء المدينة التي سميت باسمه.

ويلاحظ أن القاص جعل الحكيمة عاقلة من السحر كي تقوى على مواجهة القوى الشريرة من السحر كون الملك سيف لا يستطيع صدهم بمفرده أو بقوى بشرية من عالم الأنس. كما أن شخصية الحكيمة عاقلة تعطينا فكرة عن المعتقدات الشعبية التي ما تزال تعيش حتى اليوم، ومن أهمها اتخاذ الرمل وسيلة للتنبؤ بالغيب، وروح الميت التي تظهر في شكل طائر، والأماكن المرصودة التي لا يفك عنها الرصد سوى شخص معين يتلو كلمات محدودة، والاعتقاد في أن المرض روح شرير يستكن داخل الجسم الإنسان[1].

(1) المرجع السابق.

ثالثا: المرأة الهامشية:

ظهرت المرأة في سيرة الملك سيف في صورة متعددة كما رأينا: الشريرة والمساعدة والحبيبة، وهناك إلى جانب كل هذه النماذج نموذج آخر يتردد كثيرا في السير الشعبية، وهو نموذج المرأة الهامشية التي يقتصر دورها على الظهور في حياة البطل من أجل أن تتزوج به. ومن هؤلاء على الرغم من سعيها للزواج من الملك سيف ومساعدتها له في الحصول على كتاب النيل مهرا لها، إلا أن أعمالها كانت تتسم بالفروسية، بالإضافة إلى أن كتاب النيل مهرها، كان مطلبا قوميا.

ونأتي الآن على بيان مفصل لكل شخصية من هؤلاء:

أ. طامة:

هي بنت الحكيمة عاقلة، كان لها دور بارز في مساعدة الملك سيف عند دخوله إلى مدينة قيمر التي بها كتاب النيل، كما شاهدت في إخفائه عن السحرة وكان دافعها في ذلك الزواج من الملك سيف، إلا أنه رفض عندما عرضت عليه والدتها المر كونه قد أقسم أن لا يعرف أي أمرأة قبل دخوله على شامة، فغضبت طامة وسرقت منه القلنسوة السحرية التي تخفيه عن أعين الملك قمرون وجنوده، واعتقدت أنها بذلك ستجبره على الزواج بها، لكن لم يتحقق ما أرادت فقد ترك لها القلنسوة وعاد إلى الملك أفراح ليتزوج من شامة بعد أن أحضر مهرها، وبعد ذهابه زاد الحب والشوق في قلب طامة فاقترحت أمها عليها أن يلحقا بالملك سيف، خاصة وأنه يعاني من مهالك أمه، ولا بد من الوقوف إلى جانبه ومساعدته، وبالفعل لحقتا به وعندما عرضت الحكيمة عاقلة على الملك سيف أمر زواجه من ابنتها طامة رفض وأقسم أن لا يفعل قبل أن تعطيه القلنسوة.

فغضبت طامة وأقسمت هي الأخرى أن لا تعطيه إلا بعد أن يتزوجها، كما أقسمت أن تقتل من ترى من زوجاته، فقتلت ناهد بنت الملك الصين مع أنها تعذرت أن سبب قتلها لناهد هو من أجل حماية الملك سيف.

وعندها فكر الملك سيف في طريقة يبر بها قسمه كي يتزوجها، فجمع العلماء وسألهم فأفتوه بدفع كفارة مقابل قسمه، فتزوجها وطلبت أن يكون مهرها الريش السحري الذي تطير به منية النفوس، فوافق الملك سيف رغم خوفه أن تراه منية النفوس وتأخذ وتطير به إلى بلادها وهو لا يقوى على فراقها والبعد عنها.

ولقد أظهرت طامة من خلال دورها مدى قوة بأس المرأة عندما تتخذ قرارا، فأنها لا تتراجع عنه وتفعل أي شيء من أجل تنفيذ ما تريد، فقد قتلت ناهد لأن الملك سيف بات عندها ليله، وأعطت منية النفوس الثوب السحري كي تطير إلى بلادها وتتخلص منها لأن الملك سيف أيضا كان يحبها كثيرا ويفضلها على جميع زوجاته. وكل ذلك من أجل أن تحتفظ بالملك سيف لها دون منازع.

ب. منية النفوس:

هي بنت قاسم العبوس، وقد كانت محتجزة في جزيرة مع مجموعة من بنات جنسها، حيث أمر والدها أن يعيش النساء في جزيرة والرجال في جزيرة أخرى بسبب رفض منية النفوس الزواج من ابن عمها. وعندما كان الملك سيف في طريق عودته من إحدى المغامرات برفقة أخته عاقصة، وقع نظره على بستان فنزل فيه فوجد منية النفوس، فأعجب بجمالها وحبها وأختطفها من ذلك البستان بمساعدة أخته عاقصة وتزوجها وعاد بها على بلاده، وكان معها ثوب من الريش يمكنها من الطيران، فأخفاه عنها الملك سيف حتى لا تتركه وترجع إلى البلاد. وعندما رأت لباسها الريش مع طامة حنت لحياتها الأولى، فلبسته وعادت إلى بلادها، إلا أن

الملك سيف رحل وراءها حتى وجدها، ثم عاد بها إلى بلاده المدينة الحمراء، وأنجبت منها ولد (مصر) الذي بني مدينة مصر وسميت بأسمه.

جـ. ناهد:

هي بنت ملك الصين وإحدى الفتيات الأربعين اللواتي حررهن الملك سيف من أسر المارد سحاب، وطلب من أخته عاقصة إرجاع كل منهن إلى أهلها، أما ناهد فقد رفضت وطلبت الزواج من الملك سيف إلا أنه رفض طلبها فدعت عليه أن يسوقه الله إليها في بلادها عريانا مكشوف الرأس وأجابها أن تكون عميا مريضة ويكون لها شفاؤها على يديه وشأت الأقدار أن تتحقق دعوتهما، حيث أصاب ناهد مرضا أفقدها بصرها والملك سيف حصل على حيوان سرطاني في إحدى مغامراته يعيد للأعمى بصره، فلما وصل إلى بلاد الصين ذهب إلى الملك فوجد أبنته ناهد عميا مريضة فقدم لها الحيوان السرطاني فشفيت ثم تزوجها وعاد بها إلى بلاده.

هـ: الجيزة:

هي بنت الحكيم أخميم الطالب الذي قدم للملك سيف العون والمساعدة في الحصول على اللوح السحري والحسام السحري. وقد أخبر ابنته بأنها ستتزوج من الملك سيف، إلا أن الملك سيف لم يوافق على الزواج بها قبل زواجه من شامة، فأغضبها ذلك ودفعها الغضب إلى أن تسرق منه اللوح وتطلب من خادمه عيروض قتل الملك سيف، وعندما أخبرها عيروض أنه لا يقدر على ذلك، دعت خادمها (غادر) وقالت له: "تتحين انشغال الملك سيف بالطعام فتضربه بالحسام وتسقيه

كأس الحمام[1]. لكن والدها أنقذه من ذلك الخادم، ولما عاد الملك سيف إلى بلاده، حزنت الجيزة على فراق الملك سيف، فلحقت به أبدت ندمها ما فعلت فتزوجها الملك سيف تكريما لوالدها الذي مدله العون والمساعدة.

وأنجبت منها ولدها نصر الذي حصل على خرزة (كوش بن كنعان) التي استطاع الملك سيف بمساعدتها أن يجري نهر النيل.

د. شامة:

لا تخلو السيرة الشعبية من مرحلة هامة يمر بها البطل تتمثل بمرحلة الحب. هذه المرحلة لعبت المرأة فيها دورا بارزا في رسم سمات البطل وتحديد مسار طريقة. ولا حظنا أن اللواتي ظهرن في حياة الملك سيف، وأحببنه، أو لنقل أحببن الزواج منه، بل إنهن يمثلن الحب من طرف واحد. على أن هذا لا يعني أن الملك سيف لم يمر بتجربة حب، بل أنه على العكس أحب حبا كبيرا، ومن أجل هذا الحب ومن أجل الإصرار على الوصول به إلى النهاية السعيدة، عاني الكثير من المصاعب، وتغلب على الكثير من العقبات التي حاولت عرقلة إتمام زواجه من حبيبة شامة، والتي جعلت منه بطلا للسيرة وإنسانا له هدف في الحياة. كما أنها لم تكن تلك الحبيبة التي لا حول لها ولا قوة وتقبع في دارها تنتظر عودة حبيبها لابسة أجمل الثياب ومتجملة بالهدايا والعطور، بل كانت الحبيبة التي تقف إلى جانب حبيبها تساعده عندما يحتاج للمساعدة، حيث تعقبته في رحلة التي ذهب فيها لإحضار رأس سعدون الزنجي، وعندما دخل القلعة التي يسكنها سعدون الزنجي كاد أن يقع من السلالم التي صعد خلالها للقلعة، لولا أن شامة أنقذته ودلته على الطريق الصحيح.

---

(1) السيرة، م1، ص172.

وعلى الرغم من أنه، كما قد يبدو للقارئ لأول وهلة، أن تحركات شامة النشيطة ويقظتها الدؤوب، كان من أجل ضمان حصول الملك سيف على مهرها الذي اشترط عليه لإتمام الزواج منها، وهو الحصول على كتاب النيل، على الرغم من ذلك فإن هذا الطلب في حد ذاته يعد مطلبا وطنيا قوميا، وكان شامة في هذه الحالة، يمكن أن تكون رمزا لمصر التي تطلب مهرها الغالي من البطل المخلص لها من استعمار العدو الأجنبي لها وبهذا لم يكن يهم شامة أن يتزوج الملك سيف من بعد أن تم زواجه منها، وظلت وفيه له في نفسها ومخلصة، حيث قاومت رغبات الملك أبو تاج الذي اختطفها ورفضت خيانة زوجها الذي كان بعيد عنها في إحدى المهالك التي رمته أمه فيها، ولم يمنع أبو تاج من الفتك بشامة سوي تضرعها إلى الله واستنجادها به كي ينجيها من ذلك الظالم، فاستجاب الله لدعائها فكان كلما هم بها إصابة المرض.

ويذكر أن شامة كانت فارسة شجاعة، حيث قاتلت الملك سيف قبل أن تعرفه قتال الفرسان، ولم يعرف أنها امرأة إلا بعد أن أزاحت اللثام عن وجهها، لأن ملابسها ملابس الفرسان، وقتالها قتال الشجعان.

الفصل الرابع

الأبعاد الفنية للقص حول المرأة في سيرة سيف بن ذي يزن

الفصل الرابع

الأبعاد الفنية للقص حول المرأة في سيرة سيف بن ذي يزن

تمهيد

من خلال تناولنا لسير الشعبية العربية، لكل من سيرة الأمير ذات الهمة وسيرة عنترة وسيرة سيف، لاحظنا أن هذه السير ما هي إلا ترجمة وتعبير عن واقع يعيشه القاص، فالقارئ لسيرة عنترة يخرج منها بمعرفة للقبائل العربية وعاداتها وتقاليدها وحروبها في تلك الفترة التي سبقت الإسلام أو مهدت لظهوره، كما يجد مئات من القصائد المنسوبة لعنترة وغيره من الشعراء المعروفين في عصره كامرؤ القيس وغيره، كما أن السيرة تعكس أيضا الفوارق الطبقية في المجتمع آنذاك، حيث أ اللون والشكل يحددان مكانة الإنسان في المجتمع بغض النظر عن إمكاناته وقدراته.

بينما سيرة الأميرة ذات الهمة تعبر عن أحداث تاريخية هامة دارت بين العرب والروم، وصراعها الطويل الذي دار حول السيادة على منطقة البحر الأبيض. وتكشف عن التغيرات التي حدث في المجتمع العربي عند نهاية الحكم الأيوبي، وبداية الحكم العباسي الأول وحتى نهاية حكم المعتصم. كما أنها دعوة أيضا إلى تحرير المرأة من الوضع الذي كانت تعيشه في ذلك العصر.

أما سيرة سيف بن ذي يزن فإنها تختلف عن السير السابقة في كونها تحتوي على كم هائل من السحر والخرافة والخوارق من صراع المردة والجان وغيرها. ويرجع السبب في ذلك إلى الآتي:

1. أن هذه السيرة قد صيغت من جديد وتكاملت واستقرت في مصر، والدليل على ذلك وجود كثير من أسماء أشخاص وشوارع وأماكن مثل أسوان، أسيوط، منفلوط، حلوان، الجيزة، الروضة، بولاق وغيرها، كما أن لغتها بها الكثير من التعبيرات المصرية مثل عيني رفت، وجه قد الصينية، يانور عيني وغيرها.
2. أنها غالبا اكتملت في عصر المماليك، وفي هذا العصر شهدت مصر الكثير من الحروب مع الصلبين، واستنزفت هذه الحروب موارد وجهود الحكام" فصارت الموارد كلها موجه لخدمة هذا الغرض، فلم يكن ثم اهتمام بالزراعة أو الصناعة، كما أن سلسلة المجاعات والأوبئة الناجمة عن قلة المحاصيل الزراعية أخلت بالبناء الاجتماعي، بحيث لحق كثيرون بالفقراء والمعدمين الذي لم يملكوا ضمان قوت يومهم، على حين ازدادت بعض فئات التجار وموظفي الحكومة ثراء من جراء تحكمهم في النظام المالي والضريبي واحتكارهم لبعض السلع والبضائع لاسيما الغلال، نتيجة لهذا شاعت في المجتمع أخلاقيات الحزن والاستسلام وانتشرت بينهم روح العجز والاعتقاد في الخرافات والمعجزات"[1].

وعاد للناس إيمانهم بالسحر والخرافات وسيطر الجمود الفكري على العقل العربي من جديد واستبدت بالناس الأوهام والشعوذة حتى راجت فنون السحر"[2] فظهر ذلك في أنماط التأليف الأدبي لتلك العصور ولاسيما ألف ليلة وليلة، فقد انتشرت وأضيف إليها القصاص الكثير واستمرت سلسلة الإضافات لهذا الكتاب "ففي مصر كان طبيعيا أن تضاف إليه بعض قصص جديدة، وفي سوريا مثلما هو

(1) خطري عرابي أبو ليفه، سيرة سيف ذي يزن، مرجع سابق، 21.

(2) محمد رجب النجار، البطل في الملاحم الشعبية العربية، مرجع سابق، ص 101.

الحال في مصر كانت تضاف دائما قصص جديدة إلى القصص القديمة، وقد أهمل جزء من النص القديم، وتغير جزء آخر تغيرا كثيرا"[1].

فهناك "قصصا بعينها ألف كتابا مستقلا قد ضمت إلى ألف ليلة وليلة فتركت فيها آثار بعد ضمها كقصة السندباد وقصة شماس، وهناك قصص بعينها قد أقحمت في الكتاب إقحاماً بعد أن وجدلها كيان خصب خاص ولكنها لم تترك في الكتاب إلا آثارا ضئيلة، ولعلها قد خضعت لكثير من سبل الإطالة التي خضعت لها الليالي نفسها، ولكنها لا تزال قائمة في الكتاب بميزاتها الخاصة، ولولا إخضاع جوها العام وأسلوبها لجو الليالي وأسلوبها، ولولا بعض آثار ثانوية مكررة تركها الكتاب لأصبحت غريبة كل الغرابة عن الكتاب، وهذا النوع تمثله أقوى تمثيل قصة عمر بن النعمان"[2].

ثم اكتملت حوالي القرن الثاني عشر الميلادي، بعد أن استوعبت الكثير من القصص العربي القديم، وظهرت لها طبعات مختلفة "أولاها طبعة كلكتا الأولى وهي ناقصة حوالي المائتى ليلة طبعها الشيخ الشبرواني تحت رعاية كلية فورت وليام سنة 818م وثانيتها طبعة برسلو التي قام بها هابشت سنة 1824 على أساس نسخة من تونس، وهي كاملة أكملها بعده فلشر، وثالثتها طبعة كلكتا الثانية على أساس نسخة أحضرها إلى الهند من مصر الميجر ما كان وقام بها ملك ناتن سنة 1832 إلى 1842 وهي أيضاً كاملة، وهناك طبعات مصرية كثيرة أشهرها طبعة بولاق سنة 1835 معتمد على نسخة كلكتا الثانية.

(1) خطري عرابي أو ليفه، مرجع سابق، ص158.

(2) سهير القلماوي، ألف ليلة وليلة، مرجع سابق، ص87،88.

وأخيراً توجد طبعة الأب الصالحاني من الآباء اليسوعيين في بيروت سنة 1888 إلى 1890 التي اعتمد على نسخة بولاق والتي حذف منها لأسباب خلقية"[1].

وبناء على ما سبق، فإن ألف ليلة وليلة تسبق تاريخا سيرة الملك سيف بن ذي يزن التي اكتملت في القرن الرابع عشر الميلادي ولذلك فإن راوي السيرة قد أخذ الكثير من حكاياتها وضمنها لسيرته، ويظهر ذلك من خلال النماذج الآتية:

1. تتفق قصة منية النفوس في السيرة وصاحباتها اللاتي كن يأتين إلى البستان المطلسم بثياب الريش مع قصة (حسن البصري) في ألف ليلة وليلة. ففي هذه القصة كانت البنات يأتين في هيئة طيور "فعرف حسن أنها قد تقصد تلك البحيرة لتشرب من مائها، فاستتر منها خوفا من أن تنظره.

ثم إنها نزلت على شجرة عظيمة مليحة ودارت حولها، فنظر حسن فرأي بينهم طيرا عظيما مليحا، وهو أحسن ما فيها، والبقية محيطة به، وهم في خدمته فتعجب حسن من ذلك، وصار ذلك الطير ينقر التسعة بمنقاره، ويتعاظم عليها وهي تهرب منه وحسن واقف يتفرج عليها من بعيد، ثم إنها جلست على السرير، وشق كل طير منها جلده بمخالبه وخرج منها، فإذا هو ثوب من ريش وقد خرجت من ثياب عشرة بنات أبكار يفضحن بحسنهن بهجة الأقمار.

فلما تعرين من ثيابهن نزلن كلهن في البحيرة واغتسلن"[2] فلما لبست البنات ثيابهن وطرن إلى بلادهن، يئس حسن منهن وبقي بحسرته، وتغير لونه من شد الحب، فشكا ذلك لأخته الجنية فلما وصف لها المكان وما رأي

(1) المرجع السابق.

(2) الف ليلة وليلة، م4، ص 53.

"أصفر وجهها وتغير حالها، فقال لها يا أختي قد أصفر وجهك، وتغيرت حالتك فقالت له: يا أخي إن هذه الصبية بنت ملك من ملوك الجان العظام الشأن قد ملك أبوها إنسا وجان وسحره وكهانا وأرهاطا وأعوانا وأقاليم وبلدانا وجزائر كثيرة وأموالا عظاما... فلا يقدر عليه أحد من كثرة عساكره واتساع مملكته وكثرة أمواله".

لكنها قدمت له النصيحة – إذا أراد أن يتزوج الأميرة بأن يختفي في مكان بحيث يراهن ولا يرونه، فإذا خلعت ثوبها الريش فليسرع ويأخذ وبذلك يستطيع أن يمتلكها.

2. حكاية طاقية الخفاء التي وردت في قصة حسن البصري، تتفق مع حكاية القلنسوة التي وردت سيرة الملك سيف. ففي ألف ليلة وليلة يتشاجر الأخوان ويختصمان بسبب الطاقية ويتضاربان عليها حتى سال الدم بنيهما، ثم يرتضيا بتحكيم حسن البصري بينهما فيقول لهما "أنا آخذ جحر وأرميه فمن سبق منكم إليه وأخذه قبل رفيقه يأخذ القضيب، ومن تأخر ولم يلحقه يأخذ الطاقية فقالا: قبلنا هذا الكلام ورضينا به"[(1)] فأخذ حسن الحجر ورماه فتسارع الأخوان لحو الحجر في الوقت الذي لبس فيه حسن الطاقية وأختفي عن أعينهم.

أما في سيرة الملك سيف فيحكي أن: أولاد أفلاطون تخاصموا فيما بينهم بسبب قلنسوة تخفي من يرتديها عن أعين الجن والأنس، فحكم بينهم الملك سيف قائلا " هاتوا لي قوسا ونشابا حتى أفعل معكم أمرا وأفصل بينكم بفصل الخطاب، فأتوه بنبل وقوس فأوتره وقال: شبكوا أذيالكم في

(1) المرجع السابق.

مناطقكم، فأنه أضرب هذا النبل في الهواء وأنتم تتبعونه بالجريان، فكل من أتاني بالنبل قبل رفيقه كانت له القلنسوة، فقالوا رضينا بذلك)[1] فلما ضرب النبل وتسابق عليها الولاد لبس الملك سيف القلنسوة، أو طاقيه الخفاء واختفى عن أعينهم.

3. حكاية الملك سيف من ناهد تتفق مع حكاية قمر الزمان وبدور في ألف ليلة وليلة. فقمر الزمان عندما خرج للبحث عن حبيبته بدور أن فقدها لحق بها لمدينتها، فلما وصل سمع أن حببته أصيبت بمرض ولم يستطع أحد شفاءها، فتنكر قمر الزمان في زي منجم وحاسب ودخل على والدها- الملك الغيور- الذي قال له (بالله يا ولدي إن لم تكن منجما فلا تخاطر بنفسك ولا تدخل على شرطي، فأني شرطت على نفسي أن كل من دخل على أبنتي ولم يبرئها مما أصابها ضربت عنقه، وكل من أبرأها زوجته بها، والله إن لم تبرئها لأضربن عنقك)[2] فلما رأته شفيت مما ألم بها وتزوجها.

4. حكاية الملك سيف مع شامة عندما تنكرت في زي فارس، وقاتلته حتى تختبر قوته، هذه الحكاية تتفق مع حكاية شركان مع إبريزة في قصة عمر بن النعمان في الليالي، فبعد أن أتفقت الملكة إبريزة مع شركان أن يعود إلى بلاده، لحقت به متنكرة في زي فارس وأخذت تحاربه ويحاربها، فلما كاد شركان أن يقتلها صاحت قائلة يا شركان ما هكذا تكون الفرسان، فلما سمع شركان من الفارس ذلك الكلام عرفها، فرمى السيف من يديه وقال

(1) السير، م1، ص103.

(2) الف ليلة وليلة، م2، ص69.

لها حملك على هذه الفعال فقالت له: أردت أن اختبرك في الميدان وانظر ثباتك في الحرب والطعان)[1].

5. تتشابه رحلات السندباد السبع من حيث المضمون مع مكائد قمرية السبع التي نفذتها في أبنها الملك سيف، فالسندباد البحرى- في ألف ليلة وليلة- سافر سبع مرات وفي كل مرة يحصل على خير كثير. كذلك مكائد قمرية عادت بالخير على الملك سيف.

وهكذا نلاحظ أن راوي السيرة قد "أخذ الكثير من قصص ألف ليلة وليلة سواء من روايتها الشفاهية أو المصدر المكتوب، بالإضافة إلى أخذه الكثير من القصص الشائعة في كتب التراث"[2].

وهذا يؤكد ما أشارت إليه الدكتورة نبيلة إبراهيم "أن الصلة وثيقة بين ما كان يروي من حكايات، وما يروى اليوم، وأن السبب في هذا هو اشتراك التراث الشعبي في عناصر متوارثة منذ القدم، وترى أنه لو تم تدوين هذا القصص الذي يقع متفرقاً بين ثنايا الكتب، ثم تمت مقارنته بتراثنا الشعبي، لوجدنا عندئذ أن تراثنا الذي يعيش اليوم بيننا ما هو إلا امتداد لتراثنا الشعبي العربي القديم[3]".

(1) الف ليلة وليلة، م1، ص219.

(2) خطري عرابي أبو ليفه، مرجع سابق، ص169.

(3) نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص 146.

المبحث الأول
العناصر المميزة للسيرة

إن أهم خصائص أي عمل أدبي روائي سواء كان عملاً أدبياً طويلاً أو قصيراً، أنه يرتكز على فكرة محددة تخدمها عناصر فنية لهذا العمل.

ولكل عمل أدبي عناصر فنية يسعى القاص أو الكاتب من خلالها للإيضاح الفكرة المراد معالجتها، والتي ما تكون هذه الفكرة في الأدب الشعبي لهدف جمعي يهم الشعب كله، هذا ما يميز الأدب الشعبي عن الأدب الذاتي. وقد تميزت سيرة سيف بن ذي يزن بعناصر فنية سعى القاص من خلالها إلى معالجة قضية شعبه والتي هي القضاء على أعداء الإسلام ونشرة من ناحية، والحفاظ على نهر النيل من ناحية ثانية. ومن هذه العناصر:

أولاً: الحبكة ودور المرأة فيها.

ثانياً: الدور الفني لخلق كتاب النيل.

ثالثاً: مدى الترابط بين أوصال السيرة.

أولا: الحبكة ودور المرأة فيها:

أختلف الدور الذي تقوم به المرأة في السير الشعبية "من ناحية الكم والكيف، فمن ناحية الكم تزدحم السير الشعبية بالعديد من نماذج البطولات النسائية تفوق الحصر، ومن ناحية الكيف فإن هذه النماذج تتأرجح بين أدنى درجات البطولة وأعلاها"[1].

(1) نبيلة إبراهيم، البطولات العربية التاريخية، مرجع سابق، ص279.

وتصنف سيرة سيف من السير الشعبية التي كثر فيها العنصر النسائي وتنوع دوره، وبالتالي تنوع دوره الفني في حبكة القص وهذا ما سنعرفه من خلال الآتي:

أ. دور المرأة في حبكة السيرة.

ب. التفنن في الحبل.

أ. **دور المرأة في حبكة المرأة:**

غلب على معظم السير الشعبية أن الشخص المناوئ للبطل يكون عادة بعيداً لا تربطه أي علاقة بالبطل، وفي سيرة سيف بن ذي يزن كان الشخص المناوئ للبطل هو أقرب المقربين، بل ورمز الحنان والتضحية والحب والدته (قمرية) التي عادة ما تكون أحرص الناس على ولدها وتتحمل كافة المصاعب من أجل راحته وعلو شأنه، في حين أن القاص جعل من أخته عاقصة نموذجا للحب الأخوي الشديد الذي كثيرا ما جنبته الوقوع في المهالك التي رمته أمه فيها، وهذا التناقض أضفى نوعا من التشويق والقوة في حبكة القص، فبالقدر الذي أظهر القاص مدى أنانية والدته قمرية وحرصها الدؤوب على ايقاع ولدها في المهالك أظهر مدى حرص أخته عاقصة عليه وتضحيتها من أجل الحفاظ على حياته مما دفعها لقتل والدته حرصا على حياته.

والسؤال الآن: إلى أي حد أثر هذا الصراع بين الأم والبطل من ناحية، والبطل والأخت من ناحية ثانية أخرى في حبكة السيرة وكيف اكتملت الحبكة بعد أن أختفي هذا الصراع بين المرأتين بقتل الأخت للأم؟

"ما من دور يسند للمرأة إلا قامت به خير قيام، فعندما أسند لها دور الشريرة تفوقت فيه على أشرار السيرة من الرجال، حيث أبدعت في إخفاء نواياها واستخدمت أساليبها في الوصول إلى ما تريد"(1).

وقد مثلت قمرية (أم البطل) هذا الدور بإتقان، وحيث اختارها الملك سيف أرعد ليرسلها هدية في الظاهر، وفي حقيقة الأمر فإن الملك سيف اتفق معها كي تقتل الملك ذو يزن لتطاوله على بناء المدينة الحمراء في بلاد الحبشة ولم يكن اختياره اعتباطاً، بل لأنها تمتلك القدرة على الوصول الى ما تريده، بالإضافة إلى ما تتمتع به حسن وجمال استغلته لأغراض شريرة، ويظهر خبث نيتها من جوابها على الملك سيف أرعد عندما طلب منها أن تدس السم للملك ذو يزن، حيث أجابته قائلة "أنا أفعل مع هذا الملك جميع ما تريد من الأمر وأفعل معه أقبح من هذه الأفعال"(2)

وقد استطاعت بالفعل عمل الكثير، وتظهر قدرتها في المراوغة والإقناع عندما واجهها الملك ذو يزن بأنها أرسلت بقتله، فلم تهتز أو تخاف، بل على العكس ابتسمت بدهاء ومكر، وأظهرت حبها الشديد له، وبدلالها وحلاوة لسانها استطاعت إقناعه بأنها لم توافق على القيام بهذه المهمة إلا من فرط حبها له وحرصها على إنقاذ حياته، ولكي يثق بها أعطته السم.

وبالفعل أحبها وقربها منه وفضلها على جميع جواريه خاصة عندما علم أنها حامل منه، حيث جعل الجميع تحت تصرفها، إلا أن المكانة التي وصلت إليها عند الملك والعز أن تمكنت بمكرها وحيلتها أن تجعله يعهد إليها بحكم المدينة الحمراء، حيث أوصى حكماءه ووزراءه بأن تكون هي الملكة عليهم حتى تلد، فإن كان ما تلده ذكراً كان هو الملك وإن كان أنثى فإن من تتزوج به يصبح ملكاً على

(1) طلال حرب، بنية السير الشعبية، مرجع سابق، ص 248.

(2) السيرة، م1،ص19.

البلاد. وعندما وضعت قمرية مولودها وكان ولداً، بدأت تضمر لـه الـشر خاصـة بعدما شاهدت مدى الفرح الذي عم أهل المملكة بملكهم القادم الأمر الذي جعلها تتخلص منه بعد أن بلغ الأربعين يوماً قائلة في نفسها "لأن قعد هذا الغلام وعـاش أخذ مني الملك وما تحت يدي من المال والأبطال"[1]

ولولا تدخل جاريتها لقتله بالسيف، وأشارت عليها أن "ترميه في الـبراري، فإن عاش عاش لأمله، وإن مات مات لأجله"[2].

وظنت قمرية أنها بتصرفها هذا قـد خلـصت ممـن ينازعهـا في الملـك، إلا أن القدر يشاء أن يلتقي الملك بوالدته بعد فترة من الـزمن عنـدما جاءهـا غازيـاً علـى رأس جيش كبير، لأنها رفضت دفع الجزية للملك سيف أرعد، فلما أدركـت أنهـا ستهزم بدأت تستخدم أساليبها الماكرة، حيث خرجت للملك سيف لـيلاً محاولـة إغوائه بجسدها، لكنها عندما وجدت العقد الذي تركته معه عندما رمته في البراري والشامة الموجودة على خده الأيمن عرفت أنه ولدها. عنـدها غـيرت مـن أسـلوبها وبدلاً من أن تستخدم أسلوب الإغراء استخدمت أسلوب الأمومة، حيـث أبـدت حبها له ولهفتها وفرحتها الشديدة بعورته كي تجعله يأمن لها فقالت له "أنت ولـدى وفلذة كبدي، وأنا معي خلط من جنون تارة أكون عاقلة، وتارة يذهب مـني عقلـي وعندما رميتك في البراري كنت فاقدة لعقلي"[3].

وبهذا تمكنت من إقناعه خاصة وأنها أحضرت شهوداً يؤكدون له أنهـا أمـه، ومما يؤكد خبثها وسوء نيتهـا أنهـا في الوقـت الـذي تبـدى لـه حنـان الأم ولهفتهـا

(1) المرجع السابق.

(2) المرجع السابق.

(3) المرجع سابق.

وفرحتها بمقدم ولدها، أخذت تفكر في طريقة تتخلص بها منه، فاهتدت إلى فكرة الكنز، حيث أوحت لولدها بوجود كنز لأبيه في مكان بعيد خارج المدينة، بأسلوبها الماكر والمقنع صدقها الملك سيف وخرج معها، وعندما أخلد للنوم إنهالت عليه طعنا بالسيف حتى أيقنت أنه فارق الحياة.

وعندئذ تركته مخضباً بدمائه وعادت للمدينة الحمراء، إلا أن القدر شاء للملك سيف أن يعيش ويعود إلى بلاده، وكانت كل مرة تخترع شيئا جديدا تقنع به الملك سيف مما يدل على قوتها وشدة ذكائها، فمرة تعطيه السيف ليقتلها عقابا لها وليرتاح منها، ومرة تظهر الندم والحسرة، وحتى عندما أمر الملك سيف بحبسها بعد أن فرقت بينه وبين زوجته شامه أخذت تستدير عطف الأمومة من قلبه، فادعت أنها ستموت وترغب في رؤية ولدها قبل موتها، وقد فعلت ذلك لمعرفتها رقة قلب ولدها وأنه سيعفو عنها، وهو ما حصل بالفعل.

وفي كل مرة تخترع أسلوباً جديدا للتخلص من الملك سيف، وأخته عاقصة تنقذه في كل مرة تحاول فيه قمرية التخلص منه، كان آخرها أنها ذهبت إلى ملك الصين تخبره أن الملك سيف قتل أبنته ناهدا، ورغم أن الذي قتلها طامة وذلك لتوغر صدره ضد الملك سيف، بل أنها قبلت الزواج به والدخول في دينه (عبادة النار) كل ذلك لكي يقتل ولدها (الملك سيف).

فلما عرفت أخته عاقصة بذلك أيقنت مدى خطورتها، وأنها لن تتورع عن إيذاء الملك سيف طالما وقد تخلت عن دينها بهذه السهولة، فقررت التخلص منها حماية لأخيها، فأخذتها من بلاد الصين وطارت بها إلى المدينة الحراء، وانتظرت حتى اجتمع الملك سيف مع وزراءه في المجلس فرفعتها عاليا في السماء ورمتها أمام عين الجميع، فلم تصل إلى الأرض إلا جثة هامدة، وقد عملت هذا دون علم الملك سيف، ودون رغبته مما أثار غضبه وطردها، فأجابته "يا أخي لن تراني فبعد موت

هذه اللعينة، ما بقيت أخاف عليك، فهي كانت تشتتك من مكان وأنا أتعب من أجلك طول الزمان"[1].

وبذلك نجد أن قمرية كان لها دور رئيسي في تحريك القصة وتنوع أحداث السيرة، حيث استحوذت على جزء كبير من السيرة، ولم ينتهي دورها إلا عندما أشتد عود البطل وقويت شكيمته وذاع صيته وشجاعته، وأصبح لازماً عليه التفرغ للمهمة الموكلة إليه والمتمثلة في نشر الإسلام وإحضار كتاب النيل، ومهمته هذه لم يبدأ بها إلا بعد موت والدته.

ب. التفنين في الحيل:

لاحظنا أن السيرة حوت على كثير من الحيل سواء ضد البطل أو معه، وكلها كانت تمتع السامع وتشوقه لسماع المزيد، مما جعل القاص يجتهد في ابتداع الحيل والتفنين بها فمثلا عندما ذهب سيف لإحضار كتاب النيل من مدينة قيمر، وعلم ملكها قمرون بذلك أحضر السحرة ليكشفوا له عن مكان الملك سيف، فعندما ضربوا الرمل ليعرفوا مكانه، وجدوا أن وحش البرية قد أخذه، وطار به، وأن هذا الوحش له أربعة أرجل مثل الغزال، فتعجب الملك قمرون وغضب، فلا يوجد هناك وحش يطير وله أرجل مثل الغزال. وكانت الحكيمة عاقلة هي من فعل ذلك حيث أخذت أجنحة نسر وربطتهما على ظهر غزال، ثم ربطته على ظهر الملك سيف وكانت تهدف من وراء ذلك تضليل السحرة لكي لا يكتشفوا شخصية الملك سيف حتى يتمكن من أداء مهمته وهو إحضار حلوان شامة (كتاب النيل).

كذلك عندما أمرت قمرية – والدة الملك سيف- عيروض أن يرمي الملك سيف في بلاد الطودان وهي البلد التي لها ثأر عن الملك سيف، لأنه أخذ القلنسوة

(1) المرجع السابق.

السحرية منها عنوة، فرمي عيروض الملك سيف من علو مرتفع، وقبل أن يصل إلى بلاد أفلاطون، أخذت عاقصة الملك وطارت به بعيدا، وكان قد فقد سمعه وبصره وحركته، فغضبت عاقصة وتوعدت بقتل قمرية أن حصل مكروه للملك سيف، لكن الخضر عليه السلام أعطاها علاجا أعاد إليه حركته وسمعه وبصره، فحمدت الله على استرداد أخيها عافيته وقالت "الحمد لله على سلامتك، فإن الله بعد كسر قلبي جبرني، وإن شاء الله سينصرني على أمك هذه الملعونة"[1] لكن قمرية اهتدت إلى حيله تكسب بها ود ولدها، حيث أحضرت صانع ماهر ووعدته أن تجزل له في العطاء إن صنع لها مثل لوح عيروض. وبالفعل صنع لها مثل ذلك اللوح، وبدلا من أن تعطيه ما وعدته قتلته، ثم أخذت اللوح المزيف وذهبت إلى ولدها وأعطته اللوح، بل إنها أعلنت إسلامها كل ذلك من أجل أن يعفو عنها الملك سيف، ولكي يمنع عنها أخته عاقصة، وهو ما حصل بالفعل.

وقد حفلت السيرة بالعديد من الحيل التي أكسبتها نوعا من السرد القصص الرائع الذي أضاف للسيرة شيئاً من التشويق، يجعل القارئ أو المستمع يستمع بالاسترسال في قراءتها أو سماعها لسبر أغوارها والتحليق في أجواءها التي نسجها القاص في خيال متناسق لا يخلو من الترابط الوثيق، الذي أظهر السيرة على شكل حدث لا تنفصم أجزائه وإن تعددت شخوصه وأحداثه.

ثانيا: الدور الفني لخلق كتاب النيل:

تعكس سيرة سيف بن ذي يزن موقف الأمة العربية الموحدة ضد الغزو الخارجي، ودفاعها عن الدين وحريته، وحفاظها على حرية الوطن واستقلاله.

كما تعكس حب مصر لنهر النيل وتعلقها الشديد به، وخوفها عليه من أي مطمع أو تهديد. لذلك فإن خلق كتاب النيل كان له دور بارز في السيرة من جانبين:-

(1) السيرة، م1، ص282.

أ. ربط التاريخ بالفانتازيا.

ب. التعبير عن العلاقة الغامضة بين سكان النيل ونهر النيل.

أ. ربط التاريخ بالفانتازيا:-

حفلت سيرة سيف بالموروث الخاص بالنيل والمدن والقرى والآثار المصرية، ما لم تحفل به سيرة أخرى، فإذا رجعنا للتاريخ فإننا نجد أن "قصة سيف تكاد تشبه في سيرها ومضمونها قصة شمريهرش أشهر ملوك حمير الذي خاض حرباً كبيرة ضد الأحباش على ماء النيل واستخلص منهم مصر، وأنتصر عليهم مثبتا الملك العربي الحميري، وبذلك كانت السيرة مجالا خصبا لاستيعاب الموروث الشائع عن نهر النيل استنادا إلى ذلك الموروث التاريخي اليمني القديم عن نهر النيل"[1].

كما أن السيرة أيضاً تحكي عن موقف العرب من أعدائهم خاصة الأحباش اللذين هددوا مصر بقطع ماء النيل هذا التهديد عكست السيرة في ضوئه خوف مصر على نيلها، وجعلت من تدفقه إلى وادي النيل تدفقا علويا قدريا لا يخضع لإرادة بشر، كما أن القاص عندما أختار بطله سيف بن ذي يزن، كان لأن "قربه من النماذج البطولية المرتبطة ببداية الإسلام، يجعله يستشعر بجلالتها، في حين ينتفي عنه هذا الحرج بالنسبة للنماذج البطولية القديمة، فضلا عن أن الماضي البعيد، لأنه ولي ولن يعود يظل سحره في ذاكرة الإنسان على الدوام، وهنا يمكننا أن نضيف عنصرا آخر توطدت به العلاقة بين العرب المسلم ونموذجه القديم، وهو المشاركة الوجدانية الكفيلة بأن تحول ذلك الشعاع الناتج من إدراك التماثل إلى إضاءة مبهرة، فما فعله البطل بالأمس يسير على طريق الحق الذي ينشده اليوم، وإذا ما شعر بظلم أو تهديد في أي شكل من الأشكال أمكن الامتداد بأفعال البطل القديم ليحرر نفسه على الأقل من الإحساس القائم بهذا التهديد، وهكذا تقوي عملية المشاركة الوجدانية التي تقع بين فكر الماضي والحاضر"[2].

(1) محمد رجب النجار، البطل في الملاحم العربية، مرجع سابق، ص102.

(2) خطري عرابي أبو ليفة، مرجع سابق.

لذلك فإن سيف بن ذي يزن كان من وجه نظر الشعب الاختيار الأمثل "لأنه لم يكن إقطاعيا كالمماليك، فقد وصف من قبل كسري – عندما ترفع عن أخذ المال، ونشره في التراب ضاربا به عرض الحائط قائلا: ما جبال بلادي إلا ذهب وفضه – بأنه رجل له شأن عظيم"[1]، فلم يطمع في جاه ولا مال، وإنما كان هدفه هو تحرير بلاده من الأحباش، فهذا الرجل الوطني الحر هو البطل القومي الذي يحلم به الشعب لينقذهم من حكم المماليك، بل وليتصدى للأحباش ويقضي عليهم.

وعلى الرغم من أن السيرة قد استندت على شخصية البطل التاريخي، وتناولت بعض الأحداث التاريخية التي وقعت بين مصر والحبشة في فترة حكم الملك سيف أرعد، إلا أنها قد ربطت التاريخ بالفانتازيا من خلال ربطها بين شخصيتين الفارق الزمني بينهما بعيد – سيف بن ذي يزن، وسيف أرعد- ومن خلال الجو الأسطوري الذي تزخر به من أولها إلى آخرها لدرجة أننا لو أسقطنا من السيرة الفقرات التي تناول هذه الخوارق ما بقي منها إلا النصف، وربما يرجع السبب في ذلك أن القاص أراد أن تكون هذه السيرة "تعويضا نفسيا للشعب عما ألم به من الأحباش ومن تهديداتهم، وفي نفس الوقت انتقام لما حدث في أثناء الحروب الصليبية بنشر الإسلام في كل مكان؛ لأن هذا يشتمل ضمنيا على الانتقام مما أحدثه الصليبيون والأحباش"[2].

ب. التعبير عن العلاقة الغامضة بين سكان بلاد النيل ونهر النيل:

كانت تهديدات الحبشة بتغيير مجرى نهر النيل على مصر كثيرة، قبل فترة سيف أرعد وبعدها ففي "11 رجب سنة 847 هـ قدم قاصد صاحب الحبشة وصحبته هدية للسلطان، وكان في مكاتبته تهديد لأهل مصر بسبب البترك وطائفة النصارى، وفي سنة 518هـ - وهذا قبل فترة الملك سيف أرعد – سلسل النيل في الزيادة، وبلغت الزيادة في تلك السنة ثلاثة عشر ذراعاً إلا ثلاثة أصابع فشرقت البلاد، ووقع الغلاء بمصر وعدمت

(1) المرجع السابق.

(2) المرجع السابق.

الأقوات، ولما سلسل النيل في الزيادة نسبوا ذلك من فعل الحبشة أنهم غيروا مجرى النيل[1].

وقد كانت تهديدات الحبشة بتغيير مجرى النيل كثيرة لدرجة أن الحاكم بأمر الله أمر بطرك النصارى بأن يتوجه إلى الحبشة، فلما وصل البطرك إلى بلاد الحبشة، ودخل على ملكهم أكرمه وسأله عن سبب قدومه عليه فعرفه أن النيل قد نقص، وقد أضر ذلك بسكان مصر، فأمر ملك الحبشة بفتح سد عندهم الذي يجري منه إلى مصر ماء النيل، بسبب قدوم البطرك عليه فزاد النيل في تلك السنة زيادة قوية حتى أوفى"[2].

لذلك فإن هذه التهديدات قد أثرت نفسياً في الشعب المصري، فإذا كان الأحباش قد هددوا أكثر من مرة بتحويل مجرى النيل عن مصر، حتى حل بها الوباء والدمار" فإن الراوي الشعبي الذي عاش في مصر وارتوى من نيلها لم يكن ليرضى أن تحل بها هذه الكارثة فراح يحلم – في السيرة–ضالته في أسطورة (كتاب النيل – يستطيع أن يجري هذا النهر بإذن الله تعالى، استطاع سيف بن ذي يزن في السيرة أن يحصل على هذا الكتاب، بعد أن خاض حروباً وأهوالاً، ورصده في مصر بأن وضع عليه طلاسم وكتابات فلا يستطيع أحد أن يخرجه.

وطالما أن هذا الكتاب موجود في مصر، فمياه النيل جارية ـ لا يستطيع أحد أن يهدد بقطعها، وهكذا استراح الشعب نفسياً لهذه الأسطورة، إذ أراحته من هم التفكير في تهديدات الأحباش بقطع مياه النيل"[3].

كا أن ابتداع الراوي الشعبي لهذه الأسطورة لحفظ مياه النيل يدل على مدى معرفة الشعب ووعيهم الشديد بأهمية نهر النيل، هذا الشعب البسيط بثقافته المحدودة استطاع إدراك مدى أهمية هذا النهر لمصر، ومدى خطورة تهديد الحبشة له.

(1) المرجع السابق.

(2) المرجع السابق.

(3) المرجع السابق.

ثالثا: مدى الترابط بين أوصال السيرة:

عرفنا أن كتاب النيل، كان هو هدف البطل الأساسي في السيرة، ولمعرفة مدى دور كتاب النيل أو ابتداع موضوع كتاب النيل في ترابط السيرة، فإننا سنتعرض لذلك من خلال شخصيات السيرة، وموضوعاتها، ومقوماتها الفنية الأخرى.

فإذا تحدثنا عن شخصيات السيرة، فنجد أنها تنقسم إلى شخوص تدفع الحياة إلى النمو والتطور لصالح الإنسان والحياة، وشخوص معارضة لتطور الحياة، ونماذج الشخوص الأولى والثانية بعضها يعيش في عالم الإنس، وبعضها الآخر يعيش في العالم الخفي، وأشكال العالم الخفي قد تكون شخوصاً تشبه شخوص العالم المرئي، وقد تكون مجرد أشياء سحرية ذات قدرة خارقة للعادة. فإلى النوع الأول ينتمي الملك ذو يزن ويثرب والملك سيف بن ذي يزن، وهؤلاء شخوص تدفع الحياة إلى التطور وبدونها تظل الحياة متوافقة، والشيخ جياد وأخميم الطالب وبرنوخ الساحر، والشيخ أبو نور شخوص قد اتضحت لها الرؤيا، فأصبحت تبصر الخير والشر وتميز بينهما، ولكنها لا تستطيع أن تدفع الحياة للتطور، لأنها غير مسئولة عن ذلك، ومع ذلك فهي راصدة لها تظهر في الوقت المناسب لتؤدي مهمتها، وهي كشف النقاب عن مجاهل الحياة أمام البطل، ثم هناك أشكال العالم الخفي التي لا تقدم نفسها للبطل تلقائياً وإنما يتحتم على البطل أن يسعى إليها ويبحث عنها حتى يجدها. ومثل ذلك كتاب النيل، والقلنسوة السحرية، واللوح المطلسم، وسيف آصف بن برخيا، والخرزة ذات الأوجه السبعة، والحصان السحري.

أما الشخوص المعارضة لتطور الحياة فهي قمرية، سيف أرعد وسقر وسقرديون وسقر ديس والكهين الشعشان، والملك العملاق، وكل هؤلاء يعيشون في عالم الإنس، أما التنين والبرق اللامع والرهق الأسود فهي أشكال تعاونها في العالم الغير مرئي.

وهناك شخوص لا تنتمي إلى مجموعة الأولى، كما أنها لا تنتمي إلى المجموعة الثانية فهي ليست شريرة ولكنها في الوقت نفسه لا تمثل القوى الدافعة للحياة، وسبب ذلك

أنها تنظر إلى الحياة من جانب واحد، كما أنها تحن إلى الشيء القديم الجامد الذي يجذبها إليه. ومن هذه الشخوص طامة، ومنية النفوس، وناهد، والجيزة[1].

هذا التوزيع في شخصيات السير ليس الهدف منه إمتاع السامع، وإنما الهدف منه خدمة هدف السيرة والمتمثل في الحصول على كتاب النيل من أجل حفظ نيل مصر من أي تهديد يمكن أن يمنع جريانه في مصر ومحاربة أعداء الإسلام خاصة الأحباش التي دائماً تهديد بقطع ماء النيل.

وهذا الهدف جمعي يحلم به الشعب في تلك الحقبة التاريخية. لذلك فإن السيرة قد حاولت إبراز هذا الهدف وتأكيده بين الحين والأخر رغم طولها.

فإذا انتقلنا إلى موضوعات السيرة، فإننا نجد أن تتوزع بين عالم الأنس تاره، والعالم الخفي تارة أخرى، فالملك سيف بن ذي يزن اصطدم بالحياة قبل أن يعيش وقبل أن يعرف هدفه، حيث عاش في معركة مع القوى الشريرة في بداية حياته والتي تتمثل في أمه قمرية، لكن القوى الخيرة ظهرت لمساعدته، والتي تتمثل في الغزالة المسحورة وعاقصة، واستمرت حياة الملك سيف بين صراع القوتين دون أن يعرف هدفه، حتى التقى الشيخ جياد فأخبره بحقيقة نسبه وبمهام أموره عندها وضح هدف الملك سيف، ولم يعد زواجه من شامة هدفه الوحيد، فأصبح ينتقل تارة في عالم الأنس، وتارة في العالم الخفي من أجل تحقيق هدفه الذي هو إجراء نهر النيل وتعمير البلاد مصر والشام، وهكذا تغيرت حياة البطل زمانيا و مكانياً، أما الزمان فهو الحياة المعاصرة التي أصبح الملك سيف يعيشها، وأما المكان فهو المدينة الحمراء والتي منها ينطلق لتحقيق مهامه الموكلة إليه، فإذا انتقلنا إلى أسلوب السيرة، ومدى نجاح القاص في تحقيق وحدتها القصصية، فإننا نلاحظ أن السيرة رغم طولها، ورغم استغراقها أحياناً في مغامرات وحكايات قد تبعد المستمع عن الهدف الأساسي لها، إلا أنها تحرص كل الحرص على التمركز حول الهدف الأصلي، وهي تتبع في ذلك أسلوب البسط واللم، فهي تبسط في وصف الأماكن التي يذهب إليها البطل أثناء

(1) انظر نبيلة إبراهيم، البطولات العربية والذاكرة التاريخية، مرجع سابق.

مغامراته في العالمين المرئي والغير مرئي مستخدمة في ذلك كل وسائل التشويش، ولكنها تعود بعد ذلك لتجمع البطل بأهله في المدينة الحمراء، فمثلاً عندما ذهب الملك سيف لإحضار منية النفوس من جزائر واق والق، ففي هذه الرحلة واجه أهوالاً كثيرة، واكتشف الكثير من العجائب والغرائب، كالفواكه التي تتحدث كالناس والنباتات التي تنضج في صورة الآدميين والثمار التي تعود كما كانت بعد أن يشبع آكلها إلى أن ينتهي بالجزيرة التي بها منية النفوس، وهناك تحدث حرب كبيرة بين الملك سيف ووالد منية النفوس قاسم العبوس، وبعد حرب طويلة ينتصر الملك سيف ويدخل أهل الجزيرة في الإسلام ثم يعود الملك سيف مع زوجته منية النفوس وولده إلى بلاده المدينة الحمراء[1].

والسيرة بهذه الطريقة تحقق هدفين:

الأول: تمتع السامع وتشوقه بحكايات المغامرات خاصة أنها تحمل السامع في جو خيالي ملئ بعلوم الأقلام والحكمة والسحر، فيشعر السامع في هذا الجو بأن باستطاعته فعل أي شيء يريده لم يتحقق له في أرض الواقع.

الثاني: يبعد السامع عن جو القتال الذي قد يسبب له الملل، وفي نفس الوقت فإن السير تسترسل في القصة الأصلية حتى تصل إلى نهايتها.

وهكذا نجد أن القاص استطاع أن يربط بين أوصال السيرة، وأنه كان على علم بمهمته، وانه كان يعلم ما يريده، حيث أمتع السماع بكافة وسائل التشويق حتى لا يجلب له الملك، وفي نفس الوقت استطاع من خلال السيرة تحقيق هدفه المتمثل في الحصول على كتاب النيل، وتعمير البلاد ونشر الإسلام في عالمي الأنس والجن.

(1) أنظر السيرة، م2.

الخاتمة

تختلف نماذج المرأة اختلاف كليا في كل من ألف ليلة وليلة والسير الشعبية العربية، فعلى الرغم من أن موضوع العشق يمثل جانبا رومانسيا في كل منهما إلا أن الدوار الرئيسية الأخرى للمرأة تختلف اختلافا كليا في كل من الإبداعين القصصين.

ففي ألف ليلة وليلة تقوم المرأة بتمثيل الأدوار الواقعة لها كما تتحقق في الحياة، فهي سيد المكر والحيل، وهي الخائنة أحياناً والوفية أحياناً أخرى، وهي لعبة الرجل الأولى في حياته، وهي التي قد تجمع بين متناقضات مختلفة مثل الحب والكره والوفاء والخيانة، ولكن على كل حالة فأن ألف ليلة وليلة لم تغفل عن تمثيل الأدوار الواقعية للمرأة.

أما في السير الشعبية التي تتمثل مهمتها الأولى في تصوير البطولة القومية العربية، فأن من دور الرجل والمرأة فيها يكاد ينحصر في البطولة وحتى إذا قامت المرأة بأدوار تبدو مغايرة، كما فعلت أن الملك سيف (قمرية) من أفعال مكايدة البطل، فأن هذه الأفعال موجهة في الأصل إلى البطولة المخصصة للسيرة، وهي في هذا تختلف في أفعالها وتوجيهاتها عن مكايد المرأة في ألف ليلة وليلة.

أما الدوار الأخرى المهمة للمرأة في السير الأميرة ذات الهمة التي كانت الأم الراعية لأبنها البطل، وفي نفس الوقت قامت بدور البطولة الأساسية في السيرة ومن هنا كانت كثافة هذه الشخصية التي قامت حولها سيرة من السير الشعبية العربية وعرفت باسمها.

وعلى نماذج الأميرة ذات الهمة الأساسي في تصوير البطولية العربية، وكذلك النماذج البطولية الفرعية للمرأة في السير الشعبية التي تقوم بها المرأة من البطل الرجل، هذان النموذجان لا يمثلان النموذجين الفريدين في السير الشعبية، فعناك نموذج عبلة التي خلد اسمها بسبب وفائها لفترة.

وعليه فأنه من خلال دراستنا لصورة المرأة العربية في كل من ألف ليلة وليلة والسير الشعبية، يمكننا أن نوجز أهم النتائج التي خرجت بها الدراسة في النقاط الآتية:

- أن الأدوار التي قامت بها المرأة في ألف ليلة وليلة تنقسم إلى أدوارا رئيسية كالعشق والكيد، أدوار فرعية لمحاربة والعالمة والساحرة، وأن المرأة في كل تلك الأدوار التي قامت بها كانت جارية سواء كانت عالمة أو حبيبة أو فارسة أو ماكرة، ومن خلال مقارنة هذه الأدوار بالدوار التاريخية التي قامت بها المرأة توصلنا إلى أن فكرة ألف ليلة وليلة وأحداث مستوحاه من واقع عاشته المرأة في العصور السابقة وتحديدا في العصر العباسي الذي غلب عليه كثرة الجواري.
- ان المرأة في السير الشعبية قد اكتسبت طابعا مثاليا مزايا ترتبط فيه بأحلام الشعب وأماله في مواجهة الإخطار الخارجية التي كانت تحيق بالأمة العربية الإسلامية آنذاك. فالمرأة تستطيع أن تكون قائدة وشجاعة وقوية.
- تحظى باحترام وهيبة الجميع، وفي وقت نفسه أما حنونة ومربية فاضلة، وقد مثلت فاطمة بنت مظلوم (الأميرة ذات الهمة، هذا النموذج خير تمثيل، فقد قادت جيوش المسلمين بقوة واقتدار في محاربة الروم، وحققت انتصارات كبيرة شهد لنجاتها الأعداء والأصدقاء، وفي نفس

الوقت أحسنت تربية ولدها عبد الوهاب حتى جعلت منه قائدا وفارسا شجاعا.

- مثلت المرأة أيضا عنصرا مساندا قويا للرجل في نيل أهدافه وتحقيق مأربه، ويتضح ذلك من خلال الدور الذي قامت به عبلة في سيرة عنترة، فدورها الأساسي وجد في السير من أجل تخليد البطل عنترة الذي دارت أفعاله البطولية على مدار السير حول الانتصارات على قهر العادات القبيلة والزواج من ابنة عمه عبلة.
- اختلفت الأدوار التي قامت بها المرأة في سيرة سيف بن ذي يزن ما بين المرأة الشريرة التي حاولت القضاء على البطل (سيف بن ذي يزن) بكل الطرق، بل أنها تفننت في ابتداع صور الشر من أجل تحقيق ذلك وقد مثل هذا الدور قمرية والدة الملك سيف.
- والمرأة المساعدة التي كان هدفها الوحيد هو مساعدة البطل والوصول به إلى بر الأمان حتى يستطيع تحقيق مهامه الموكلة إليه. وقد مثل هذا الدور عاصقة، والحكيمة عاقلة.
- والمرأة الهامشية وقد جسد هذا الدور كل من ناهد، والجيزة، ومنية النفوس، وطامت، فكل منهن مثلت الدور التقليدي للمرأة الذي يهدف إلى البحث عن زوج تستظل بكنفه. ويختلف دور شامة عن بقية زوجات الملك سيف في أن زواجها ارتبط يبعدا وطنيا، تمثل في إصرارها على جعل مهرها إحضار كتاب النيل الذي تهدف من خلاله إلى المحافظة على استمرار إجراء نهر النيل، وتحرير بلادها من الاستعمار.

- أغلب حكايات سير سيف مأخوذة من ألـف وليلـة، وأن سـبب كثـرة السحر والخرافة في هذه السير يرجع إلى العصر الذي تكاملت فيه وهو عصر المماليك، حيث أنتـشر في هـذا العـصر كثـرة اسـتخدام الـسحر والشعوذة وغيرها.
- يقول هيجل أن أصغر عمل متحقق هو أكبر قيمـة مـن أجمـل فكـرة لم تستطيع أن تتجاوز دائرة الإمكان في المورث الشعبي يحتـاج مزيـدا مـن الدراسة والاهتمام تطرح رؤى تضيء جوانب جديـدة في الموضـوع قـد تكون مختلفة عما وصلنا إليـه مـن نتـائج، والهويـة في الاخـتلاف كمـا يقولون.

المصادر المراجع

أولا: المصادر

1. أخبار الأذكياء أبي الفرج الجوزي مطابع الأهرام – القاهرة- 1970.
2. ألف ليلة وليلة- مكتبة زهران –القاهرة–بدون تاريخ.
3. الأغاني – أبي فرج الأصفهاني – دار الثقافة-بيروت -1983م.
4. البداية والنهاية –الحافظ أبن الأثير – دار الغد –القاهرة 1990م.
5. الكامل –أبن الأثير – دار الثقافة –بيروت –بدون تاريخ.
6. سير الأميرة ذات الهمة – المكتبية الشعبية – بيروت 1980م.
7. سيرة سيف بن ذي يزن – مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني – القاهرة – بدون تاريخ.
8. سيرة عنترة بن شداد – مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني – القاهرة – بدون تاريخ.

ثانيا: المراجع:

1. أحمد رشدي – الأدب الشعبي – الهيئة العامة للكتاب – القاهرة – 2002م.
2. أحمد سويلم – الفارس الأسود – الدار المصرية اللبنانية – القاهرة- 2004م.
3. أحمد محمد عطية – هموم المرأة العربية- الهيئة العامة للكتاب-القاهرة -1992م.
4. أمل سالم – صورة المرأة في الأدب الشعبي الأردني والفلسطيني- مؤسسة حمادة للدراسات الجامعة والنشر – الأردن/ ط1-2000م.
5. السعيد الورقي – اتجاهات الرواية العربية المعاصرة – الهيئة العامة للكتاب – القاهرة- 1982م.
6. السيد الجميلي – نساء حول الرسول- المكتبة التوفيقية- القاهرة- بدون تاريخ.

7. حسن عبد الله القرشي – فارس بنى عبس– دار المعارف – القاهرة – 1992نز
8. رشيدة مهران – الواقعية واتجاتها في الشعر العربي المعاصر – الهيئة العامة للكتاب – الإسكندرية – 1979.
9. سهير القلماوى – ألف ليلة وليلة – الهيئة العامة للكتاب – القاهرة – 1994م.
10. شوقي عبد الحكيم – تراث شعبي – الهيئة العامة للكتاب – القاهرة – 1994م.
11. صلاح فضل – منهج الواقعية في الإبداع الأدبي – دار المعارف – القاهرة – 1980م.
12. طلال حرب بنية السير الشعبية – المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر– بيروت – 1999م.
13. عبد الحميد يونس – سيرة عنترة – مكتبة الأسرة – القاهرة – 1995م.
14. عبد الله جبو – الجواري – دار المعارف– القاهرة – بدون تاريخ.
15. عبد الله عفيفي – المرآة العربية في جاهلية وإسلامها – مكتبة الثقافة – المملكة العربية السعودية – 1933م.
16. عبد المجيد عابدين – بين الحبشة والعرب – دار الفكر العربي – القاهرة – بدون تاريخ.
17. فاروق خورشيد:
– أضواء علي السير الشعبية – منشورات اقرأ – بيروت – بدون تاريخ.
– عالم الأدب الشعبي العجيب – دار الشروق – بيروت –1991م.
18. سيف بن ذي يزن – الكاتب العربي للطباعة والنشر – القاهرة – ط 2 – 1967م.
19. فايد العمروسي – الجواري المغنيات – دار المعارف – القاهرة – 1983م.
20. قاسم عبده قاسم – ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط – دار المعارف – القاهرة 1985م.
21. مأمون غريب – أجمل ألف ليلة وليلة – مركز الكتاب للنشر – القاهرة 2000م.

22. محسن جاسم الموسوى – الوقوع في دائرة السحر – الهيئة العامة للكتاب – القاهرة – 1987م.
23. محمد أبو الفتوح العفيفي – بطولة عنترة بن سيرته وشعره – مكتبة الدراسات الشعبية – القاهرة – بدون تاريخ.
24. محمد المرزوقي – الأدب الشعبي في تونس – الدار التونسية للنشر – تونس – 1967م.
25. محمد حسن عبد الله – الواقعية في الرواية العربية – الهيئة العامة للكتاب – القاهرة – 1991م.
26. محمد سعيد العريان – شجرة الدر – دار المعارف – القاهرة – ط 8 – 1992م.
27. محمد غلاب – الروايات الواقعية في القرن التاسع عشر – الدار القومية – القاهرة – 1960.
28. محمد غنيمي هلال – الرومانتيكية – نهضة مصر – القاهرة – بدون تاريخ.
29. محمد مندور:
- الأدب ومذاهبه - نهضة مصر – القاهرة – 2004م.
- التقد والنقاد – نهضة مصر – القاهرة – 1997م.
30. محمود ذهني – سيرة عنترة - الدار القومية للنشر – القاهرة – بدون تاريخ.
31. محمود ذهني، فاروق خورشيد – فن كتابة السيرة الشعبية – منشورات اقرأ – بيروت – ط2 –1980م.
32. مرسي الصباغ – القصص الشعبي العربي – دار الوفاء للطباعة والنشر – الإسكندرية – 1999م.
33. منال العماوي – أهر نساء العرب – المصرية للنشر والإعلان – القاهرة ط 2– 2004م.
34. منى رجب – التاريخ امرأة – الهيئة العامة للكتاب – القاهرة – 1998م.

35.ناصر الدين أسد – القيان الغناء في العصر الجاهلي – دار الجيل – بيروت 1988م.

36.نبيلة الأميرة ذات الهمة – دار النهضة للطباعة والنشر – بيروت 1970م.

– قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية – دار الفكر العربي – القاهرة 1973م.

– البطولات العربية والذاكرة التاريخية – المكتبة الأكاديمية – القاهرة – 1995م.

– الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق – مكتبة الشباب – القاهرة – بدون تاريخ.

37. نعمة الله إبراهيم – السيرة الشعبية العربية – شركة المطبوعات للتوزيع والنشر – بيروت – ط1 – 1994م.

38. هاني العمد – الأدب الشعبي في الأردن – مؤسسة آل البيت – عمان – 1996م.

الكتب المترجمة:

1. بول فانتيغم – الرومانسية في الأدب الأوربي – ترجمة صباح الجهيم –منشورات وزارة الثقافة – دمشق – 1981م.
2. جمال الدين بن شيخ – ألف ليلة وليلة – ترجمة برادة وآخرون. –الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية – القاهرة – 1998م.
3. رينية ويلك – مفاهيم نقدية – ترجمة محمد عصفور – سلسلة عالم المعرفة – الكويت – العدد 110-1995م.
4. يانكولافرين – الرومانتيكية والواقعية – ترجمة حلمي راغب حنا – الهيئة العامة للكتاب – القاهرة – 1995م.

الرسائل الجامعية:

1. خطرى عرابي أبو ليفة – البنية الأسطورية في سيرة سيف بن ذي يزن – رسالة دكتوراه – جامعة القاهرة – 1995م.

2. زينب جوهى ليم – المرأة في روايات محمد عبد الحليم – رسالة ماجستير – جامعة القاهرة 1994م.
3. ضياء عبد الله خميس – صورة المرأة في السرد العربي – رسالة ماجستير – الجامعية الأردنية – عمان – 1999م.
4. عبد الرحمن العمراني – السمات الفنية للعقيدة الرومانسية في اليمن – رسالة دكتوراه – جامعة القاهرة – 1991م.
5. عفاف عبد المعطي – واقعية القاع في الرواية المصرية الأمريكية – رسالة دكتوراه – جامعة القاهرة – 2004م.
6. عمر عبد الرحمن الساريسي – الحكايا الشعبية في المجتمع الفلسطيني – رسالة ماجستير– جامعة القاهرة – 1972م.
7. مجدي شمس الدين – السحر في ألف ليلة وليلة – رسالة ماجستير – جامعة القاهرة – بدون تاريخ.
8. محمد رجب النجار – البطل في الملاحم والسير الشعبية العربية – رسالة دكتوراه – جامعة القاهرة – 1976م.

الدوريات:

1. أحمد علي مرسي – الذات العامة والذات الخاصة في السير الشعبية المصرية – الفنون الشعبية – الهيئة العامة للكتاب – القاهرة – العدد 49-1995م.
2. إبراهيم احمد شعلان – الأسرة في المثل الشعبي – التراث الشعبي – مركز الفلكلور – بغداد – العدد 6،7 – 1981م.
3. المرأة في الملاحم الشعبية العربية – عالم الفكر – الكويت – المجلد السابع – العدد 1-1976م.

4. برنهارت هلز- من روائع السير الشعبية – سير عنترة – ترجمة إبراهيم زكي خورشيد – الفنون الشعبية – المؤسسة المصرية للتأليف والنشر – القاهرة – العدد 10-1969م.
5. شكر الصالحي – المثال الشعبية المقارنة في مصر والعراق – التراث الشعبي – مركز الفلكور – بغداد – العدد 3،2 – 1974م.
6. عمر عبد الرحمن الساريسي – الأسرة والمرأة في المجتمع الفلسطيني من خلال الحكاية الشعبية – التراث الشعبي – مركز الفلكلور – بغداد – العدد 11-1975م.
7. القصص الحب في الليالي – مجلة النقد الأدبي – الهيئة العامة للكتاب – القاهرة – العدد 1-1994.
8. محمد رجب النجار:
9. محمود ذهني – سيرة عنترة وسماتها القصصية – الفنون الشعبية – الهيئة العامة للكتاب – القاهرة – العدد 2 – 1965م.
10. ناجية غافل المراني – سيرة عنترة في الدراسات الأستشراقية – التراث الشعبي – مركز الفلكلور – بغداد العدد 2-1977م.
11. نبيلة إبراهيم – حكايات شعبية عربية – التراث الشعبي – مركز الفلكلور – بغداد – العدد 2-1972م.
12. نبيهة أحمد الزبيدجي – الأمثال الشعبية والواقع الاجتماعي للمرأة العربية – التراث الشعبي – مركز الفلكلور – بغداد – العدد 2-1971م.
13. يسرى عبد الغني – سيرة عنترة العبسي بين الواقع والأدب الشعبي – الفنون الشعبية – الهيئة العامة للكتاب – القاهرة – العدد 22 – 1988م.

صورة المرأة في الموروث الشعبي
بين واقعية ألف ليلة وليلة
ورومانسية السير الشعبية
(سيرة الملك سيف بن ذي يزن إنموذجا)





دار غيداء
للنشر والتوزيع